**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**
République Algérienne Démocratique et Populaire
**وزارة التعليم العالي و البحث العلمي**
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

**جامعـة 8 ماي 1945 – قالمـة**
**كليـــــة الآداب و اللغـات**
**قسـم اللغـة والأدب العربـي**

**UNIVERSITE 8 MAI 1945-GUELMA**
**Faculté des lettres et des langues**
**Département de langue et littérature et arabes**

**مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه**

**(الأدب الشّعبي)**

# الأغنية الثّورية في ولاية قالمة

## – دراسة موضوعيّة فنيّة –

**مقدمة من الطالب:**

**فـــاتـــح عيّـــاد**

**تاريخ المناقشة : 2017/03/13**

| | | | |
|---|---|---|---|
| **ميلود قيدوم** | **أستاذ محاضر أ** | **رئيسا** | **جامعة 8 ماي 1945 قالمة** |
| **عبد العزيز بومهرة** | **أستاذ التعليم العالي** | **مشرفا ومقررا** | **جامعة 8 ماي 1945قالمة** |
| **حورية عروي** | **أستاذ محاضر أ** | **ممتحنا** | **جامعة البشير الإبراهيمي (ب ب ع)** |
| **صالح جديد** | **أستاذ محاضر أ** | **ممتحنا** | **جامعة الشاذلي بن جديد الطارف** |
| **بولرباح عثماني** | **أستاذ محاضر أ** | **ممتحنا** | **جامعة عمار ثليجي الأغواط** |

السنة الجامعية: **2016/ 2017**

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة إبراهيم،الآية07

الشكر لله على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى، و منها توفيقه تعالى على إتمام هذا العمل.

أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان وخالص العرفان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عبد العزيز بومعرة الذي شرّفني بقبوله الإشراف على هذا العمل، وعلى دعمه وتوجيهاته القيّمة، وما زودني به من مراجع، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أعبّر عن امتناني للجنة المناقشة التي ستفيض علي بتوجيهاتها القيّمة وملاحظاتها السّديدة.

وأتوجّه بالشّكر لأساتذتي الذين بذلوا جهدهم لنشر العلم والمعرفة، في كلية الآداب و اللغات بجامعة قالمة، قسم اللغة و الأدب العربي.

و الشّكر الجزيل لإذاعة قالمة والعاملين بها وعلى رأسهم السيّد السّعيد بن زينب، و السّيد أحمد عاشوري .

و إلى كل من قدّم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد.

# الإهداء

إلى من ضحّوا بالغالي و النّفيس من أجل رفع علم الجزائر عاليًا ليرفرف في فضاء الحرية والكرامة ..وطلبوا الموت لتوهب لنا الحياة..

إلى من سقوا بدمائهم الزكية هذه الأرض المباركة بكل سخاء ، وخلّدوا ذكراهم بأروع صور التضحية والشجاعة والإيمان بالله..

فكانوا الوقود الذي أشعل لهيب الثورة ، والمشعل الذي أضاء الجزائر بعد ليل طويل دامس

إلى أرواح الشّهداء الأبرار

❖

إلى من تفانا في تربيتي و منحاني المحبة و الحنان أمّي و أبي

إلى جميع إخوتي

إلى أصدقائي و أقاربي

# مقدّمة

# مقدّمة

تفاعل الشّعب الجزائري مع الثّورة قلبًا وقالبًا، إذ رأى فيها النّجاة، والمخلص الوحيد من كيد الاستعمار الغاشم، واسترجاع السّيادة الوطنيّة المغتصبة، وكان ثمن هذه الحريّة دماء الشّهداء الأحرار، الذين دفعوا دماءهم النقيّة الطّاهرة مقابل نشر الأمن، والسّلام في كافة ربوع الوطن، لذلك فمن الطّبيعي أن يتغنّى الشّعب الجزائري بما حقّقه هؤلاء الأبطال من نضال وكفاح، فكانت ألسنتهم منبعًا لأغاني ثورية، محمّلةً بتعابير قوميّة لها وزن، و وقع اخترق القلوب قبل الآذان، الأمر الذي جعل الأدب الشّعبي خزّانًا ثريًا يزخر بملاحم شعبيّة تخلّد بطولات وأمجاد الجزائريين، وتصوّر معاناتهم من ويلات الاستعمار وجرائمه، هذا الأخير الذي لم يأل أي جهد من أجل قطع أنفاسهم وإجهاض ثورتهم الجارفة .

وتعتبر الأغنية الشّعبية في ولاية قالمة مظهرًا من مظاهر الثّورة المجسّدة في كلمات، وألحان متشبّعة بالرّوح الوطنية، وهي ذات إبداع فنّي جميل، لا يخلو من العاطفة الصّادقة، والأحاسيس المرهفة، كما تعدّ وثيقة تأريخ تحمل في طيّاتها بطولات عظيمة، وجرائم شنيعة شهد لها كل منصف على سطح المعمورة. وتجدر الإشارة إلى ما تبعثه هذه الأغاني الثّورية من حماسة في نفوس الثوّار، فكانت كلّ كلمة منها كتلة نارٍ ملتهبة توقظ القلوب وتزيدها استعارًا، وتأجُّجًا جرّاء ما ارتكبه المستعمر الغاشم من ويلات وجرائم إزاء شعب بريء لم يطلب سوى العيش بحريّة في وطنه، مهد آبائه وأجداده.

وعُدّت المنطقة ملاذًا ومأوًى ذا حصانة للمجاهدين، لما لها من طبيعة وعرة و قاسية، من سهول، وجبال ووديان، لا يطأها إلاّ ذوو الصّلابة والبأس أمثالهم. فباتت الأغنية الشّعبية الثّورية في هذه المنطقة رمزًا من رموز الثّورة و الكفاح.

لموضوع الأغنية الثّورية دور كبير في تبيان مدى مساهمتها في إبراز الرّوح الوطنيّة المتأجّجة، ذات البُعد الرّوحي الإسلامي العميق، والحجّة الدّامغة على فشل السّياسة الاستعمارية التي لم تدّخر أيّ جهد من أجل زرع الفُرقة بين الإخوة في الله والوطن والحضارة والتاريخ. كما تعدّ مرآةً عاكسةً لأوضاع أهل المنطقة، واستخلاص الجواهر الحِسان في اللّسان القالمي، ومدى التّقاطع الذي يجمعه من حيث المبنى والمعنى مع اللغة العربية ، وكذا لاستخراج المعارف التاريخية والاجتماعية والنّفسية من رحِمِها، قد لا نجدها في المصادر، والمراجع التّقليدية والعادية .

اكتسبت الأغنية الثّورية في ولاية قالمة دورًا كبيرًا في شتّى مجالات الحياة، فصوّرت هموم الجماهير الشّعبية، وعبّرت عن آلامها ومعاناتها، وواكبت جميع التّطورات التي شهدتها المقاومة الجزائرية، حيث رصدت الظّروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية التي عاشها الشّعب آنذاك، فسجّلت همومه وقضاياه. وكان لها دور إعلامي فعّال إبان الثّورة التّحريرية.

وبما أنّ هذه الدّراسة تتمحور حول ما نظمه سكّان منطقة قالمة من قصائد شعبيّة صوّرت الواقع أحسن تصوير، بكلمات بسيطة وأنغام عذبة مستقاة من واقع مرير، ارتأيت أن يكون عنوان البحث: **"الأغنية الثّورية في ولاية قالمة "**.

ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع سببان: موضوعي وذاتي، أمّا الموضوعي فيتمثّل في انعدام الدّراسات في شأن هذه المنطقة التي تزخر بهذا الشّكل الغنائي، أمّا السّبب الذّاتي فيرجع إلى كوني ابن المنطقة، نشأت فيها وترعرعت بين أحضانها، فرأيت أنّه من واجبي ضرورة المحافظة على هذا الإرث الشّعبي الكبير، المتمثل في الأغنية الشّعبية الثّورية، والتّوثيق له ليظلّ متداولاً عبر الأجيال، ذلك أنّ **التّراث الشّعبي الجزائري لازال** عالقًا بذاكرة أناس تشغلهم الحياة اليوميّة، وتذهب بهم كلّ مذهب ، ممّا يسهم في النّسيان وعدم التذّكر، وهذا ما يحدث فعلًا لتراثنا الشّعبي المنطوق ، فقد أوشك أن يضيع كلّه بحكم الحياة المتطوّرة وزيادة حاجة الناس إلى المادّة.

و لعلّه من الواجب الإشارة إلى الدّراسات السّابقة التي تناولت الموضوع، أهمّها:

- شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثّورية بين فترتي الثورة والاستقلال (1954-1962) منطقة وادي الشولي –نموذجًا–جمع ودراسة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: الثقافة الشّعبية، تلمسان، 2004-2005م.

- عبد القادر نطور ، الأغنية الشّعبية في الجزائر: منطقة الشرق الجزائري نموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2008-2009م.

ومن الكتب:

– أحمد مرسي، الأغنية الشّعبية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة-مصر ، 1970م

أمّا ما يخصّ الجّديد بالمقارنة مع هذه الدّراسات؛ فقد خصّصتُ موضوع الدّراسة على الأغنية الشّعبية الثّورية في منطقة قالمة، والتطرّق إلى جُل موضوعاتها، وما تميّزت به من جوانب عديدة، مرفقة بنماذج.

أمّا عن إشكالية الموضوع، فإنّ الدّراسة تستهدف، إجمالاً، الإجابة عن مجموعة من التّسؤلات، والإحاطة ببعض الإشكاليّات، أوجز أهمّها فيما يأتي:

– هل استطاعت الأغنية الشّعبية فعلاً أن تعبّر عمّا يختلج في نفوس الأهالي من مشاعر وأحاسيس؟

– ما هي أهم الموضوعات التي تطرّقت إليها الأغنية الشّعبية الثّورية؟ وما الوظائف التي أدّتها؟ وهل خدمت فعلاً ثورة التّحرير؟

– ما هي أسباب اهتمام الشّعب الجزائري بهذا الفن الشّعبي بالذّات في فترة الاستعمار الفرنسي؟

– كيف لجأ أفراد الشّعب وبخاصة مبدعو الأغنية إلى هذا اللّون من الإبداع؟ وهل تمكّنوا من خلاله التّعبير عن أفكارهم و قضاياهم؟

وتجسيدًا لهذه الرّؤية اقتضت طبيعة هذه الدّراسة أن أعتمد المنهج التّاريخي الفنّي لكونه يساعدني في عمليتَيْ الشّرح والتّحليل وتوثيق الأحداث والوقائع من جهة، ولتوافقه مع طبيعة الموضوع من جهة أخرى.

وانطلاقًا من هذا، قسّمتُ البحث إلى مقدّمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة، بما يتناسب والرّؤية المنهجيّة المتبنّاة.

فجاءت **المقدّمة** عرضًا عامًّا للبحث، مع إبراز عنوانه وإشكاليته وأسباب اختياره، مع الإشارة إلى أبرز الأهداف من تناوله، كما يتمّ فيها تحديد منهج الدّراسة وعرض خطّة البحث بما تتضمّنه من فصول ومباحث.

أمّا **المدخل** فوسمته بـ: **لمحة عن المنطقة و الهوية الثّورة للأغنية الشّعبية** ؛ تطرّقت فيه إلى عرض موجز حول منطقة قالمة، جغرافيًّا وتاريخيًّا، وتعريف الأغنية الشّعبية لغةً واصطلاحًا، وتبيان أهميّتها، وعلاقتها بثورة التّحرير المباركة، والأبعاد التي تطرحها.

وفيما يخص **الفصل الأوّل** فكان بعنوان: **القيم التي تغنّت بها الأغنية الثّورية**؛ تطرّقت فيه إلى أبرز القيم التي تناولتها الأغنية الثّورية ومالها من تأثير عميق في نفوس أبناء الوطن.

و**الفصل الثّاني** بعنوان: **سياسة البطش والتّنكيل الاستعماري في الأغنية الثّورية**؛ استهدفتُ من خلاله ، تقديم لمحات تعبّر عن مقدار المعاناة التي عايشها الشّعب الجزائري الصّامد أمام الاستعمار الفرنسي الغاشم، هذا الأخير الذي لم يتوانَ لحظةً في استعمال أشدّ أساليب البطش والتّنكيل، معتمدًا على الأغاني الشعّبية في نقل هذه الصّورة البشعة، وما تضمّنته من تقتيل وتشريد وتعذيب.

أمّا **الفصل الثّالث** فعنوته بـ: **صورة العدو في الأغنية الثّورية**؛ فصلتُ فيه بين صنفَيْن من الأعداء، العدو الفرنسي ومن حالفه من الأجانب، والعملاء من أبناء الوطن ممّن ارتضت نفوسهم بيع دينهم ووطنهم، وما جاء في ذِكر الصّنفين من نعوت وذم عبر الأغنية الشّعبية، بالإضافة إلى ذِكر الأسلحة الحربية للعدو وأنواعها.

وبالنّسبة إلى الفصل الرّابع والأخير فعنوانه: **البطولة و الفداء في الأغنية الثّورية**؛ تطرّقت فيه إلى ذِكر أبطال الثّورة في المنطقة ، وخصّصت منهم المذكورين في الأغاني الشّعبية على وجه التّحديد، كما عرضتُ أشهر المعارك التي حدثت بالمنطقة ولاسيما المذكورة في الأغاني الشّعبية، وأسلحة الثوّار على اختلاف أنواعها.

وكأي بحث أكاديمي لابدّ أن يكون مشفوعًا **بخاتمة** تمثّل حوصلة البحث، وأهم النّتائج المتوصّل إليها من خلال رصد الأغنية الثّورية في منطقة قالمة.

وقد واجهتني في هذا البحث بعض الصّعاب أهمّها: فقدان جزء كبير من النّصوص وقلّة توفّر المراجع التي تشير إليها، أو تتناولها بالدّراسة، والتّحليل، فكان هذا سدًّا مانعًا حال بيننا وبين ما نصبو إليه من شموليّة الدّراسة وكذلك نُدرة الحفظة لهذا الموروث الشّعبي، الذين هم في الغالب من فئة كبار السّن.

ومن بين الصعوبات أيضًا وجود مفردات كثيرة يصعب فهمها إلاّ بالرّجوع إلى كبار السّن، كونها لم تعد متداولة على الألسن وسط الفئة الشّبابية.

أمّا عن مصادر البحث ومراجعه، فقد اعتمدت في هذا الموضوع على الجانب الميداني، وذلك بما يتمُّ جمعه من الأغاني الثّورية التي يردّدها سكان المنطقة، منقولةً شفاهيًّا عن شعراء الثّورة والحَفَظَة، ولاسيما في الرّيف القالمي، وعلى ما يتمّ تسجيله من مهرجانات، وأيّام دراسيّة حول التّراث الشّعبي المتعلّق بالمنطقة. إضافةً إلى كل ما يمكن جمعه من كتب و مجلات وأبحاث من شأنها أن تخدم الموضوع:

- إبراهيم العسكري، لمحات عن مسيرة الثّورة التّحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، 1992م

– أحمد مرسي، الأغنية الشّعبية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة-مصر ، 1970م
– اسماعيل سامعي، انتفاضة 8 مايو 1945 بقالمة ومناطقها، مديرية النشر لجامعة قالمة، تمّ الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.
– بلحيا الطاهر، التراث الشّعبي في الرّواية الجزائرية، بحث أصدرته مؤسسة الجاحظية، 2000م
– التلي بن شيخ، دور الشّعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830- 1945، طبعة 1983م
– توثيق وشهادات حيّة عن دور قوافل جيش التحرير الوطني في تموين الثّورة بالسّلاح عبر ولاية قالمة، المنظّمة الوطنيّة للمجاهدين، المكتب الولائي قالمة.
– عبد القادر خليفي، دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005م
– عبد المالك مرتاض، دور الأدب الشّعبي في التّعبير عن الحياة العامة في الجزائر الثقافة، أكتوبر ، نوفمبر 1974م
– فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة، الإسكندرية- مصر،ط1،2008م
– فوزي العنتيل، بين الفولكلور والثّقافة الشّعبية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط01، 1987
– كتاب الشّهيد: الثّورة التحريرية الكبرى 54-62، وزارة المجاهدين، مديرية المجاهدين لولاية عنابة، المطبعة المركزية- عنابة.
– محمد زروال، الحياة الرّوحية في الثّورة الجزائرية، منشورات وزارة المجاهدين، المتحف الوطني للمجاهد، 1994م.
– مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، دراسة وشرح الطاهر مريبعي، دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
– مفدي زكريا، اللهيب المقدّس، موفم للنشر، طبع بالمؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية- الجزائر، 2007م.

ومن الرّسائل أذكر:

– شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثّورية بين فترتي الثورة والاستقلال (1954-1962) منطقة وادي الشولي –نموذجًا- رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: الثقافة الشعبية، تلمسان، 2004-2005م.

– عبد القادر نطور ، الأغنية الشعبية في الجزائر: منطقة الشرق الجزائري نموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2008-2009.

وعمدتُ، في الختام، إلى ترتيب قائمة المصادر والمراجع ترتيبًا ألفبائيًّا، ووضع فهرس يوضّح الموضوعات المدروسة داخل البحث، مع التّرقيم، حتّى يستطيع القارئ أن يطّلع على مبتغاه دون أن يضطرّ لقراءة البحث بأكمله.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أشكر كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث، من قريبٍ أو بعيد، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف: **الدّكتور عبد العزيز بومهرة**، الذي أفادني كثيرًا بنصائحه وتوجيهاته والتي يحتاجها كل باحث في هذه المرحلة، ولم يبخل عليَّ بكل ما توفّر لديه من مصادر ومراجع.

## مدخل: لمحة عن المنطقة و الهوية الثّورية للأغنية الشّعبية

أوّلا/ الإطار الجغرافي و التّاريخي لمدينة قالمة

ثانيًا/ الأغنية الشعبيّة الثوريّة

## أوّلا/ الإطار الجغرافي و التّاريخي لولاية قالمة:

### 1- الإطار الجغرافي:

### أ-الموقع و المساحة:

تتربّع ولاية قالمة على مساحة "قدرها 4125كم$^2$ ، ويُقدّر عدد سكّانها الإجمالي بـ 355555نسمة حسب إحصائيّات 2015م"[1].

أُنشئت الولاية سنة 1974م، وهي تحتوي على 10 دوائر و34 بلدية، وتبعد عن العاصمة الجزائريّة بـ 537 كلم، وهي تُمثّل نقطة التقاء بين القطبين الصّناعي بالشّمال (عنابة وسكيكدة)، ومركز تبادل بالجنوب (تبسة وأم البواقي)، وتُجاور الولايات التّالية: عنّابة من الشّمال، الطّارف من الشّمال الشرقي، وسوق أهراس من الشّرق، وأم البواقي من الجنوب، وقسنطينة من الغرب، وسكيكدة من الشّمال الغربي*، أمّا موقعها الفلكي فيتحدّد بين خطّيْ طول [27 و 36 شمالًا] وخطّيْ عرض [5 و25 شرقًا][2].

**استراتيجيّة الموقع:**

تتربّع عاصمة الولاية الحالية على أنقاض مدينة "calama"[3] بهضبة صغيرة هي امتداد لسفح الشّمال الشّرقي من جبل ماونة بجوار نهر سيبوس ، وفي مكان يصل ارتفاعه 270م عن مستوى سطح البحر ،

[1]- ولاية قالمة https://ar.wikipedia.org/wiki/

*-ينظر إلى الملحق رقم01، والملحق رقم 02، ص 223 -224

[2]- دليل ولاية قالمة ، مديرية السياحة، 2005، ص 02.

[3]- عُرفت قالمة خلال العهد الرّوماني تحت اسم "كالما" و يرى الباحث "جوداس" أنّ اسم "كالما" وُجِد مكتوبًا على بعض النّقوش ذات الكتابة اليونانية الحديثة، والتي عثر عليها في قالمة و يعتقد أن اسمها ساميًّا "مالكا". و يرى "جوداس" أنّ اللاتينيين قد قرؤوا الاسم مقلوبا و أصبحت تعرف المدينة باسم "كالما" و قد تحدّث المؤرخ الفرنسي "شيفان جزيل" عن هذا الموضوع بتوسّع في الأطلس الأثري. وهناك من يعتقد أنها ذات أصول فينيقية، و لهذا بقيت تحتفظ بعاداتها و تقاليدها البونية ومؤسّساتها الدّستورية حتى عهد الإمبراطور الرّوماني "تراجان". و عليه يمكن القول إنّ قالمة ظهرت بصورة جلية في العهد البوني.

وتُعتبر قالمة منطقة استراتيجيّة بوجودها على ضفاف وادي سيبوس الخصبة، أين تمرّ المجاري المائيّة دون انقطاع، وخلال كلّ الفصول، فوادي سيبوس يُعتبَر عصب قالمة اقتصاديًّا، إضافةً إلى طابعها الصّناعي والفلاحي، والرّعوي، والغابي الذي يعطيها موقعًا اقتصاديًّا، واستراتيجيًّا مهمًّا في الجزائر، علاوةً على أنّ لها مؤهّلات سياحيّة كبيرة تحتاج إلى العناية والتّطور[1]

**ب–التّضاريس و المناخ:**

عاصمة الولاية عبارة عن حوض شبه مغلق ، تبعد عن البحر حوالي 60 كلم، وتتميّز بتضاريسها من تلال وجبال، إذ تقع وسط سلسلة جبليّة ضخمة خضراء، ففي شرقها تمتدّ جبال بني صالح الشّهيرة، التي تبلغ قمّتها 1406م، وفي الغرب تمتدّ جبال طاية 1208م، وجبال دباغ 1049م، والمتميزة بالحجارة الجيّدة، ومواد البناء حيث نجد الكلس الوردي والرّمادي، كذلك الرّخام الوردي، والأبيض، وفي الشّمال جبال هوّارة 1292م، وفي الجنوب جبال ماونة 1411م التي تتوفّر على محاجر الكلس "calcaire"،كما تشكّل السّهول، والهضاب مساحة 9% من المساحة العامّة للمنطقة[2].

تتميّز الولاية بمناخ شبه رطب في الوسط والشّمال، وشبه جاف في الجنوب، معتدل وممطر في الشّتاء، وحار في الصّيف، وتتراوح درجة الحرارة من $4^0$ في الشّتاء إلى $45^0$ في الصّيف[3]، وهذا ما ساعد على تنوّع النّباتات في المنطقة، حيث يشمل الغطاء النّباتي غابات الفلّين، والزّان، والبلّوط بجبال بني صالح، وطاية، وماونة، وأشجار الصنوبر الجبلي، وتغطّي الأحراش مساحة واسعة من المرتفعات، كما تتوفّر المنطقة على الحوامض والفواكه[4] .

[1]– دليل ولاية قالمة، مديرية السّياحة، 2005، ص 03

[2] -D.P.A.T de Guelma: Monographie de la wilaya de Guelma, 1982,p.20.

[3] -Monographie de la wilaya de Guelma, OP.CIT, P.20

[4]– دليل ولاية قالمة، مديريّة السّياحة، 2003، ص 08.

## 2/ الإطار التّاريخي:

### قالمة في فترة الاستعمار :

عرف الشّعب الجزائري في حقبة الاستعمار الفرنسي معاناةً وظُلمًا كبيرين، وبعد استعمالهم لكل الطّرق السّلمية قصد إماطة هذا القهر، لم يبقَ لهم إلاّ حلاًّ واحدًا، هو العمل الثّوري، والنّضال من أجل نيل الحريّة، فشهدت الأحداث تطوّرًا سريعًا تجاه الانفجار، إذ لم يعد هناك متّسعًا للانتظار، وكلّ التّنظيمات السّياسية، والثّقافية تنتهي إلى طريق مسدود ، "و في السرّية كان يجري ما لم يكن في الحسبان، تنظيم سياسي جديد اسمه اللّجنة الثّورية للوحدة والعمل ينطلق بخطوات سريعة ولكنها خطوات ثابتة، يعقد بضع اجتماعات متتالية تنتهي في آخرها إلى توقيع العهد وتحديد الموعد، الفاتح من نوفمبر 1954 حيث تنطلق الشّرارة الأولى على مساحات شاسعة من الوطن... لتبدأ المسيرة من جديد. "[1]

كان اندلا ع الثّورة التّحريرية المباركة ناقوسًا يدقّ للإعلان عن بداية مرحلة جديدة بكل خصوصياتها ومشاكلها، "أمّا عن ردود فعل الشّعب الجزائري حول أحداث ليلة أول نوفمبر فقد قبلها واستبشر الجزائريون خيرًا باندلا ع الثورة ، وفهمتها القاعدة الشّعبية أنها محصلة للنضال الوطني المثمر"[2]

وكانت قالمة قلعة قويّة للحركة الوطنيّة منذ مطلع الثلاثينيّات، الأمر الذي أهّلها لأن تساهم بقوّة في التّعبير عن مطالب، وطموح الشّعب الجزائري في الانعتاق من قيود الاستعمار، والتطلّع المستمر إلى الحريّة والاستقلال.

---

[1]- أمال شلي ، التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية، 1954-1956م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية-قسم التاريخ، ، السنة الجامعية 2005-2006 ، ص 311

[2]- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1954 -1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012م، ص 27

يتربّع في ولاية قالمة شعب عظيم واع، متمسّك بشعار الحريّة، والكرامة، وحبّ الوطن منذ أمدٍ بعيدٍ، ولم يتخلّف هذا الشّعب في يومٍ من الأيام عن تحمّل مسؤولياته اتجاه أمّته، ووطنه، فعندما اندلعت الثّورة الكبرى كان حاضرًا مستعدًّا، إذ شارك بقوّة في أحداث 08 ماي 1945م، وهي التي عُدّت مجزرة في حق البشريّة، أيقن الشّعب الجزائري خلالها أنّ الاستعمار الفرنسي لا يفهم إلّا لغة الحديد والنّار، فاتّجهت النّوايا إلى التحضير للثّورة التي ستقضي على فرنسا، و تعيد الجزائر إلى أبنائها الشرعيين، "وكانت قالمة حاضرة بقوّة في هذا التوجّه الجديد، وألقت بثقلها المعهود في التّحضير تحت إشراف الشّهيد "بوجمعة سويداني" قبل انتقاله إلى وسط البلاد"[1]، ثم تواصل العمل تحت قيادة العقيد بن مصطفى بن عمار، وباجي مختار، وعبد الله نواورية، ولخميسي فلكاوي، فكانت هذه الشّخصيات على موعدٍ مع الأفواج الأولى لجيش التّحرير الوطني التي ما فتأت تنتشر عبر جبال ماونة، ودباغ، وهوّارة، وقد شكّلت قالمة بحكم موقعها الاستراتيجي معبرًا لقوافل جيش التّحرير القادمة من الولاية الأولى، والثّانية، والثّالثة، والرّابعة نحو تونس الشّقيقة بهدف التزوّد بالأسلحة، والذّخيرة ، وقد نتج عن ذلك معارك طاحنة، واشتباكات دائمة مع الجيش الاستعماري الذي كان يترقّب هذه القوافل في الذّهاب والإياب، وقد كان يصبّ جَامَ غضبه على المواطنين العُزَّل الأبرياء إثر تعرّضه لخسائر فادحة على يد المجاهدين الأبطال، الأمر الذي جعل هذه الولاية تتضرّر بشكل كبير على مستوى بنيتها الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، ومن البؤس، والفقر، والحرمان، وجعل آلاف الشّهداء الأبرار يستشهدون عبر جبالها وسهولها ووديانها، وقد صرّح العقيد "صالح بوبنيدر" قائد الولاية التّاريخية الثّانية بأنّ جبال "هوّارة" وحدها سقط فيها أكثر من 06 آلاف شهيد من أجل عزّة الوطن، وحريّته، وسيادته، وعلى الأجيال المتعاقبة أن تدرك جيّدًا بأنّ كل شبر من أرض الجزائر قد سُقي بدماء شهدائنا الأبرار، وبتضحياتٍ جسامٍ قدّمها الشّعب الجزائري قُربانًا على مذبح الحريّة والاستقلال[2].

[1]- توثيق و شهادات حية عن دور قوافل جيش التحرير الوطني في تمويل الثورة بالسلاح عبر ولاية قالمة، المنظّمة الوطنية للمجاهدين، المكتب الولائي قالمة، ص21.

[2]- المرجع نفسه، ص 22.

حضر اجتماع عمالة قسنطينة ممثّلاً للمنطقة الأخ السّاسي بن حملة إلى جانب ديدوش مراد، وباجي مختار، وحدّاد يوسف، وسليمان الملاّح المدعو رشيد بو علي، سعيد (لمطا)، وابن طوبال وماشطي محمد وعبد السلام حبشي. وقد حدث خلاف في هذا الاجتماع بين ديدوش مراد و جماعة قسنطينة الذين لم يعترفوا به، وهذا الموقف أثّر على بعض الجهات، فتأخّرت عن المشاركة في هجومات أوّل نوفمبر 1954م، كما أنّ هذه الجماعة رفضت تسليم مبلغ مليونين فرنك الذي سلّمه باجي مختار لشراء السّلاح، وكذا مبلغ 700 ألف فرنك، الذي سلّمه لهم السّاسي بن حملة عن قالمة للغرض نفسه، وقال يومها باجي مختار: (إنّها مشكلة، فهؤلاء لم يعيدوا لي المبلغ و لم يشتروا السّلاح) وانفضّ الاجتماع دون أن يتمخّض عن شيء، وكان آخر لقاء للمسؤولين حيث انتقلوا مباشرةً إلى العمل الثّوري المسلّح[1].

لم يتأخّر انطلاق الثّورة بمدينة قالمة عن موعده، وما الهجوم الذي شنّه المجاهدون بقيادة باجي مختار في 07 نوفمبر 1954م على حمّام النّبائل إلا دليل واضح على ذلك[2]، حيث يقول كلايعية الطّاهر أحد الذين عاشوا هذا الهجوم (في اليوم السّادس نوفمبر 1954 وجّهت لنا دعوة لحضور اجتماع عُقد في منزل الأخ عبد الله نواوريّة، في فم القرين و حضره أعضاء الخليّة و على رأسهم باجي مختار ... وفي هذا الاجتماع تمّ التّحضير للهجوم على منجم حمّام النبائل، و قد استغلت ليلة 07 نوفمبر 1954، وهي التي وافقت ليلة المولد النبوي الشّريف، وتمّ تنفيذ ذلك الهجوم التّاريخي فيها)[3].

من خلال هذا نلاحظ أنّ هذه العمليّة المتمثّلة في الهجوم تُعتبر من أولى العمليّات المبكّرة التي افتتحت لهيب الثّورة بالجّهة، وتدلّ على التّنظيم المحكم رغم قلّة الإمكانيّات والتّجارب باعتبار أنّ أصعب الأمور

[1]- السبتي بن شعبان، الحركة الوطنية في منطقة قالمة 1919-1954م ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 81

[2]- المرجع نفسه، ص 82

[3]- أضواء على تاريخ الثّورة بمنطقة قالمة (1954-1962)، جمعية التاريخ و المعالم الأثرية لولاية قالمة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المطبعة الولائيّة، قالمة، 1994، ص 23-24

تكمن في بداياتها، وكان تنظيم الفِرق العسكريّة في الثّامن من شهر نوفمبر بناحية جبل هوّارة، وماونة، وفي بداية شهر فيفري كانت استجابة الجماهير بنواحي سمندو، والركنيّة، وبوهمدان، وقد نُظّمت بعض الهجومات على مراكز المعمّرين خاصةً في منطقة لخزارة، و عين العربي[1].

كما تكوّن فوج عسكري باشر عمله الميداني في ديسمبر 1954م بناحية هيليوبوليس شمال مدينة قالمة، وجبل دباغ، وحمّام أولاد علي، وقام هذا الفوج الذي اتّصل به عمّار بن عودة، وقد عقد معه اجتماعًا بمنزل أحد أفراده، وذلك بجبل بوزيون ناحية حمّام أولاد علي[2]، وشملت الحركة الثّورية كافة نواحي قالمة، وتواصلت الاشتباكات مع العدو إلى أن تحقّق النّصر، و رُفعت راية العلم الوطني عاليًا.

[1]- أضواء على تاريخ الثّورة بمنطقة قالمة (1954-1962)،جمعية التاريخ و المعالم الأثرية لولاية قالمة ، المرجع السابق، ص 28

[2]- المرجع نفسه، ص 28

**ثانيًا/ الأغنية الشعبيّة الثوريّة:**

قبل التحدّث عن الأغنية الشّعبية الثّورية لابد أوّلاً من تقديم موجز لمفهوم الثّورة و دور الشّعب فيها

**1-مفهوم الثّورة لغةً و اصطلاحًا:**

أ- الثّورة لغةً:

جاء في معجم الوسيط: "ثار ثَوَرَانًا، و ثورةً: هاجَ و انتشرَ. يقال ثار الدُّخانُ والغُبَرُ، وثارَ الدّمُ بفلان ... وثار الماء من بين كذا: نبع بقوّة وشدّة. وثار به النّاس: وثبُوا عليه"[1].

وجاء في معجم مصطلحات الأدب: الثّورة Révolution تغييرٌ جوهريٌّ في الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة، و الأدبيّة، كالثّورة الفرنسيّة، و الثّورة التحريريّة الجزائريّة[2].

ب- الثّورة اصطلاحًا:

تعني الثّورة كمصطلحٍ سياسيّ الخروج على الوضع الرّاهن والعمل على تغييره - سواء إلى وضعٍ أفضل أو أسوء - باندفاعٍ يحرّكه عدم الرّضا، والتطلّع إلى الأفضل، أو حتّى الغضب، فقد "ينتج عن الثّورة في نهاية الأمر معتقد، ولكنها تنشأ في الغالب عن عوامل عقلية كالقضاء على ظلمٍ فادحٍ، أو استبدادٍ ممقوتٍ، أو مَلكٍ يبغضه الشّعب، ومع أنّ العقل هو أصل الثّورة فإنّ الأسباب التي تهيئها لا تؤثر في الجماعات إلّا بعد أن تتحوّل إلى عواطف، فإذا أمكن بالفعل إظهار ما يجب هدمه من المظالم وجب لتحريك الجماعات إفعام

[1]- - مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر، محمد علي النجّار، المعجم الوسيط، الإدارة العامّة للمعجمات و إحياء التّراث، دار الدّعوة، القاهرة، مايو 1982، ج1، ص125

[2]- محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدّار الوطنيّة للكتاب، ص 111

قلوبها بالآمال، وهذا أمرٌ لا يُنال إلا إذا استعين بعناصر العاطفة والتّدين التي تجعل الإنسان قادرًا على السير"[1]

من هنا يتبيّن لنا أنّ الثّورة وسيلة لرد ما انتُهك، و إعادة الاعتبار للبلاد المستَعمَرة لتغدو حرّة كما كانت في السّابق، و لا تكون الثّورة ناجحة إلا إذا قامت على قيمٍ ساميةٍ.

## 2- دور الجماهير الشّعبية في صناعة الحدث الثّوري:

يقول الزّعيم الوطني الجزائري "**مصالي الحاج**" بشأن دور الجماهير الشّعبية في صناعة الحدث الثّوري: **"ليس ثمّة شيء يمكن أن يحلّ محل الجماهير المنظمة في فرض مشكلة ما على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي، و لا يمكن للكفاءة أو القيمة الفكرية، أو المكانة الاجتماعية، أو لقب الإمارة، أو الفصاحة أو المؤهّل العلمي أن تحل محل عمل الجماهير"**[2]

أمّا المفكّر وفيلسوف الحضارة الجزائري **مالك بن نبي** فينظر إلى الثّورة على أنّها من صنع الجماهير الشّعبية وليست من صنع طبقة خاصّة، أو نخبة بعينه. والفلّاح الجزائري هو الذي حمل عِبئها قبل العالم والمهتم بالشؤون العقلية؛ وبذلك نراه يتوافق في هذه القضية مع الزّعيم مصالي الحاج، فيؤكّد أنّ: "**الشّعب الجزائري هو الذي صنع الثّورة، وكان الفلّاح هو الذي حمل عِبئها قبل العامل، والمهتم بالشّؤون العقلية؛ فقد كانت الثّورة في الواقع ثورة فلّاحين، لا بمجرد عدد شهدائها فحسب، ولكن بروحها كذلك**"[3]

---

[1]- غوستاف لوبون، روح الثّورات و الثّورة الفرنسية، ترجمة: عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة و النشر، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ص 25-26

[2]- رابح بلعيد، جريدة رسالة الأطلس، العدد 146 ، الحلقة 53 من 14 إلى20 ،جويلية 1997

[3]- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ترجمة: عمر مسقاوي، دار الفكر ، دمشق-سوريا، ط 1 ، 2000م، ص 122

يتّضح من خلال هاتين المقولتين مدى الإجماع حول محورية ومركزية الدّور الشّعبي في العمل الثّوري، وفي هذا الشّأن يذكّر الشّهيد العربي بن مهيدي زملاءه بهذه الحقيقة، ويعزّز رغبتهم في اختيار المسلك الثّوري، فيقول " :**إنّ الشّعب مثل عصف يابس لا ينتظر منّا إلا إلقاء عود الثّقاب ليشتعل ... أعلنوا الثّورة والقوا بها في الشّارع فسوف يتبناها عشرة ملايين جزائري**"[1]

## 3-تعريف الأغنية لغةً و اصطلاحًا:

### أ- الأغنية لغةً:

جاء في معجم الوسيط أنّ الأغنية: ما يترنّم به من الكلام الموزون و غيره. (ج) أغاني[2].

### ب- الأغنية اصطلاحًا:

يحيط تعريف الأغنية الشّعبية كثير من الغموض مما يجعل مجال البحث يستقطب أنظار كل باحث مشتغل بهذا الميدان، فقد عرّفها "الكسندركراب" : (هي قصيدة شعريّة ملحّنة مجهولة الأصل كانت تشيع بين الأميّين في الأزمنة الماضية و ما تزال حيّة في الاستعمال)[3].

من خلال هذا التّعريف نجد أن كراب قد ذهب إلى ما ذهبت إليه الرومانسية، و أنّ أي أغنية يفترض أن تكون مجهولة المؤلف لأنها من صنع الشّعب، و يؤكّد بوليكا فسكي في تعريفه على نسبتها للشّعب بحيث يكون الشّعب هو صاحبها الذي يعبر من خلالها عن الأمّة و ينفي أن يكون ترديد الأغنية أو شيوعها فحسب هو الذي يضفي عليها صفة الشّعبية فيقول: ( الأغنية الشّعبية هي التي أنشأها الشّعب

[1]- إبراهيم لونيسي، التجربة الديمقراطية في الوطن العربي -الجزائر 1952-1992 نموذجا-أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، السنة الجامعيّة 2003-2004، ص 337

[2]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ص 715

[3]- أحمد مرسي، الأغنية الشّعبية، الهيئة العامة للتأليف و النشر، القاهرة، 1970، ص 10، انظر: الكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ترجمة أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف و النشر، دار الكاتب، القاهرة، 1967.

وليست هي التي تعيش في جو شعبي)[1]، و يعقّب أحد الباحثين عن رأي بوليكا فسكي فيقول إنّ الأغنية الشّعبية "هي التي يغنّيها الشّعب و التي تؤدّي وظائف يحتاجها المجتمع الشّعبي. و على ذلك يمكننا أن نقول إنّ الأغاني الشّعبية هي حصيلة ذلك التّراث من الأغاني الذي تعرّض للتّغيير، و التّعديل أثناء انتقاله بطريق المشافهة"[2]

هذا التّعريف و التّعريفات التي سبقته قاصرة و لم تتناول المعنى الحقيقي للأغنية الشّعبية إلا من جانب واحد فقط دون إلمام بجوانبها الأخرى، ذلك أنّ الأغنية الشّعبية هي الأغنية المردّدة التي تستوعبها جماعة تتناقل آدابها شفاها وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي. وظيفتها تكمن في كونها" أكثر محافظة على الأسلوب الموسيقي الذي تستخدمه بالقياس إلى غيرها من الأغاني"[3]

وحتّى هذا التّعريف لا يخلوا من النّقص كونه أهمل جوانب مهمّة تعدّ بمثابة دعائم أساسية في الأغنية الشّعبية كالعفوية و الطابع المؤثر التي تحكيه كلماتها.

والأغاني الشّعبية لا تندرج كلّها تحت موضوع واحد بل هي متنوّعة بحسب النّشاطات، والظّروف والمناسبات التي تطبع حياة النّاس، و لا غرابة في ذلك لكونها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة الإنسان و تعكس أدقّ تفاصيلها.

ومن المفاهيم المقدّمة للأغنية الشّعبية كذلك: "هي تلك المقطوعة الشّعرية التي تغنّى بمصاحبة الموسيقى في أغلب الأحيان، والتي توجد في المجتمعات، فتتناقل آدابها عن طريق الرّواية الشّفوية، كما يتمّ حفظها من

[1]-المرجع السابق، انظر: Bolokavaski, the common, habitez (EDS), new view,London,1985

[2]- أحمد مرسي، الأغنية الشّعبية، ص11

[3]- المرجع نفسه، ص13-14

غير حاجة إلى تدوين أو طباعة، فضلًا على اعتماد موسيقاها على السّماع"[1]، وقد عُرِّفت بأنّها: "قصيدة غنائية ملحّنة مجهولة النّشأة ظهرت بين العامّة من النّاس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة أزمانًا طويلة"[2].

ومن خلال هذه التّعريفات المقدَّمة، على اختلافها، يمكننا القول إنّ الأغنية الشّعبية هي التي تتواتر عبر الأجيال بشكلٍ مستمرٍّ، و لأزمنة طويلة، و ترتبط بمكان وبيئة وجماعة ما من البشر، و لا يُشترط أن يكون مؤلِّفها مجهولًا، وهي تتأثّر بالبيئة التي تخرج منها، أي أنّ لها ارتباطًا ماديًّا وعقليًّا وروحيًّا بالمجتمع، وهي إبداع تلقائي صادر عن فكر ووجدان مشترك بين أبناء المجتمع، ويمارسها المجتمع في إطار من عاداته وتقاليده ومناسباته الاحتفالية المتنوّعة، و الأحداث التي كانت تجري في تلك الحِقبة.

وبهذا نقول إنّ الأغنية الشّعبية مرآة تنعكس عليها عواطف الإنسان الشّعبي، وطبيعته، وتفكيره، "إنّها ترتبط بأحاسيس النّاس وتتواصل مع مشاعرهم، إنّها تتميّز بالنّغمة و اللّحن ممّا يجعلها تنتشر وتتغلغل داخل الإنسان الشّعبي، هي نتيجة حصاد المهارة الفنيّة الفرديّة من خلال عمل عدد غير محدّد من المغنيين الشّعبيين الذين أسهموا في فترات زمنية متواصلة في صقلها إلى أن وصلت إلينا في شكلها الحالي. "[3]

الأغنية الشّعبية ذات طبيعة غنائيّة، تعالج موضوعات بقدر من الجديّة، و هي شكل متعدّد الجوانب من أشكال التّعبير الإنساني و متأصّل لدرجة يصعب معها تحديد أفضل الاتّجاهات لتناولها، " وقد ورثت الأغنية الشعبيّة رصيدًا ضخمًا من الرّموز و الدّلالات الموحية، الشّيء الذي جعلها معينًا لا ينضب للفنّان الذي يستطيع أن يستمدّ منها ما يُغني تجربته الفنيّة، و يستفيد من طبيعتها الرّامزة التي تتّسم بالشّمول

[1]_ فاروق أحمد مصطفى و مرفت العشماوي، دراسات في التّراث الشّعبي، دار المعرفة، الإسكندرية- مصر،ط01،2008، ص204

[2]_ فوزي العنتيل، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط01، 1987، ص 245

[3]- عبد القادر نطور ، الأغنية الشّعبية في الجزائر: منطقة الشرق الجزائري نموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية، 2008-2009، ص21-22

والاستمرار، و لها قابليّة الإضافات الجديدة التي يتطبّع بها الإنسان حتّى و لو في وسائل أدائها و هو دلالة على تجدّدها، و مقدرتها على تحميل الكثير من هموم العصر و ملابساته"[1].

## 4- الأغنية الشعبيّة إبان الثّورة:

كانت الكلمة الشّفوية ترصد أحداث الثوّرة التّحريرية، فهي "تسجّل و تنقل كل صغيرة وكبيرة، وتولّد عن كل حدث حكاية أو شكوى ينقلها الرّكبان و تتلقّفها الأذهان لتعبّر عن وضع مأساوي تعيشه الجماهير الشّعبية و تتفاعل معه"[2]، هذا الوضع متمثّل في ما خلّفه الاستعمار الغاشم من جرائم بشعة، كان لها تأثير كبير على الجانب النّفسي، بالتّحديد، فعبّر كل مواطن عن ألمه تجاه وطنه ، مبديًا رغبته الجامحة في مشاركة إخوانه المجاهدين في العمل الثّوري، و لو بقلمه أو لسانه، "وإلى جانب الدّور النّضالي البارز الذي أدّاه مُبدعو الأغنية في الأوساط الشّعبية المنتظمة في حلقات الأسواق والمواسم، كان مَن أبدع قصائد شعبيّة نضاليّة تبكي المجد الغابر، و تستعيد ذكريات الانتصارات، و تحرّض على المقاومة والنّضال، فسجّل المعارك التي خاضها الشّعب الجزائري في كلّ سهلٍ و جبلٍ، و في كلّ تلٍّ و وادٍ"[3]

هؤلاء المبدعون استطاعوا التّغلغل في النّفوس، و بث الحماس فيها، من خلال ما قدّموه من أغانٍ صادقة، لها صلة وثيقة بقضايا الشّعب، وانشغالاته، ولاسيما ما تعلّق بالثّورة فسجّلوا أحداثها "وانتصاراتها وانتكاساتها، سجّلوا بطولات رجالهم، وانسحابهم أو استشهادهم. فهم في كثيرٍ من الأحيان قد سجّلوا الأحداث منذ بداية الاحتلال إلى أن استردّت البلاد حريّتها، واستقلالها بواسطة التألّم، والتأسّف والسّخط،

[1] – بلحيا الطاهر، التّراث الشعبي في الرواية الجزائرية، بحث أصدرته مؤسسة الجاحظية، 2000، ص 140

[2] – عبد القادر خليفي، دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005، ص 13

[3] – حكيمة بوقرومة (جامعة المسيلة)، زاهية بوقرومة (جامعة تيزي وزو)، الأناشيد الوطنية و دورها التّعبوي خلال الثّورة، عنوان المداخلة: النّشيد الشّعبي الجزائري و دوره في تحريض الثّورة، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، ج2، 15-16 ماي 2013، ص 362

والدّعوة إلى التّغيير، والثّورة. إنّه رد فعل على المخطّطات الاستعماريّة المختلفة في مجالات السّياسة، والاقتصاد، والاجتماع، أي ضد عمليّات القمع و الإبعاد والإبادة والتّحقير"[1]

لذا يمكننا القول إنّ الأغنية الشّعبية الثوريّة ساهمت و بشكلٍ فعّالٍ في بلورة الفكر الثّوري، وعبّرت عن المواقف السياسيّة النضاليّة لدى الشّعب، ذلك أنّ " الكلمة أحد أنواع العمل الثّوري الواعي لأنّها من جنس الفعل"[2]، و قد شارك الرّجل و المرأة من خلال أغاني الثّورة التّحريرية حيث تجذّرت الرّوح الجماعيّة لدى المواطنين الذين قاوموا العدو الفرنسي كرجل واحد منذ دخوله أرض الجزائر، وكان الجميع من رجال و نساء يتمنّون أن ينالوا الشّهادة عن طريق الجّهاد، فكانت التّضحيات جماعية.

تحدّث الشّاعر صالح بودبوز[3] في محاورته الإذاعيّة حول قيمة القصيدة الشّعبية أثناء الثّورة التّحريرية ودورها، فذكر أنّها كانت إبان الثّورة وحتّى قبل أحداث 08 ماي الرّوح الضاربة، ومنبع الفكر النّضالي، فهي ذلك الأدب المحمّس لكلّ الشّعب الجزائري، ولاسيما في تناولها قضية عادلة، ومن خلالها استطعنا حفظ أسماء أبطال ، كما كانت مصدر نقل للأحداث، وأخبار المجاهدين، فهي —على حدّ قوله– بمثابة أبٍ لكل الفنون، باعتبارها مستوحاة من الأدب الشّعبي، فالكتّاب و المثقّفون الذين يكتبون بالفصحى يستوحون قصائدهم من كلام شعبي، وهذه حتميّة لأن الشّعر الشّعبي هو ذلك الصوت الذي يمثّل الأغلبية.

[1]– عبد القادر خليفي، دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، المرجع السابق، ص 26

[2]– عبد العزيز الشويط، دور النّشيد الشعبي الجزائري في معركة التّحرير الكبرى، دراسة في الأهداف و المرامي لمجموعة من الأناشيد الشّعبية الجزائرية، دار أمواج للنشر، الجزائر، ط1، نوفمبر 2005، ص 23

[3]– من الذين يكتبون القصيدة الشّعبية في عهد الاستقلال و عاش فترة قصيرة في عهد الاستعمار و كان كثير الاستماع للأغاني الشّعبية، و هو كاتب و شاعر مرموق يكتب بالعربية و الفرنسية له كتب مطبوعة و نشرت له كتابات، وقصائد في مجلات أجنبية.

كان لبعض الأغاني الشّعبية كأغاني بقّار حدّة في أغنية "خويا الجندي" –على سبيل المثال– رغم بساطتها إلاّ أنّها أدّت دورًا عظيمًا في خلق الرّوح الثّورية في نفس الشّعب، لما فيها من بعث الأمل والحماسة[1].

تعدّدت مضامين الأغنية الشّعبية الثّورية، حيث وصفت حياة المجاهدين بالجّبال، و المعارك التي كانوا يخوضونها ضدّ قوّات العدو الفرنسي، مع ذكر المكان و الزّمان، و الأسلحة المستعملة من كِلا الطّرفين.

"فالأغنية الثّورية هي وثيقة تاريخيّة أرّخت لأحداث مختلفة علاوةً على وظيفتها الإعلاميّة لتحسيس الجماهير الشّعبية حول الكفاح المسلّح و اطلاع الشّعب ببطولات جيش التّحرير الوطني التي كانت منطقة البحث فضاءً رحبًا لها"[2]

فالوظيفة الإعلامية تعدّ من أبرز وظائف الأغنية الثّورية، فنظرًا "لأهميّة الشّعر الشّعبي و ارتباطه الوثيق بالشّعب لجأ إليه قادة ثورة التّحرير الوطني من أجل إرسال الرّسائل الثّورية للشّعب الجزائري أو الرّسائل الدعائية للعدو الفرنسي ... ذلك أنّ للكلمة تأثيرها في النّاس وبخاصة إذا كانت الكلمة موزونة و ومقفّاة، فما بالك لو أدِّيت غناءً أو إنشادًا، فالأكيد الأثر سيكون أبلغ و أعمق"[3]

[1]– أحمد عاشوري، حصّة أسبوعيّة بعنوان صوت الجبال، تبث يوم السبت من 9 الى 10 صباحًا، إذاعة قالمة الجهويّة.

[2]– شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثّورية بين فترتي الثورة و الاستقلال (1954–1962) منطقة وادي الشولي –نموذجًا–جمع ودراسة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: الثقافة الشّعبية، تلمسان، 2004–2005م، ص 129

[3]– صالح جديد، الأغنية الشّعبية الثورية بمنطقة الطّارف: الجمالية الفنيّة و الرّسالة التّوثيقية و الإعلامية، الملتقى الوطني الأول: الأغنية الشّعبية في مواكبة ثورة التحرير، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ص14

والأغنية الشّعبية الثّورية تضمّ جُل النّواحي – عسكريًّا و سياسيًّا و اجتماعيًّا و اقتصاديًّا و تاريخيًّا –، لأنّ الثّورة التّحريريّة آنذاك تعدّ الموضوع الأساسي لكلّ السكّان في المناطق التي عمّتها أو مسّتها من قريبٍ أو بعيدٍ.

عثرنا على مجموعة من القصائد الشّعبية مبعثرةً على شكل مقطوعات يتداولها السكّان شفاهةً، جلُّها مجهولة المؤلِّف مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ الواردة في النّص، و السّبب راجع إلى عامل النّسيان الذي يؤثّر فيها إمّا بالزّيادة أو النّقصان، و إلى عامل التّحريف، فقد " تتعرّض الأغنية الشّعبية خلال مسيرتها من لسان إلى لسان، و من منطقة إلى منطقة أخرى لتعديلات، و إضافات، و تغييرات كليّة أو جزئيّة، يُنسى خلالها اسم المؤلّف؛ إذ أنّ كل أغنية لها مؤلّف واحد، لأنّ "الموهبة تعتبر فرديّة ولكنّ الاهتمامات الرّوحية و مضمون الخبرة ذات صفة مشتركة بين الجميع"[1]

اعتبر الباحثون في الشّعر الشّعبي نصوص فترة حرب التّحرير وثائق تسجيليّة أي أنّها عبارة عن بيانات عسكريّة و سياسيّة و اجتماعيّة، و أحداث قالمة تقدّم لنا حقائق و تفاصيل هامّة قد لا نجدها في غيرها من النّصوص الإبداعيّة و التّاريخية.

## 5– روّاة الأغنية الشعبيّة:

الروّاة هم فئة من النّاس الذين يعنون بنقل التّراث مشافهةً، و تداوُلِهِ من جيل إلى جيل حرصًا عليه من الضّياع، و هم عامة سكّان المنطقة من الرّجال و النّساء و الشيوخ، و هم يحفظون هذه النّصوص ويترنّمون بها في مواقعهم العادية تخفيفًا من همومهم أو رفعًا لأحزانهم ، أو ترويحًا عن أنفسهم في أثناء وجودهم فُرادى في أسفارهم، أو في ممارسة عمل جماعي و الدّرس و غيره، أو في داخل البيوت بالنّسبة للنّساء، وهؤلاء الروّاة لا فرق بينهم و بين الروّاة السّابقين إلا في شيئين اثنين:

[1]– أرنولد هاوزر، فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبدة جرجس، الهيئة العامّة للكتب، القاهرة، 1968، ص 299

1- أنّهم غير معنيّين بحفظ هذه الأغاني و متابعتها كلّها.

2- أنّهم لا يؤدُّونها في الحفلات العموميّة أمام المتفرّجين، أمّا الروّاة الآخرون فهم مطالبون بمتابعة ما يُستجد من النّصوص في السّاحة الغنائيّة وأدائها في أيّة لحظة و في أيّة مناسبة ودُّوا.

## 6- الأبعاد التي تطرحها الأغنية الشّعبية الثّورية:

اهتمّ مُبدعو الأغنية الشّعبية بكلّ ما يتّصل بالثّورة من مختلف النّواحي، و على جميع الأصعدة، ممّا أتاح لنا تحديد بعض وظائفها من خلال الأبعاد التي رمى إليها أصحابها في الأغنية الشّعبية، و التي يمكن إيجازها في الأبعاد الآتية:

### أ- البعد السّياسي:

غايته استقطاب الجّماهير الشّعبية حول الثّورة وفق التّوجيه السّياسي المتلقف من خطب السّياسيين والعسكريّين الملقية على الجّماهير الرّيفية، و في القرى و المدن في بعض الأحيان أو من التّعليقات السّياسية الإذاعية المذاعة من (صوت العرب) بالقاهرة أو (الإذاعة التونسية).

أي أنّ الشّعراء يأخذون من المنبع الأساسي ثم يترجمون تلك الأفكار في قصائدهم و يعيدونها بأسلوبهم الخاص، وعلى سبيل المثال فإنّ خطب السّياسيين تنحصر، في الأغلب، في التّوجيهات التي يتطلبها المقام، ويقتضيها الحال، فإذا حدث مثل ذلك حذا الشّاعر الشّعبي حذو السّياسي في القضية نفسها مثلما جاء في الأغنية الآتية:[1]

**نَظْمُوا بَعْضَـاكُمْ أَنْتُـمْ بَنْسَـــاكُمْ**[2]

[1] - منقولة عن طريق السّماع: عمار خطاطبة، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[2] - **بنساكم**: بنسائكم و هنا إشارة إلى مشاركة المرأة الجزائريّة في حرب التّحرير.

**جِيبُوا الميتْرَيَاتْ العَسْكَرْ أَكْلَاكُمْ**[1]

**خُوتي يَاخُوتي الوَطَنِيَّة**[2]

**ب- البعد الاجتماعي:**

يعني وجود تكافل تام بين مختلف الفئات الاجتماعية المختلفة؛ مدنية و عسكريّة، وكذا الفئات الاجتماعية المدنية فيما بينها و بين رجال الثّورة من سياسيّين، وعسكريّين، أي أنّ الأعمال الموزّعة على هؤلاء حسب موقع كل فئة يجب أن تتضافر وتتعاون لتحقيق هدف واحد هو الاستقلال.

وهذا التّعاون يجب أن يُلمس عمليًّا في المساعدات التي تقدّمها الفئات الاجتماعية المختلفة لبعضها؛ فالمدني عليه أن يكرم ضيفه الجندي، والجندي عليه حماية مواطنيه، والمناضل عليه بتبليغ البريد إلى أصحابه، والسّياسي مطالَبٌ بتتبّع العدو، وكشف أباطيله و تضليله حتّى لا تتحقّق أهدافه، وبذلك يبلغ القصد ويحقّق مراده . تقول الأغنية:[3]

**يَا مُول الكَارْ أَحَنَّانِي حَبَّسْ الكَارْ وَ ارْفَدْهُمْ**[4]

**لَيَــلْحَقْ لِــــيشَارْ وطُـــــورقْـــــهُمْ**[5]

---

[1]- **جيبوا**: أحضروا، **الميتريات**: تحريف لكلمة Mitrailleuse الفرنسية و تعني رشّاش، **أكلاكم**: أكلكم وهو تعبير مجازي المقصود منه هاجمكم.

[2]- **خوتي**: إخوتي أو إخواني و هم الثوّار.

[3]- منقولة عن طريق السّماع، بوثلجة حضرية 65 سنة، قالمة.

[4]- **مول**: صاحب، **الكار**: الحافلة، **أ**: أداة نداء للقريب، **حنّاني**: لفظة تقال من باب الاستعطاف ، **حبّس**: أوقِفْ ، **ارفدهم**: احملهم و المقصود هنا أركِبهم في الحافلة.

[5]- **ليلحق**: بمعنى قبل أن يصل ، **ليشار**: نقل حرفي لكلمة le char الفرنسية و تعني الدبّابة ، **طورقهم**: بمعنى تقتلهم.

وتقول أيضًا:[1]

**المجَـــــاهِدِينْ يَـــــا سْيَادِي أَعْطِيوْنِي رُخْصَة أَنْشُوفْ أولَادِي**[2]

**مَـــانِيشْ أنْـــفَرَّطْ فِي جْهَادِي نَضْرَبْ عْلَى دِينِي وَ انْحَرَّرْ بْلَادِي**[3]

## ج- البُعد العسكري:

يبدو النّص متنوّعًا متكيّفًا حسب المقام، أو الهدف الذي تطرّق إليه، فهو إلى جانب إعلامه بالمعارك والأحداث العامّة التي تقع في أغلب المناطق الوطنية فإنّه يتناول شخصيات بحسب رتبها؛ جنودًا وضبّاطًا، يتناولها واصفًا لها، أو مادحًا إيّاها، أو موّجهًا، أو مُنْبِئًا عنها ، فالجندي يواجه الخطر، و يخوض المعارك، لينتهي به المطاف إلى النّصر أو الاستشهاد، و النّص يرصد هذه الوقائع، و يسجّلها. تقول الأغنية:[4]

**نْهَارَكْ نْهَارْ الدُمَّـــارْ قْدَاتْ النَّارْ عْلَى نُصْ النْهَارْ**[5]

**مَاتُو عَشْرَة من الاَحْرَارْ**

وقد يتجاوز النص ذِكر الأعمال إلى وصف الصّورة أو المظهر، حيث يبيّن لنا لباس الجندي أو سلاحه من باب الاعتزاز و الافتخار. تقول الأغنية:[6]

---

[1] – منقولة عن طريق السماع، موادنة سلطانة، 87 سنة، قالمة.

[2] – **سيادي**: أسيادي قيلت من باب تعظيم شأن المجاهدين، **أعطيوني**: أعطوني أو امنحوني، **أنشوف**: أرى.

[3] – **مانيش**: لستُ، **انفرّط**: أفرّط، **نضرب**: أضرب و المقصود أحارب، **على ديني**: من أجل ديني الذي هو الإسلام، **انحرّر**: أحرّر.

[4] – منقول عن طريق السّماع: علال بلمير، 85 سنة، بوعاتي محمود

[5] – **الدمّار**: الضّيق و الشدّة، **قدات**: اشتعلت و كلمة قدات مأخوذة من أوقِدَت، **نص النهار**: منتصف النّهار.

[6] – منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

**جَانِي الحُوَّاتِي لَابَسْ لَبْسَة زِيتِي لَابَسْ الكِيبِيَّة وَبْبَاتْ فِي بِيتِي**[1]

نلاحظ من النّاحية الصّوتية وجود تناغم ، في قوله "زيتي" ، و "بيتي"، و هذا ما يدلّ على اهتمام مبدع الأغنية في كثيرٍ من الأحيان بإحداث نغم موسيقي تستهويه الأذن، و هو أمر طبيعي باعتبار الكلمات أُعِدّت خصّيصًا للغناء.

وتقول الأغنية:[2]

**نَحْكِيلَكْ يَا جُنْدِي خُويَا نَحْكِيـلَكْ عَالِّيصَـارْ**[3]

**وَ البْرِيطَة قَلْبَتْ لِشَارْ**[4]

وعمومًا فإنّنا نلمس في النّص الشّعري جوانب كثيرة ممّا يتّصل بمجاهدي (جيش التّحرير) أو بضُبُّاطه سواء اتصل ذلك بما سلف، أو بالعلاقات الوطيدة الموجودة بين المجاهد و بين الشّعب، حيث لا نجد حدودًا فاصلةً بين النّموذجين، ممّا جعل تكاملهما واضحًا ليس في الأغاني فحسب بل في السّاحة العملية أيضًا، فمرافقة النّموذج المدني للجندي تكاد تكون مرافقة الظّل للشجرة في السِّلم و الحرب.

تقول الأغنية:[5]

**رَبِّي جَانَا حَرْب التَّحْرِيرْ و طُحْنَا فِي قَاعْ البِيرْ**[6]

---

[1] – **جاني**: جاءني، **الحوّاتي**: اسم شهيد سنذكره لاحقًا، **لابس**: مرتدي، **لبسة**: بدلة، **زيتي**: لون الزّيت، **الكيبيّة**: نوع من القبّعات، **بيتي**: بلدية بومهرة أحمد حاليًّا.

[2] – منقولة عن طريق السّماع، بوثلجة حضرية 65 سنة، قالمة.

[3] – **نحكيلك**: أحكي لك و المقصود هنا أخبرك، **خويا**: أخي، **عالّيصار**: عن الذي حدث.

[4] – **البريطة**: سلاح إيطالي، **قلبت**: قَلَبَتْ أو أسقطت، **ليشار**: نقل حرفي لكلمة le char الفرنسية و تعني الدبّابة

[5] – منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[6] – **جانا**: أتانا، **طحنا**: سقطنا، **قاع**: قعر، **البير**: البئر.

**و نُضْنَا لِيهْ صْغِيرْ وَ كْبِيرْ و طَلعْنَاهْ بَالوَطَنِيَّة**[1]

**د– البعد التّاريخي:**

قال صالح خرفي عن البُعد التّاريخي: (.... **بل إنّ جوانب من مأساة الاحتلال افتقدناها في شعر الأمير، تطال عنّا بوجه سافر في الشّعر الملحون)**[2]

و الواقع هو ذلك إذ أن متابعتنا للنّص الشّعبي من هذه الزّاوية يجعلنا نجد الأماكن التي ترعرعت فيها الثّورة التّحريرية، و يعرّفنا بمعارك عديدة وقعت بالمنطقة ،كما يعرّفنا بالكتائب التي خاضتها، أو الفِرَق التي شاركت فيها، أو المسؤولين الذين قادوها، و النتائج التي نتجت عنها.

كما للنّص دور في تبيان العدد، فيذكر عدد الجنود مثلاً، و الأسلحة و العتاد، و أحيانًا الأماكن التي جاءت منها القوّات الجويّة و البريّة، واصفًا أيضًا جو المعارك بدخانها و اتّساعها و ضراوتها، ومدّة دوامها ولهذا فإنّ ما نجده مفقودًا في النّص المدرسي من الحقائق، نجده موجودًا بكيفية أو بأخرى في النّص الشّعبي غير أنّنا نلاحظ صعوبة تحديد تواريخ الأحداث و الوقائع التي سجّلها النص، حتّى أصحابه قد نسوا أو كادوا، و بما أنّ المراجع التّاريخية تكاد تكون معدومة فإنّ الصّعوبة تكون أكثر، و لعلّ الوصول إلى يوميات المجاهدين و المناضلين سوف يحدّد بالضبط تواريخ هذه الأحداث، كما سيحدّد مهمة الأشخاص المذكورين بأسمائهم، و ما حدث لهم أيضًا.

و عند ذلك تكون هذه النّصوص تاريخًا أكثر منها أدبًا، و في ذلك يقول عبد المالك مرتاض: (... **مما يلاحظ الباحث في الشّعر الشّعبي أنّ شعراء الملحون صرفوا اهتمامهم إلى القضايا الوطنية الخالصة**

[1]– **نضنا**: نهضنا، **طلعناه**: صعدناه و الهاء هنا تعود على البئر.

[2]– صالح خرفي ، مقدمة في شعر المقاومة الجزائرية، الثقافة، عدد 1975/29، ص 20-21.

**يصورونها في شعرهم، ويسلّطون عليها كثيرًا من الأضواء التي تعيد الباحث في تاريخ الحركات الوطنية في الجزائر...)**[1]

هذه القضايا التي أثيرت، فعلًا، عند شعراء الملحون صوِّرت في أشعارهم، تصويرًا دقيقًا خلافًا للنّص المدرسي الذي يتلافى التّجزئة و التّصوير الفوتوغرافي، و إن وجدنا الموضوعات موحّدة أو متقاربة، وهذا ما يعطي الخصوصية التي لابد منها للنّص الشّعبي.

**هـ- البعد الاقتصادي:**

مُثِّل الجانب الاقتصادي بوضوح في النّصوص، إذ تحدّث الأهل عن مصادر الرّزق التي كانت الثوّرة تأخذ منها، وعن الطّريقة التي تجمع بها هذه الأموال و الإعانات، و ما كان بين النّاس من تهافت على تقديم المساعدة لدعم الثّورة بكل ما استطاعوا. تقول الأغنية:[2]

**سِـــي محَمَّدْ يَـــاخُويَا أَنْتَ حُوَّاسْ فَالنَاحْيَة**[3]

**جِيبْ اسْلَاحْ وَ المالِيَّة خَادَمْ النِّظَامْ بَالسِّرِيَّة**[4]

دلّ النّص على جمع المال، و أشار إلى أنّ مصادر الرّزق في الثّورة هي جموع الشّعب الجزائري، كما أشار إلى تعيين أشخاص مكلّفين بهذه المهمة ، و من هؤلاء الأشخاص "السّياسي" الذي تتجمع لديه الأموال على مستوى "القسمة" ثم على مستوى "الناحية" و بعدها "المنطقة" ثم "الولاية" ثم الحكومة المؤقتة آنذاك.

[1]- عبد المالك مرتاض، دور الأدب الشعبي في التعبير عن الحياة العامة في الجزائر الثقافة، أكتوبر ، نوفمبر 1974 ، ص 85.

[2]- منقول عن طريق السماع، موادنة سلطانة، 87 سنة، قالمة.

[3]- **سي**: لقب بمعنى العارف بالكتابة و القراءة، و الشّيخ الذي يعلّم القرآن في كثيرٍ من الأحيان، **خويا**: أخي، **حوّاس**: كثير التجوال، **فالنّاحية**: في النّاحية.

[4]- **جيب**: أحضر.

## الفصل الأوّل: القيم التي تغنّت بها الأغنية الثّورية

أوّلاً/ الحريّة

ثانيا/ الهويّة الوطنيّة

ثالثًا/ التّضامن

رابعًا/ الشّجاعة

تعدّدت مضامين الأغنية الشّعبية الثّورية ، حيث وصفت مختلف جوانب الحياة، فهي مرآة عاكسة لحياة الجّماهير الشّعبية، استطاعت أن تصوّر وقائعهم أحسن تصوير، بكلمات بسيطة شاعريّة، و أنغام عذبة، كما تميّزت بصفة الشمولية لحنًا و إيقاعًا عبر ربوع الوطن، وقد تناولت الأغنية عدّة قيم كان لها دور فعّال في تحريك الحسّ الوطني، و بعث الحماسة في قلوب المواطنين، و من ضمن هذه القيم يمكن الحديث عن:

**أوّلاً/ الحريّة:**

الحريّة شمس يجب أن تشرق في كلّ نفسٍ، فمن عاش محروماً منها عاش في ظلمة حالكة، ولا سبيل إلى السّعادة في الحياة إلا إذا عاش الإنسان فيها حرًّا طليقًا.

فالحريّة ليست في تاريخ الإنسان حادثاً جديداً، و لكن هي الفطرة التي شبّ عليها منذ أن كان في بطن أمّه جنيناً، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارًا؟**"[1]

والحريّة، أيضاً، ليست مقصورة على الإنسان فحسب ، بل على كلّ كائن حي، قال الرّسول –صلّى الله عليه و سلّم– :"**دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأكُل مِنْ خَشَاشِ الأرْضِ**"[2].

فالحريّة حقٌّ مشروعٌ لكل شعبٍ و أمّةٍ، و كلّ كائنٍ حيٍّ، و إذا حُرم منها الأفراد فإنها تُؤخذ بالقوّة، وقد عُرف هذا المصطلح منذ القِدم، فقد كانت الشّعوب تكافح من أجل استرجاع الحريّات، و بعيدًا عن التّعريفات الفلسفيّة فإنّ الحريّة في المفهوم الشّعبي مرادفة للفظ الاستقلال، وإن كانت الحريّة أشمل.

وقد ورد المفهوم اللّغوي لهذا اللفظ في اللغة العربية بقوام " الحر خلاف العبد"[3]، وفي شرح معاني كلمة الحرية: "والحر بالضّم: نقيض العبد والجمع أحرار وحرار، الأخيرة عن ابن جني عثمان الموصلي (322-392هـ)، والحرّة: نقيض الأَمَة والجمع حرائر. وحرره، وفي الحديث من فعل كذا

[1]– عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، طبعة الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، 1399هـ-1979م، ص 146-147

[2]– محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، ط2، ت 1414هـ/ 1993م، ج2، ص69

[3]– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد و الأنباء، الكويت، 1385هـ-1965م ، ج10، ص 573

وكذا فله عدل محرّر أي أجر معتق، المحرِّر الذي جعل من العبيد حرًّا فأعتق، يقال حرّ العبد يحر حرارة بالفتح أي صار حرّا"[1]

وقد تطوّر مفهوم الحريّة، فاتخذ مضامين عدّة:سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وثقافيّة،ودفع شعار الحرية معبِّرًا عن توق الإنسان العربي للاستقلال والحياة الكريمة واسترجاع الأمجاد التاريخية.

وفي هذا الصّدد يقول أحد الباحثين: "إمّا أن نحيا أحراراً أو نموت أحراراً. وإذا كان لابدّ من هلاكنا فعلينا أن نموت كما يليق بالأحرار، وإذا لم تكونوا أحراراً من أمّة حرّة فحريّات العالم عارٌ عليكم"[2] فهو يوضّح لنا أنّ الحريّة لا يفهمها إلّا أصحاب النّفوس الكبيرة، الذين يرون الحياة حريّة وعزّة. وأنّ دماءهم رهنٌ لحريّة أمّتهم وسيادتها، ولاسيما المضطهدين في الأرض.

و كلّما ازداد القيد صعوبةً كلّما ازدادت الحريّة حريّة، "فالشّاعر و هو ينظم لفظه في قصيدة أكثر حريّة ممّن يقذف بكلماته قذفًا ... لأنّه يضع أمام نفسه صعوبات الوزن ليغلبها وكأنّها ليست عقبة في الطّريق"[3]. و إذا ما طبّقنا هذه النظرة في مفهوم الحريّة على الشّعوب المضطهدة لوجدنا تلك العقبة تكمن في الاستعمار، "فغدت الحريّة بذلك هدفاً لنضال الشّعوب المستضعفة والطبقات المضطهدة والضّمائر الطّيبة أكثر منها مادّة لتأملات المفكّرين، اللهمّ إلاّ أن يكونوا مفكّرين سياسيّين وقانونيّين يضبطون مجالات الحريّة في إعلاناتهم لحقوق الإنسان وفي الدّساتير ولدى حديثهم عن نشأة الدّولة ..."[4]

و هذا ما افتقر إليه الشّعب الجزائري إبان الفترة الاستعماريّة، بل و على عكس ذلك عانى الذّل والهوان، و تعرّض للأهوال من أجل انتزاع حريّته المسلوبة، تلك الحريّة التي تغنّت بها الأرامل في أكواخهن، و الثوّار في ساحات الوغى:[5]

**الطَّــاهَرْ الفَلْفُــولِي يَضْرَبْ بَالْقَارَا وَ العْشُورِي**[6]

---

[1]- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج4، ص181

[2]- عائد عم علي، الحريّة بين المفهوم و الممارسة، مجلة تحولات، العدد 5، تشرين الثاني، 2005، الموقع: http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=168

[3]- زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، دار الشروق، القاهرة – بيروت، ط3 ،يناير 1989، ص 18

[4]- راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1993، ص32

[5]- منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[6]- **الطاهر الفلفولي**: اسم مجاهد، **القارا**: سلاح فردي مأخوذ من اللفظ الأجنبي "GARA"، **العشوري**: نوع من السّلاح.

**قَـالهَا يَا فْرَنْسَا ثُورِي بَرْكَاك مَنْ ضَرْبَة لأَحْرَارْ**[1]

ففي أواخر ستّينيات القرن الماضي أصبح جلّ الشّعب الجزائري منظّمًا تحت لواء جبهة التّحرير الوطني، ولم تستطع قوّات الاحتلال الفرنسي أن تنال من قوّات الثّورة المسلّحة، وهذا العجز جعلهم يحتارون أكثر فأكثر، وفي الخامس من شهر أوت من سنة 1958م قام فوج بقيادة "الطاهر بوفلفل " المدعو "الفلفولي" بتحطيم الطّريق الرّابط بين قالمة وسدراتة بكاف المخدوم بناحية ماونة[2].

وقد ظلّ المفكّرون الجزائريّون الإصلاحيّون أو السياسيّون على حدٍّ سواء يردّدون لفظ "الحريّة" ويستعملونه في خطبهم و كتاباتهم و مؤتمراتهم على أنّها حقّ من حقوق الشّعب الجزائري المضطهد، و ورد هذا اللّفظ في أسماء أحزابهم، مثل: حزب "**انتصار الحريّات الديمقراطية**" وحزب "**أحباب البيان و الحريّة**".

وتحدّث عن موضوع الحريّة كثير من الشّعراء والأدباء أمثال **محمد العيد آل خليفة** إذ يقول:[3]

**قَدْ ذَهَبْنَا إلَى المَيَادِينِ نَغْزُو وَ رَجَعْنَا مِنْهَا بـــالاسْتِقْلال**

**إنَّ حُرِيَّـــة الجَزَائِـــرِ حَقٌّ لَيْسَ فِيهَا مِنْ رِيبَةٍ أوْ جِدَالَ**

إنّ فرنسا أثناء وجودها في الجزائر استغلّت ضعف الشّعب وظنّته عبدًا لها، تأمره فيطيع وينفّذ، ولكنّ الشّاعر في هذه الأبيات يقنعها بكون هذا الشّعب ينشد الحريّة والسّلام.

كما تحدّثت القصيدة البدوية كثيرًا عن الحريّة، والاستقلال، والنّصر طيلة مراحل الكفاح المسلّح:[4]

**أَحْنَا طَـــالْبِينْ الحرِيَّـة عْمُرْنَا مَـا كُنَّا فْرَانْسِيسْ**

**إذَا كُنْت حُـرْ ظْرِيـــفْ اَسْتَعْرَفْ أنْتَ يَا رْخِيسْ**

**جِيشْ التَّحْرِيرْ مَا يَقْبَلْ غِيـــرْ الشـــيء النفِيسْ**

يؤكّد مبدع الأغنية أنّ الشّعب الجزائري يطلب العيش حرًّا طليقًا في أرضه التي حُرِم منها، وجُرّد من كلّ ما يملك، فجيش التّحرير لم يستسلم للعدو و لم يرضخ بل ناضل و كافح من أجل

[1]– **قالها**: قال لها ، **ثوري**: المقصود هنا ارحلي، **بركاك**: كفاك

[2]– حرب التّحرير الوطني عبر ولاية قالمة (نوفمبر 54-62) ج1.

[3]– ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة-الجزائر، 2010م، ص 390

[4]– منقولة عن طريق السّماع: محمد روابحية ، 65 سنة، بوحشانة، بقالمة.

استرجاع كرامته لأنّه لا يقبل أن يُهان أو يعيش حياة المذلّة، بل كل الذلّ والمهانة للاستعمار الذي اختار أن يعيش في أرض غير أرضه، و يستنزف ما فيها من ثروات.

## 1- ثمن الحريّة:

استطاع الشّعب الجزائري استرجاع حريّته، وسيادته الوطنيّة من خلال عدّة مقوّمات، لعلّ أبرزها التّضحية و قوّة الإرادة.

### أ- التّضحية:

عاش الجزائريون ردحًا من الزّمن تحت الاحتلال الفرنسي، لا يستطيعون، فيه، أن ينطقوا بكلمة الوطن والوطنية لأنّها تؤدّي إلى الهلاك المؤكّد، وبفضل نضال السّاسة، والزّعماء، ورجال الإصلاح، أصبح النّاس يصدعون بمطالب وطنية تخصّ الوطن، والشّعب، والهويّة، والحريّة، والاستقلال . كان شعار ابن باديس (**الحق فوق كلّ أحد والوطن قبل كلّ شيء**)، وأكّد أنّ الوطنية الحقّة هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها، وعلى الأمّة بجميع مقوماتها، وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها[1] ، ومن درس أقوال ابن باديس، شعرًا ونثرًا، منذ سنة 1937 م، تيقن أنّه كان مؤمنًا بالثّورة، عاملًا لها ، حيث يقول: "**والله لا تسلمنا المماطلة إلى الضّجر الذي يقعدنا عن العمل، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتّضحية، فما المغامرة في ميدان الكفاح إلّا الثّورة المسلّحة**"[2]

قال الشّاعر أحمد شوقي:[3]

**وَ مَا نَيْلُ المطَالِبِ بِالتَّمَنّي وَ لَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا**

فلكلّ مطلبٍ أسباب يجب توفّرها لتحقيقه، وتحقيق الحريّة يتطلّب دماءً طاهرة ، وتلك هي التّضحية، التي نلحظها كثيرًا في الأغاني الثّورية المتعلّقة بالحريّة، إذ غدا كلاهما لصيقًا بالآخر لا

---

[1]- مجلّة الشّهاب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، المطبعة الإسلامية الجزائرية، الجزائر، ج7 ، 13 سبتمبر ، 1937م، ص 306 .

[2]- محمد مسعي، دور أعلام منطقة أم البواقي في الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية، محمد مساس الإبراهيمي وأبو القاسم الزغداني – نموذجا- 1900-1962م، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 1430-1431 هـ، 2009-2010م، ص 100

[3]- أحمد شوقي، كتاب الشّوقيات، دار العودة، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص71

يفارقه، فلا حريّة بلا تضحية، ذلك أنّ " تحدّي الموت و قهره يحمل في النّهاية معنى الانتصار على القهر والرّضوخ الذّين يعنيان موتًا معنويًّا و وجدانيًّا"[1]

وقد كانت التّضحيات التي قدّمها الشّعب في هذه الحرب كبيرة، فكم من فارس لفظ أنفاسه في ساحة الوغى، والتحق بالأبطال الرّاحلين ليكتب صفحةً أخرى في كتاب الثّورة ، ومن الآيات الكريمة التي تحدثت عن التضحية قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[2]

وقد أكّد الشّعب الجزائري أنّ الجزائر لن تكون دولةً فرنسيةً، وأقسم على أنّها لن تنال أطماعها الدّنيئة، لأنّها تتعامل مع أناسٍ لا يرهبون الموت، بل يرونه عزّة و كرامة:[3]

**يَا فْرَنْسَا رَبِّي يَهْدِيكْ لَافْرِيـكْ رَاهُو خَاطِيكْ**[4]

**طِيرِي يَا فْرَنْسَا طِيرِي وَ الله مَا تَدِّي لَا لجِيرِي**[5]

**شُبَّانْ وطَلْبُوا التَّضْحِيَّة**

أقسم الشّعب أنّ العدو لن يتمكّن من السّيطرة على أرض الأجداد، ولن تكون، أبدًا، مرتعًا له، يتمتّع بخيراتها، ذلك إنّ الشّعب الجزائري شديد التمسّك بأصالته ، يعي جيدًا معنى التّضحية و يحب أن يعيش معزّزًا، ومكرّمًا، وحرًّا على أرضه ، وبالفعل فإنّ بسالته، وشجاعته، وقوّته سحقت أوكار المستعمر، واستأصلت آثار الظلم والطغيان ، فطهّر أرضه من رجس العدو وملأ تاريخه بالبطولات المظفرة، فأزال فرنسا وأنهى وجودها من الجزائر .

هذا الشّعب الذي ذاق ويلات الاستعمار، وذاق مرارة الظلم، والاستغلال لم يستسلم لعدوّه رغم قوّته الماديّة و البشريّة، وقد ضرب أمثلة رائعة في البطولة والفداء فسطّر بدمائه هجمات لن ينساها التاريخ. تقول الأغنية:[6]

---

[1]– عبد القادر خليفي، دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005، ص 51

[2]– سورة الأحزاب، الآية 23

[3]– منقول عن طريق السّماع: علال بلمير، 85 سنة، بوعاتي محمود

[4]– **لافريك**: منقولة حرفيًّا عن كلمة Afrique الفرنسية أي افريقيا، **راهو**: إنّه، **خاطيك**: ليس لك

[5]– **طيري**: بمعنى انصرفي أو غادري، **ما تدّي**: بمعنى لن تنالي، **لالجيري**: منقولة حرفيًّا عن كلمة Algérie بالفرنسية و تعني الجزائر.

[6]– منقول عن طريق السماع: مهدي بهلول، 83 سنة، بلدية بومهرة أحمد

**أَخُوتِي دَمْ الشُبَّانْ مْفَرَّقْ و مَتْبَزَّعْ في كُلْ الطْرُقْ**[1]

**أَخُوتِي مَـاتُوا عْلَى الحَقْ و مَاتُوا فـي سَبِيلْ الحُرِيَّة**

خُلق أبناء الجزائر ليعيشوا أحرارًا وينعموا بأجواء الحريّة الفسيحة التي لا تعرف قيدًا، ولهذا ضحّوا بأنفسهم من أجل تحقيقها، وتأكيدها، فواصلوا الكفاح حتّى النّصر الذي سجّلوه بدمائهم، وسطّروه بأرواحهم. تقول الأغنية: [2]

**المجـــاهْدِينْ يَـا الهمَّة أَعْطِيـــوْنِي رُخْصَة نْشُـــوفْ يُمَّة**[3]

**لحَضْرَتْ المُوتْ نْمُوتْ ثَمَّة نَضْرَبْ عْلَى دِينِي وَ نْحَرَّرْ بْلَادِي**[4]

يمدح هذا المجاهد إخوانه أصحاب الهمم العالية، و يستأذنهم في أخذ فرصة لزيارة والدته التي التاع قلبها فراقًا، و أبدى استعدادًا منه لاستقبال الموت، والاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق والدّين، تحرير الوطن.

كما يحثّ صاحب الأغنية المجاهدين على الاتّحاد والتكاتف ، فيقول: [5]

**يَـا خُـوتِي المجَاهْدِينْ كُونُوا خَـاوَة مُتَّحْدِيـــنْ**[6]

**إذَا مَتُّوا مُوتُو عَالدِّينْ و إذَا عَشْتُو جِيبُو الحرِيَّة**[7]

خيّر المغنّي إخوانه المجاهدين بين أمرَين كلاهما حلو، فإمّا التّضحية والاستشهاد، وقد ربط هذا الخيار بالدّين لما أعدّه الله تعالى من أجرٍ عظيمٍ في الآخرة، قال عزّ و جل : ﴿ **وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[8]

وإمّا مواصلة الجهاد و الكفاح، وقد ربطه بالأجر الدُّنيوي الذي يكمن في نيل الحريّة والاستقلال.

---

[1]– **اخوتي**: إخواني، **مفرّق**: متفرّق، **متبزّع**: متناثر

[2]– عبد العزيز بومهرة، الحرية و التضحية في الأغنية الشعبية – ولاية قالمة نموذجا، الملتقى الوطني: الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمة، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، ، ص1

[3]– **اعطيوني**: امنحوني، **يُمّة**: أمّي

[4]– **لحضرت الموت**: إذا جاءني الموت ، **ثمّة**: هناك، **نضرب**: بمعنى أجاهد، **نحرّر**: أحرّر

[5]– عبد العزيز بومهرة، الحرية و التضحية في الأغنية الشعبية ، المرجع السّابق، ص 3

[6]– **يا خوتي**: يا إخوتي، **خاوة**: إخوة

[7]– **متّوا**: متتم بمعنى استشهدتم، **عالدّين**: من أجل الدّين، **عشتوا**: عشتم أو كتب الله لكم الحياة ، **جيبوا**: أحضروا والمقصود هنا: أحرِزوا النّصر

[8]– سورة النّساء، الآية 74

ونجد في أغنية أخرى روح التحدّي و القوّة في نفوس المجاهدين: [1]

**العَسْكَرْ اللّي جَانَا إيفَرْكَتْ في الدُوَّارْ اتْحَزْمُوا يَا جُنُودِي انْشَعَّلْ فِيهْ النَّارْ**[2]

**فَــزْعَتْ بَـــــالقُوَّة و ثَـــارْ الغَبَّارْ فْرَانْسَا الغَدَّارَة بْرَبِّي انْعِيشُو أَحْرَارْ**[3]

تندرج معظم مفردات المقطع ضمن معجم الشّجاعة وشدّة البأس: " **اتحزموا**" ، "**انشّعل فيه النّار**"، **القوة**"، "**ثار الغبار**"، فالمقطع يعبّر في مضمونه عن صورة الرّعب و الهول التي يُعِدُّها الثوّار ضد المستعمر، لنيل حريّتهم، و استرجاع سيادتهم.

ويؤكّد مبدع الأغنية قيمة التّضحية، التي آمن بها رجال الثّورة الأوائل، و منهم باجي مختار[4]:

**بَـــــاجِي مخْتَارْ خَلَّى مِيزَانْ فَتْحَنَّا بَـــــابْ الحـــرِيَّة**[5]

**مَاتْ شَهِيدْ وَ مْعَاهْ بَنْ بُو العِيدْ و هُمَّــا مَظَاهِرْ التَّضْحِيَّة**[6]

يشيد المغنّي بتضحية الشّهيدين باجي مختار و بن بو العيد، و يرى أنّ مبادرتهما ذات فضل عظيم في استنهاض الشّعب و دفعه إلى الجهاد.

وفي نفس الصّدد يقول المغنّي في قصيدته:[7]

**الله يَنْصَرْ حِزْبْ الثُوَّارْ أَلّي قَامُوا لَلْدِّينْ جْهَـارْ**[8]

**أَخُـوتِي دَمْ الشُبَّـانْ مَتْبَزَّعْ فِي كُلْ الأَوْطَانْ**[9]

**أَخُوتِي رَاهُمْ خُيَّـــانْ مَاتُوا فِي سَبِيلْ الحرِيَّـة**[10]

---

[1]– عبد العزيز بومهرة، الحرية و التضحية في الأغنية الشعبية ، ص 11

[2]– **العَسْكَرْ**: الجيش الفرنسي،**اللّي**: الذي ،**جَانَا**: جاءنا أو أتانا، **إيفَرْكَتْ**: يبحث أي أنّ العساكر تبحث عن الثوّار، **في الدُوَّارْ**: الرّيف أو الدّشرة ،**اتْحَزْمُوا**: أي جهّزوا أنفسكم، **انْشَعَّلْ**: أوقِد

[3]– **فَزْعَتْ**: هُلِعت ، و ضمير التاء هنا يعود على فرنسا، **ثَارْ الغَبَّارْ**: تطاير الغُبار، **انْعِيشُو أَحْرَارْ**: نعش أحرارًا.

[4]– ترجمته في : سلاطنية عبد المالك، قالمة من فجر التاريخ إلى ثورة نوفمبر الخالدة، مطبعة ولاية قالمة، أكتوبر 2002، 331-325/1

[5]– **خَلَّى**: ترك

[6]– **معاه**: معه ، **هُمّا**: هم

[7]– منقول عن طريق السّماع: نجلة بوناب، 96 سنة، حي زنداوي– قالمة

[8]– **ألّي قاموا للدّين جهار**: الذين جاهروا بثورتهم من أجل نصرة الدّين.

[9]– **أخوتي**: إخوتي، **متبزّع**: متناثر

[10]– **راهم**: إنّهم ، **خيّان**: إخوة

**أَخُـــوتِي دَمْ الـشُبَّـــــــانْ مْفَـتـــرَّقْ فِـي كُـــلْ الطْرُقْ[1]**
**أَخُـــوتِي مَـــاتُوا عْلَى الحَقْ و مَـــــاتُوا فِي سَبِيلْ الحرِيَّة**
**أَخُـــوتِي طَـــــابَعْ لِـــدَارَة لِحَـــارْبُـو بيـــهْ النْصَـارَى[2]**
**أَخُـــوتِي مَطْبُـوعْ خْسَـارَة مَطْبُـــوعْ بْخَـطْ الحرِيَّـــة**
**فْرَنْسَـــا تَـطْلَبْ فَـالهُدْنَة عَنْبَلْهَـــا ذَرِّي تْـسَقَّدْنَـــا[3]**
**لِيـــنَا يَـــاسَرْ وَ رْقُـــدْنَـــا وكِـــي فْطَنَّـــا نَدُّو الـحرِيَّـــة[4]**
**الطَيَّـــارَة أذِيـــكْ الـكَبْتُورَة وْ عْلَى جْبَـــلْ الأوْرَاسْ تْـــدُورْ[5]**
**خْرَجَّـلْهَـــا سِـــي مَـــدُّورْ ضْرَبْـــهَا طَيْـــرَلهاَ المُتُـورْ[6]**
**الطَيَّـــارَة أَذِيـــكْ الكَشَّـــافَة جَـــابَتْ عْلَى جْبَـــلْ الأَوْرَاسْ[7]**
**خْرَجَّـلْهَـــا سِـــي عَمَّـــارْ هُوَ العَسَّاسْ ضْرَبْهَا طَيْرَلْهَا الرَّاسْ[8]**
**شُوفُـوا شُوفُـوا هَذَاكْ الغَارْ خَرْجـــوا مَنُّـــو الأَحْـــرَارْ[9]**
**يْكَـــافْحُوا فِي الاسْتِعْمَـــارْ يَـــا رَبِّـي تُـــنْصَرْ لَدْيَـــانْ[10]**

استهلّ الشّاعر قصيدته بالدّعاء وطلب النّصر والفرج من الله للمجاهدين الذين جاهروا بإسلامهم وكفاحهم، فاختزل في هذا البيت بسالة الثوّار وإعانة الله لهم، وإمدادهم بالنّصر لأنّهم يسيرون على خطى هَديْه.

---

[1]– **مفرّق**: متفرّق، متناثر

[2]– **طابع لدارة**: ختم الإدارة المتعلّق بالنّجمة و الهلال إشارة إلى العلم الوطني، **لحاربوا بيه**: الذي حاربوا به

[3]– **عنبلها**: في ظنّها ، **ذرّي**: أطفال صغار، **تسقدنا**: تقضي علينا

[4]– **لينا**: لنا ،ياسر: **كثيرًا، كي**: عندما، **فطنّا**: أفقنا من نومنا، **ندّو**: نَنل، و معنى البيت أنّ لنا فترة طويلة كنّا في سباة، لم نتفوه بكلمة، لكن عندما أفقنا فإنّنا لن يغمض لنا جفن حتى ننل الحريّة

[5]– **الطيّارة**: الطائرة، **أذيك**: تلك، **الكبتورة**: مأخوذة من كلمة hélicoptère الفرنسية و تعني الطائرة المروحيّة، **تدور**: تحوم

[6]– **خرجلها**: بمعنى تصدّى لها، ، **طيرلها**: انتزع منها، **المتور**: مأخوذة من كلمة moteur الفرنسية وتعني محرّك.

[7]– **جابت**: بمعنى مرّت بـ

[8]– **العسّاس**: المكلّف بالحراسة، المترقّب ، **الرّاس**: الرأس

[9]– **منّو**: منه

[10]– **لديان**: الأديان

وفي الأبيات الموالية ألقى الضّوء على ثلاثة أمور، هي: التّضحية، والشّجاعة، والحريّة، وكلّ منها لصيق بالآخر؛ فالحريّة لا تُنال إلى بالتّضحية، وهذه الأخيرة لا تحصل إلّا بالشّجاعة و قوّة الإرادة، فنلاحظ أنّ العبارات الدّالة على التّضحية كثيرة، نذكر منها: "**دم الشبّان متبزع في كل الأوطان**" ، "**ماتوا في سبيل الحريّة**"، "**دم الشبّان مفرق في كل الطرق**"، "**ماتو على الحق**" ، "**وماتوا في سبيل الحريّة**".

توفّر حقل الحريّة الذي ضمّ المفردات الآتية: " **الحريّة**" تكرّرت أربع مرّات لتأكيد حصولها عاجلًا أو آجلًا، و كذلك "**ينصر**" ، "**الأحرار**" ، "**تنصر**".

أمّا الشّجاعة فقد ضرب الشّاعر أمثلة عن مجاهدين، وشهداء شجعان، خاضوا المعارك بكل ما أوتوا من صلابة و عزيمة، أمثال: "**سي مدّور**" ، و "**سي عمّار**".

والمواضع التي ذُكرت فيها التّضحية كثيرة نذكر منها:[1]

**مَا تَبْكِيشْ عْلِيَّا يَا لمَيِّمَة بُوطُوقَازْ كْلَالِي رَجْلِيَّا**[2]

**وَالله مَا نَرْجَعْ إلاَّ إذَا جَبْتْ الحرِيَّة**[3]

و تقول الأغنية في أحد الأبطال الذين ضحُّوا بأنفسهم ليُخلِّفوا فرحة النّصر لأبنائهم:[4]

**و مَاتْ سِي امْبَارَكْ يَاوْ خَلَّى الجاَدُورْ**[5]

**جَـــابَنَّا الحرِيَّـــة خَـلَّانَـا الحرِيَّـــة**[6]

و في موضع آخر:[7]

**يَا ليلي يَانَا يَانَا عْلَى لُولِيَّة**[8]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس

[2]– **عْلِيَّا**: من أجلي ،**يَا لمَيِّمَة**: يا أمّي، **بوطوقاز**: حذاء عسكري، **كْلَالِي**: أكل، **رَجْلِيَّا**: رِجْلاَيْ، أي أن الحذاء العسكري كان صلبًا ضيّقا على القدمين فأنهكهما.

[3]– **جبت**: أحضرت.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليو بوليس

[5]– **خلّى**: ترك، **الجادور**: الحصان، و المقصود به حصان سي امبارك فنيدس

[6]– **جابنّا**: بمعنى أحرز لنا ، **خلانّا**: ترك لنا

[7]– منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس

[8]– **يَا ليلي يَانَا يَانَا عْلَى لُولِيَّة**: لازمة يردّدها مغنُّوا الأغاني الشّعبية من باب الإيقاع الموسيقي و تحقيق التّناغم بين الأبيات.

**جَابَنَّا الحريَّة خَلَّانَّــا الحريَّة**

فالتّضحية من أجل الحريّة واجبٌ و شرفٌ، و الاستشهاد في سبيل الوطن المغتصب أفضل من حياة الذلّ و الهوان.

وبين البطولة والتّضحية خيط رفيع جدًّا؛ إذ لا بطولة من دون تضحية، وهما معًا عنوان لهوية متجذّرة بلا ريب، فهي الحافز والدّافع للقيام بالأفعال الخارقة، ولقد تحمّل هؤلاء الأبطال مسؤولية تسيّير ثورة، عدّها المؤرّخون أكبر ثورة في القرن العشرين، ليس فقط لقوّتها العسكرية، بل لإيمان الشّعب بها، والتفافه من حول قادتها، رغم كلّ الصّعوبات التي واجهتهم، و رغم كلّ المحاولات التي قام بها العدو الفرنسي من أجل القضاء على هذه الثّورة في مهدها.

تقول الأغنية:[1]

**يَا يُومَّة اَعْلَاهْ تَبْكِي عْلِيَّا وَلْدَكْ اَمْجَنَّدْ فَالوَطَنِيَّة**[2]

**حُبْ الجزَائِرْ وَاجَبْ عْلِيَّا رُوحِي و مَــالِي لِلْوَطَنِيَّة**

**يَا يُومَّة اَعْلَاهْ تَبْكِي عْلِيَّا وَلْدَكْ اَمْضَحِّي عَالحرِيَّة**[3]

**دَمِّي نَعْطِيكْ، رُوحِي نَفْدِيكْ**[4]

**دَمِّي نَعْطِيـــهْ لْوَطْنِـــي ضْدْ الحكُومَة الاسْتِعْمَارِيَّة**[5]

**يَا يُومَّة عْلَاهْ تَبْكِي عْلِيَّا وَلْدَكْ اَمْجَنَّــدْ فَالوَطَنِيَّــة**

يستنكر هذا المجاهد بكاء أمّه وحرقتها عليه، ذلك أنّه يقوم بالواجب الوطني الذي أُسنِد إليه، فروحه وماله فداء لوطنه، ودمه الطّاهر يعدُّ تضحيةً من أجل النّصر، وتطهير البلاد من المستعمرين.

**ب– قوّة الإرادة:**

نقصد بقوّة الإرادة هنا، تلك الرّوح المفعمة بقوّة الإيمان؛ الإيمان بعدالة الخالق، والإيمان بالهدف السّامي الذي نسعى إلى تحقيقه، فرسولنا الكريم –صلّى الله عليه و سلّم– علّمنا من

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة

[2]– **يُومَّة**: أمّي ،**اَعْلَاهْ**: لماذا، **عْلِيَّا**: من أجلي ، **وَلْدَكْ**: ابنك، **اَمْجَنَّدْ**: مجنّد في جيش التحرير ،**فَالوَطَنِيَّة**: في الوطنيّة.

[3]– **اَمْضَحِّي**: مُضحّي، **عَالحرِيَّة**: من أجل الحريّة

[4]– **دَمِّي نَعْطِيكْ**: أعطيك دمي، **رُوحِي نَفْدِيكْ**: أفيدك بروحي، ورد هنا التقديم و التأخير للاهتمام بأمر المتقدّم: (الدّم والرّوح).

[5]– **نَعْطِيهْ**: أعطيه.

خلال أحاديثه الشّريفة بأنّ الله تعالى حثّنا على توفير الأسباب لنيل المطالب، وقوّة الإرادة تدفع بصاحبها إلى الاجتهاد و العمل، كذلك فعل الثوّار عندما تسلّحوا بالعزيمة فلم يقبعوا في بيوتهم منتظرين الفرج، بل سعوا جاهدين إلى تقديم أسباب النّصر.

و من بين الأغاني الشّعبية التي تُبرز قوة الإرادة و العزيمة لاسترجاع الحريّة:[1]

**يَا لِيلِي يَامَّا و أنَا لِيلِي لِيَّــا نَكْتَبْ بَالسْطَامْبَا وَ نْجِيبْ الحُرِيَّة**[2]

و كذلك:[3]

**يَالِيلِي يَانَا وَ أنَــا عْلىَ لُولِيَّة يَرْجَعْلِي وْلِيدِي وَ يْجِيبْلِي الحُرِيَّة**[4]

و في موضع آخر:[5]

**كِي اسْتَشْهَدْ بَلْخِيــرْ الحُــوَّاسْ وَاشْ دُورْ يْدِيرْ**[6]

**جَابَتْلُو دُوبَلْ كُوبْتِيــرْ حَطَّتْلُــو فِي كُــلْ انْحــيَّة**[7]

**قَالّهَا لُو كَـانْ اطِّيــرْ يَافْرَانْسَا بْرَبِّي نَدِّيوْ الحُرِيَّة**[8]

و في موضع آخر:[9]

**يَا خُويَا اشْحَالْ رْقَدْنَا كِي ثُرْنَـا نْجِيبُو الحُرِيَّة**[10]

---

[1]– منقولة سماعًا عن بوحليط بلقاسم، مرابطي الصادق، إذاعة قالمة الجهوية، حصة بعنوان صوت الجبال، تقديم أحمد عاشوري.

[2]– **يا ليلي يامّا و أنا ليلي ليّا**: لازمة يردّدها مغنُّوا الأغاني الشّعبية من باب الإيقاع الموسيقي و تحقيق التّناغم بين الأبيات **نكتب**: أكتب، **السطانيا**: آلة كتابة كانت تستخدم في تلك الفترة، **نجيب**: أحضِر والمقصود بها أنتزع الحريّة من أيدي الظَلَمة

[3]– منقولة سماعًا عن بوحليط بلقاسم، مرابطي الصادق، المصدر السّابق.

[4]– **يرجعلي**: يعود إلي، **وليدي**: ولدي، **يجيبلي**: يأتيني بـ

[5]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[6]– **كي**: حين، **بلخير**: هو الشهيد زغدودي **علي الحواس**: هو الحواس سقوالي ، **واش دور يدير**: أي ما الدّور الذي سيقوم به من بعد استشهاد بلخير

[7]– **جابتلو**: أحضرت له، **دوبل كوبتير**: يعني طائرتان من نوع هيليكوبتر، **حطّتلو**: بمعنى قذفته بالقنابل، **نحيّة**: ناحية

[8]– **قالها**: قال لها، **اطّير**: تطير، **ندّو**: ننال.

[9]– منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[10]– **شحال**: كم، **كي**: عندما، **ثرنا**: أفقنا، استيقظنا، **نجيبو**: نتحصّل

**يَـــاوْ طَـــابَعْ لِدارَة اللّي حَارُوا فِيهَا النْصَارَى**[1]
**يَا خُويَا عَرْفُــوهْ قْبَالَا كِي ثُرْنَـا نْجِيبو الحُرِيَّة**[2]

ولأجل الحصول على الحريّة عمد الشّعب الجزائري إلى كل الطرق للانتقام من المستعمر في كلّ مكان، وفي كل زمان وبجميع الوسائل، تقول الأغنية:[3]

**كِي زَكْبْنَا فِي المَشِينَة لْقِينَا رُومِي و رُومِيَّة**[4]
**جِيـنَا نْطُورْقُو عْلِيــهَمْ بَـــاهْ نَدِّيوْ الحُرِيَّة**[5]

## 2- فرحة الاستقلال:

كما يقال "**بعد الشدّة يأتي الفرج**" ، فبعد أن عانت الجزائر ويلات المستعمر الغاشم سبع سنوات ونصف أكلت فيها الأخضر واليابس، وعانَى شعبها من الجرائم البشعة التي سلّطها العدو عليه، كانت الضّرورة ملحّة لرفع الظلم والاستبداد والعبث، وبالفعل تمكّنت الثّورة المظفّرة من القضاء على الاستعمار الفرنسي الغاشم، الذي لم يكن أمامه سوى رفع راية الاستسلام، والاعتراف بالدّولة الجزائرية، فكانت فرحة الاستقلال عارمة ، تُوِّجت بالزّغاريد وإطلاق الرّصاص، وحمل الأعلام الجزائرية، وعلت الهتافات:[6]

**وَاحْنَا حَرَّرْنَاهْ (54-62) و جَاء النَّصْر المُبِينْ**[7]
**هَزِّيـــنَـــا لَعْلَامَـــاتْ فَكِّيـــنَا لَبْـــرَاوَاتْ**[8]
**و زَدْنَـــا الوِلايَـــاتْ**[9]

---

[1]- **طابع لدارة:** ختم النجمة و الهلال كنية عن العلم الوطني، **اللي:** الذي، **حاروا:** احتاروا و أثار دهشتهم

[2]- **قبالا:** قُبالة ، **كي:** عندما

[3]- منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة ، 60 سنة، جبالة لخميسي

[4]- **كي:** حين، **المشينة:** مأخوذة من كلمة machine الفرنسية و المقصود بها وسيلة نقل، **لقينا:** وجدنا أو رأينا، **الرّومي والرّومية:** الرجل و المرأة الأجنبيين

[5]- **جينا:** جئنا، **نطورقو:** نطلق النار عليهم لنقتلهم، **باه:** لكي، **ندّيو:** ننل

[6]- منقولة عن طريق السّماع: يمينة عياد ، 60 سنة، بوحشانة.

[7]- **احنا:** نحن ، **(54-62):** الفترة الممتدة من اندلا ع ثورة أوّل نوفمبر إلى استقلال الجزائر.

[8]- **هزّينا:** رفعنا، **لعلامات:** الأعلام، **فكّينا:** فتحنا، **لبراوات:** الرسائل أو الأظرفة

[9]- **زدنا:** بمعنى أضفنا

أذيع في كل إذاعات العالم نبأ توقيف القتال و وقف إطلاق النار، فقد جاء اليوم الموعود الذي انتظره الجزائريون، والذي استشهد لأجله مليون ونصف مليون شهيد.

**هَـزُّوا لَعْلامَـــاتْ هَــزُّوا لَعْلامَـــاتْ[1]**

**افْرْحُوا يَا سَادَاتْ الجَزَايَرْ رَاهَا حْيَاتْ[2]**

يردّد المغنّي عباراته فرحًا بيوم الاستقلال، وعودة الجزائر إلى الحياة، إشارة إلى ما كانت تعانيه إبان الاحتلال من قهر وظلم، وتعبيرًا عن هذه الفرحة التي لا توصف، يدعو أبناء الوطن إلى حمل الأعلام لترفرف عاليًا على أرض الشّهداء.

في هذا اليوم العظيم "يوم الاستقلال"، وفي غمرة هذا الجو الحركي النّشِط الذي لم تعشه الجزائر منذ أمدٍ بعيدٍ نسيت الثّكالى فلذات أكبادهن، ونسيت الأرامل أزواجهن، وخرجن جميعًا للاحتفال بهذا النّصر البهيج رفقة إخوانهن و أخواتهن من أبناء الوطن.

تقول الأغنية:[3]

**حِينْ اسْمَعْنَا صَوْتهَا الأَرْضْ دْوَاتْ المَتْعَقَّنْ قَالْ وَ نْطَقْ اللسَانْ[4]**

**أبْطَـــالُو تَتْسَـــابَقْ لَلتَّضْحِيَـاتْ وَ الشُّهَدَاءْ فِيهْ هُمْ العَرْسانْ[5]**

**عَرْسْ الثَّوْرَة صَارْ بَـارُودْ ونْحَـاتْ وَ زْغَارِيدْ بْنَاتْنَا ذِيكْ أُوزَانُو[6]**

اعتمد صاحب المقطع مبالغة في توظيف هاتين العبارتين : "**حين اسمعنا صوتها الأرض دوات**" أي اهتزّت الأرض عند سماع خبر الانتصار، و"**المتعقن قال وانطق اللسان**" بمعنى نطق الأبكم لشدّة انفعاله بهذا النّبأ، مُعلنًا أنّه يوم حدوث المعجزات، ومُشيدًا بأصحاب الفضل في هذا الانتصار، ألا وهم الشّهداء الذين ضحُّوا بأرواحهم، لذا فهم أهلٌ بهذا العرس، عرس امتزجت فيه طلقات الرّصاص مع زغاريد النّسوة، لتشكّل بذلك أحلى الأوزان والنّغمات الموسيقيّة.

---

[1]- **هزّوا**: ارفعوا

[2]- **راها**: إنّها، **حيات**: عادت إليها الحياة

[3]- منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

[4]- **دوات**: دوّت، **المتعقن**: الأبكم

[5]- **أبطالو**: أبطاله، **العرسان**: جمع مفرده عريس، بمعنى أنّ الشهيد هو صاحب الاحتفال.

[6]- **نحات**: ، **ذيك**: تلك، **أوزانو**: أوزانه

جميلة هي تلك اللّفتة من الشّعب الجزائري للتّنفيس عن كربه الذي عاشه طوال سنوات الاحتلال، وبذلك عبّرت الأغنية الشّعبية، وبسياقات مختلفة كلّ حسب ما جادت عليه خاطرته وقريحته . يقول مبدع الأغنية:[1]

**و جَانَا ذَاكْ اليُومْ وجَــانَا ذَاكْ اليُــومْ[2]**
**خَمْسَــة جْوِيــلْيَة ذَاكْ اليُومْ المَوْعُودْ**
**اَمْــزَوَّلْ لَهْمُــومْ و فَرْحُوا بِيهْ كُلْ قُومْ[3]**
**لِي كَانْ خَاسَرْ اسْتفَادْ[4]**

من بين طقوس الاحتفال في ذلك اليوم خلع الملاءات ونزع الحيّاك والخروج تلقائيًّا فاختلط الرّجال بالنّساء على غير العُرف والعادات والتّقاليد، للمشاركة في الاحتفالات، والمهرجانات التي أُقيمت:[5]

**نَّحِيــوْ الحِيّــــاكْ وَ نْزِيدُو المْلايَاتْ[6]**
**ثُورِي يَا فْرَانْسَا ثُورِي مَا بْقَالَكْ حْيَــاةْ[7]**

ومن بين الشّعارات التي كان يردّدها الشّعب المستقبِل لجيش التّحرير، ومسؤوليه: "**جابها جيشنا**"، "**يحيا جيشنا**"، "**تحيا الجزائر**"، "**الجزائر عربية**"،"**الجزائر وطنية**".

وقيل في كون الجزائر ربحت الاستقلال:[8]

**الجَزَايَــرْ رَبْـحَتْ يَـا جِيشْ التَّحْرِيرْ**
**عَـمْلَتْ الاحْتِفَالْ جُنُـودْ و سِفِيـلْ[9]**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[2]– **جانا**: جاءنا

[3]– **امزوّل**: مزيل، **لهموم**: الهموم، **قُوم**: قَوْم

[4]– **لي**: مَن (اسم موصول)

[5]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي

[6]– **نّحيو**: ننزع، **الحيّاك**: لحاف أبيض تستتر به النّساء ، **نزيدو**: بمعنى و أيضا، **الملايات**: لحاف أسود تستتر به النّساء و قد شاع بالتّحديد في منطقة الشّرق الجزائري.

[7]– **ما بقالك**: لم يتبق لك

[8]– منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[9]– **سفيل**: مأخوذة من كلمة civil الفرنسية و تعني المدنيين

و قيل في الاعتراف بفضل الشّهداء:[1]

**الشُّـــهَدَاءْ ، الشُّـــهَدَاءْ لَمُّوا الشُّهَدَاءْ دِيرُو جَبَّــانَة[2]**

**لَمُّوا الشُّهَدَاءْ دِيرُو جَبَّانَة الجَنَّة لِيهُمْ وَ الحُرِيَّة لِينَا[3]**

طالب الشّعب الجزائري بوضع الأمور في أماكنها و إعطاء كل ذي حق حقّه، ولاسيما عوائل الشّهداء لما لاقوه من بؤس وشقاء، وأوّل ما نادت به الأغنية جمع أشلاء الشّهداء ورفاتهم ودفنها في مقابر خاصّة إكرامًا لهم، وهم يستحّقون فعلًا هذا الاهتمام، فهم عنوان التّضحية الذي سيظل يُذكر ، و رمز البطولة والفداء لشعبٍ تؤكّد حضارته وتاريخه بأنّه لم يستسلم أبد الدّهر لأيّ ظالمٍ كان.

وفي فضل الشّهداء أيضا نجد:[4]

**عَـادُوا مَنْ عَـادُوا عَـادُوا بَـالنِيَّة[5]**

**خُويَــا الحُوَّاتِـي جَـابَنَّا الحُرِيَّـة[6]**

وفي موضع آخر تقول الأغنية عن بلخير قائد معركة أم النسور:[7]

**بَلْخِيرْ بْــلَاصَ الجُنُودْ وَ امْعَاهْ الرَّبْ المَعْبُودْ[8]**

**لِي يْمُوتْ رَاهُو مَسْعُودْ وَ البَاقِي يْجِيبْ الحُرِيَّة[9]**

كلّ هذا الذي صوّره النّص ، و نقله عن الاستقلال وفرحته أصلٌ في ذات الإنسان الجزائري وطبعه، ومقبول من الشّعراء الذين تناولوه في كلّ هذه المواقف والدّعوات، فالشّاعر الشّعبي لم يكن أنانيًا خياليًا في مطالبه وأحلامه، بل كان في غاية الموضوعية و الواقعيّة، إذ قدّر كل المواقف،

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[2]– **لمّوا**: اجمعوا، **ديرو**: اصنعوا و هنا بمعنى أقيموا، **جبّانة**: مقبرة

[3]– **ليهم**: لهم، **لينا**: لنا

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[5]– **عادو بالنيّة**: أي عادوا بنفوسهم الطيبة، و بقلوبهم النقيّة

[6]– **خويا**: أخي، **الحوّاتي**: اسم شهيد ، **جابنّا**: أحرز لنا

[7]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[8]– ولد الشّهيد **علي زغدودي** المدعو "**بلخير**" يوم 26 ديسمبر سنة 1932م، في منطقة "**ماونة**" بولاية قالمة ، **بلاص**: مأخوذة من كلمة الفرنسية place و المقصود أنه ضبطهم في أماكنهم ، **امعاه**: معه

[9]– **لي**: الذي، **راهو**: إنه، **مسعود**: بمعنى سعيد، **الباقي يجيب الحريّة**: أي من لم يستشهد و بقي على قيد الحياة فإنّه سيأتي بالنّصر والحريّة إشارة إلى الجهاد

ووضع كل الأشياء في نصابها، فشعبٌ كهذا يمكن الاعتزاز به، والاطمئنان إلى جواره في السّراء والضّراء.

تحدّثت القصيدة الشّعبية كثيرًا عن الحريّة، والاستقلال، والنّصر طيلة مراحل الكفاح المسلّح إلى أن تحقّق ذلك الحلم المنشود في الخامس جويلية عام 1962م.

تقول الأغنية:[1]

**نْهَـــارْ الــحَـــدْ جَانَا طْفَيَّلْ مَسْعَدْ**[2]

**بَـنْ بَلَّـــة أحْمَـــدْ يَقْرَا عَالجُنُودْ احْرَارَ**[3]

ذُكر في هذا المقطع الرّئيس الأوّل للجزائر بعد استقلالها، و هو الرّئيس بن بلّة أحمد، إعلانًا عن بداية عهدٍ جديدٍ، عهد مليء بالخير والبركات، وهذا ما نلحظه في عبارة " طفيل مسعد" التي تعود على الرّئيس بن بلّة، و ذلك من باب التّفاؤل.

كما تُشيد الأغنية بانتصار الثوّار، ونيل الجزائر الاستقلال:[4]

**فْرَنْسَا المَهْرِيَّة يَا خُويَا فْرَنْسَـــا المَهْرِيَّـــة**[5]

**فْرَنْسَـــا المَهْرِيَّـــة وَ الجُنُودْ دَاوْ الحُرِيَّة**[6]

هكذا عبّرت الأغنية الشّعبية عن فرحة الجزائريّين بالاستقلال، و عن ذلك اليوم التّاريخي الذي أصبح اليوم عيدًا وطنيًّا تحتفل به الجزائر كلّ سنة، تتذكّر فيه أمجادها، كما تتذكّر الشّهداء الذين كانوا أصحاب الفضل في استرجاع سيادتنا، فالمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: تركية مباركي، 68 سنة، وادي الشحم.

[2]– **نهار الحد**: يوم الأحد، **جانا**: أقبل علينا، **طفيّل**: تطلق على الطفل الصغير كما تطلق من باب الاستحسان، وهذا هو المقصود في البيت، **مسعد**: سعيد أو يجلب السّعادة بقدومه

[3]– أول رؤساء الجزائر بعد الاستقلال، من 15أكتوبر 1963 إلى 19يونيو1965 ،**يقرا**: يقرأ، **عالجنود**: على الجنود

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[5]– **المهريّة**: صفة دنيئة لفرنسا ، **خويا**: أخي

[6]– **داو**: نالوا

**ثانيا/ الهويّة الوطنيّة:**

سعى الجزائريّون بكلّ ما أوتوا من قوّة إلى الحفاظ على هويّتهم الوطنيّة، لأنّها تجسّد ماضيهم و حاضرهم، بكل ما تحمله من مقوّمات، والمستعمر الغاشم تفطّن إلى أنّ الهويّة هي نقطة القوّة لدى ذلك الشّعب الأعزل، فعمد إلى محاولة طمسها بشتّى الطّرق والوسائل، وحول هذا المعنى يقول أحد الأستاذة "إنّ سبيل هذا الاستلاب الحضاري هو الاستلاب الفكري، وسلاحه هو هدم الأسس والقيم لحضارة الأمّة المستلبة، والقضاء على مقوّمات ومظاهر حضارتها في نفسها وفي الواقع المعاش، أمّا الهدف من كل ذلك؛ هو تجريد الأمّة من كيانها الحضاري والرّوحي ليسهل السّيطرة عليها اقتصاديًا واجتماعيًا وفكريًا، وعندما تتخلّى الأمّة عن فنونها وآدابها لتقتبس أساليب أخرى؛ تذهب هويتها التي صنعها الإسلام، وذلك هو الخطر الذي يواجه المجتمع الإسلامي اليوم"[1]

وكان للجّمعيات والنّوادي والصّحف الوطنيّة التي تأسّست في العقدين الثّالث والرّابع من القرن العشرين خاصّةً، بعض الأثر في إحداث يقظة فكريّة عامّة مسّت الأوساط الشّعبية التي بدأت تُسهم في تأسيس المساجد الحرّة بأموالها الخاصّة سواء في المدن أو القرى[2]،ولكن الباع الكبير كان لجمعيّة العلماء المسلمين التي كوّنت حركة ثقافية نشِطة، ونشرت التّعليم العربي في المدارس والمساجد على نطاق واسع في أوساط الأهالي.

و يمكن تلخيص الهويّة الوطنيّة في قول الشّاعر:[3]

**سَجَّلْ يَا بْنِي تَـــارِيخْ ثَوْرَتْنَا وَ احْكِي لَلأَجْيَالْ القَادْمَة مَاضِينَا**

**حْنَا عْرَبْ وَ الجَزَائِرْ مَوْطَنَّا و نُـــورْ الإسْلَامْ بِـــيهْ اهْتَدِيـتنَا**

---

[1]- أنور الجندي، ترشيد الفكر الإسلامي، دار الاعتصام، د.ط، د.ت، ص 23

انظر: علام عبد القادر محمود النعنع، التعبئة المعنوية في القرآن الكريم، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا، نابلس- فلسطين ، 2007 م، ص 119

[2]- عمري الطاهر، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية: 2003 -2004م، ص 316

[3]- منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

نتلمّس في هذين البيتين أبرز مقوّمات الهويّة الجزائرية وأهمّها ، ألا و هي: الإسلام، والعروبة، والتعلّق بالأرض أو الوطن، وسنورد كلًّا منها على حِدة.

## 1-الإسلام:

كان للعامل الدّيني دور أساسي في تحريك الحس الوطني، والعاطفة لمقاومة العدو بالبندقية والكلمة، واعتبرت الأغنية الشّعبية الغزو الاستعماري عدوًّا للإسلام.

لذا فقد شكّل الدّين عنصرًا أساسيًّا و هامًّا في تنبيه الأمّة من خطر الاستعمار، والعدوان الصّليبي، وكان عاملًا لإيقاظ الشّعور فيهم، ونشر الوعي، وتقوية اللّحمة بين أفراد الشّعب الواحد، فقد وحّد الدّين الجزائريّين، ورسم لهم أهدافهم الوطنية، وكلّما كان الدّين متوهجًا في القلوب كلّما قويت النّفوس، ورضيت بالقدر، وتغلّبت على الظّلم، ولقد برزت المفردات الدّينية في الأغنية الشّعبية، و أضفت عليها طابعها الخاص، لتعبّر بذلك عن نفسيّة المواطن الجزائري المؤمنة. تقول الأغنية:[1]

**يَا نَـــاسْ قُومُوا بَالصْلَاةْ وَاتْرَكُوا الشّي اللّي فَاتْ**[2]

**و قَرّيوْ أُولَادْكُمْ فَاللُّغَاتْ بَـــاهْ يَخْرجُــوا زُعَمَـــا**[3]

يحثّ المغنّي على الالتزام بأداء الصّلاة باعتبارها قوام الدّين وعموده، فالصّلاة صلة بين العبد وربّه، وفي البيت الثّاني يدعو إلى تعليم الأبناء اللّغات، مصداقًا لما ورد في السنّة النّبوية[4]، فمن تحلّى بهذه الأمور الأساسيّة في الحياة سيغدو زعيمًا ذا شهرة و صيت.

وقد تغنّت الأغنية الشّعبية الثّورية في بداياتها بتوظيف المصطلحات الدّينية والافتتاح بالبسملة، وذلك لتقوّي عزيمة المجاهدين الجزائريّين وحثّهم على التوكّل على الله: [5]

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[2]- **الشّي**: الشيء، **اللي**: الذي، **فات**: مضى

[3]- **قرّيو**: درّسوا، **فاللغات**: في اللغات، **باه**: لكي، **يخرجوا**: بمعنى يصيروا، **زعما**: زعماء ذوي مناصب عالية

[4]- روى أبو داود والترمذي في السنن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب يهود (أي تعلم له اللغة السريانية التي هي لغة التوراة والإنجيل، وقال صلوات الله وسلامه عليه إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال زيد: فتعلمته فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته –أي عرفته وأتقنته –فكنت أكتب إليه إذا كتب وأقرأ له إذا كُتب إليه .

[5]- منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس

**بَسْم الله بَادِي لَقْصِيــدَة يَــا الـله الله رَبِّـــي**[1]
**اَنْزُورْ مَكَّة جَاتْنِي بْعِيدَة يَــا الـله الله رَبِّـــي**[2]
**شُوفُوا الخَاوَا كِي بَاعُونَا نُوصَلْ مَكَّة فِي نْهَارِينْ**[3]

فهكذا كان الشّاعر يبدأ الأغنية بالبسملة، و هذا ما يبيّن أنّ الدّين كان ساكنًا في القلوب والاشتياق والنّية لإتمام المناسك وزيارة مكّة المكرّمة موجودة، ولكن الواجب الوطني كان حائلًا دون الوصول إليها.

وفي موضع آخر:[4]

**بَسْـم الـله بْدِيــتْ نْقُولْ وجَبْتْ كْلَامِي عْلَى الرَّسُولْ**[5]
**مُحَمَّدْ شَفِيــعْ الــقَوْمْ هُوَ لِي يَــشْفَعْ فِيــنَــا**[6]

وردت في هذا المقطع البسملة، واستحضار الرّسول –صلّى الله عليه و سلّم– شفيعًا للمسلمين، فالافتتاحيّة الدّينية تكون عادةً فأل خيرٍ، وبركةٍ استنّها الشّعراء في بدايات قصائدهم، لاسيما وقد انطوت –قصائدهم– على الرّجاء و الأمل في الفرج القريب من الله تعالى.

وكانت المصطلحات الدّينية أيضًا تُوظَّف في ذكر الموضوع الثّوري كالتّضرع إلى الله عزّ وجل بالدّعاء لحماية المجاهدين من كيد الأعداء:[7]

**يَــا الذْرَارِي المُجَاهِدِينْ يَا اللِّي جِيتُــو لَجْبَلْ أُورَاسْ**[8]
**نَــطْلَبْ رَبِّـــي و مُحَمَّدْ يَمْنَعْكُمْ مَنْ ضَرْبْ الرَصَّاصْ**[9]

---

[1]– **بادي**: بادئ اسم فاعل يعود على صاحب الأغنية، فهو يفتتحها بالبسملة.

[2]– **انزور**: أزور، **جاتني**: جاءتني، أي بعيدة بالنسبة لي

[3]– **شوفوا**: انظروا إلى، **الخاوة**: الإخوة و المقصود بهم الخونة لأنهم من نفس عوائل الجزائريين، **نوصل**: أصل، **نهارين**: يومين.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليو بوليس

[5]– **بديت**: بدأت، **نقول**: أقول، **جبت**: أحضرت بمعنى اقتبست.

[6]– **اللي**: الذي

[7]– منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليو بوليس

[8]– **الذراري**: الشباب، **جيتو**: جئتم.

[9]– **نطلب**: بمعنى أدعو، **ربي و النّبي**: واو الربط هنا غير جائزة شرعًا لأنّها واو الإشراك كما أنّ الرّجاء و التضرّع يكون لله دون سواه، و لعلّ التلفّظ بهذه العبارة من قِبل المغني يرجع إلى جهله لهذا الأمر، فقالها دون أن يقصد و الله أعلم ، فالأمور التي تتعلّق بالربوبية كالمشيئة والإرادة والتقدير والنّصرة والرّزق ونحوها يستحب التأدب فيها بعدم نسبتها إلى الله

يوجّه المغنّي دعاءه إلى الله تعالى متضرّعًا إيّاه أن يحمي المجاهدين من طلقات النّار الموجّهة من قِبل العدو، و يذكر محمّدًا –صلّى الله عليه و سلّم– لمكانته عند الله عزّ وجل، و لأنّه رسول الأمّة وشفيعها.

ومن أمثلة الدّعاء و التضرّع لله في الأغاني الثّورية:[1]

**الله شَعْب الجَزَائِـرْ الله شَعْـب الجَزَائِـرْ**

**يَا رَبْ عِينْ لِي ثَايَرْ**[2]

**بَالِيفْ وْ بْدِيتْ نْشَادِي يَا رَبِّي ثَبَّتْ جِهَادِي**[3]

**رْضَايَةْ الله رَبِّي المُعِينْ**[4]

**الهَمْزَة فِي السْطُـــورْ يَا رَبِّي طَوَّلْ لَعْمُـورْ**[5]

وتقول الأغنية في نفس الصّدد:[6]

**الـله لَا إلَـهَ إلاَّ الـله و يَارَبِّي وَ أنْتَ المُعِينْ**

**وَ تْعِينْ المُجَـاهِدِينْ آمْ يْجَـاهْدُوا عَالدِّينْ**[7]

إنّ أخص ما امتازت به الثّورة الجزائرية هو الجانب الرّوحي، الذي تغلّب على الجانب المادّي، بسبب ما كان يتمتّع به المجاهدون من تأصُّل روح الجّهاد بقواعده الصّحيحة في نفوسهم، فيتخلّقون بالخلق الحسن، و يتّصفون بفضائل الأعمال، فيعيشون بفكرهم مع هدي الله ويحاربون أولًا على دينهم الذي هو أحد القيم السّامية التي يهتم بها المسلم بعكس الكافر الذي لا همّ له سوى المال، تقول الأغنية في هذا المعنى: [8]

---

وأحد من خلقه على وجه التشريك بحرف العطف " الواو "، بل ينبغي استعمال حرف العطف "ثم"، فتقول مثلا : ما شاء الله ثم شئت ، بفضل الله ثم بفضل فلان ، هذا بتقدير الله ثم بتقدير فلان ، وهكذا. **يمنعكم**: يحميكم

[1]– منقولة عن طريق السّماع: إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة

[2]– **عين لي ثائر**: أعِنْ الثّائر

[3]–**اليف**:تحريف الحرف العربي الألف ، **بديت**: بدأت، **نشادي**: أنشد، و عبارة بديت نسادي بمعنى شرعت في المسير

[4]– **رضاية ربّي**: طلب الرضا من الله عزّ و جل

[5]– **السطور**: الأسطر، **طوّل لعمور**: دعاء بإطالة الأعمار

[6]– منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[7]– **آم**: إنّهم، **عالدّين**: من أجل الدّين

[8]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية ، 61 سنة، جبالة لخميسي

**الجُنْدِي الطْوِيلْ طْوِيلْ وَ مْحَزَّمْ عَالقَشَّابِيَّة[1]**
**هُوَ يْحَارَبْ عَالدِّينْ وَ القـومِي عَالشَّهْرِيَّة[2]**

خصّ الشّاعر الجندي بصفة الطّول كناية عن رِفعته و علوّ شأنه لمطلبه النّبيل، والمتمثّل في الحريّة، ليعكس، في المقابل، وضاعة العميل.

و في مقطع آخر:[3]

**يَـــاخُوتِي المُجَـــاهِدِينْ كُونُـــوا خَـــاوُة مُتَّحْدِيـــنْ[4]**
**إذَا مُتُّـــو مُوتُـــو عَالدِّينْ و إذَا عِشْتُو جِيبُو الحُرِيَّة[5]**

و من هنا كان الجهاد في سبيل الله والدّفاع عن الإسلام هو الهدف الأسمى من النّضال، وبتعبيرٍ آخر كانت الفكرة الوطنيّة مزيجًا من العقيدة الدّينية والرّوح الوطنية، فكان للعامل الدّيني دور رئيسي في تحريك العاطفة ممّا جعل الجماهير الشّعبية تُقبل على الجهاد، وتقدّس الاستشهاد لارتباط الثّورة بالدّين:[6]

**الله يَا السُّجْعَانْ يَا أهْل الإيمَانْ يَا لْمُخْلِصِينْ وَ اسْمعُوا لِيَّا[7]**
**خُـــوذُوا كَـــلاَمْ مَـــا فِيهْ افْهَامْ تَـــارِيخْ جْدِيـــدْ عَلْوَطَنِيَّة[8]**
**كْلاَمِـــي يَنْتَمْ وَالله مَـــا نَنْدَمْ بْجَاهْ مُحَمَّدْ شَفِيعْ الانْبِيَا[9]**

وجّه المجاهد نداءه للثوّار الشّجعان، والمخلصين، كي ينصتوا لما سيلقيه عليهم من كلام له معنى واضح وجلي لا يحتاج إلى شرح؛ "خوذوا كلام ما فيه افهام"، كلام يحمل في طيّاته معنًا جديدًا للحياة، موظّفاً في ذلك عبارات تندرج ضمن الحقل الدّيني: الله، أهل الإيمان، والله، بجاه محمد شفيع الأنبياء.

---

[1]– **محزّم**: يضع حزامًا، **القشّابية**: لباس شتوي، معطف.

[2]– **الشهريّة**: الرّاتب الشّهري، المال مقابل أعماله.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[4]– **يا خوتي**: يا إخواني، **خاوة**: إخوة

[5]– **متّو**: مِتُّم، **عشتو**: عشتم، **جيبوا**: أحضِروا و هنا بمعنى حقِّقوا أو أحرِزوا

[6]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[7]– **السّجعان**: الشّجعان، **اسمعوا ليّا**: استمعوا لي

[8]– **خوذوا**: خُذُوا، **ما فيه**: ليس به.

[9]– **ينتم**: تمّ معناه و الفائدة منه، **نندم**: أندم، **الأنبيا**: الأنبياء

وفي أغنية مشحونة بالمعاني الرّوحية والزّهد:[1]

**يَـــا رَبّـي عَـالي دَرْجَاتْ يَـــا عَـالَمْ لِيكْ السَّنْدَة[2]**
**سَهَلِّـي يُـــومْ المَمَـــاتْ وَ رْحَمْنِي فْهَاكْ الرَّقْـدَة[3]**
**هَزُّونِي كِي الحطَبْ المحْمُولْ هَـــزُّونِي سَـــارُو بِيَّـــا[4]**
**المْقَـــامْ مْظَـــلَّمْ مَـــرْدُومْ وَ فْعَـــالِي تْـــوَنَّسْ فِيَّـا**
**يَـــا دَنْيَـــا جَبْتِي مَا فِيكْ رُحْتِـــي وَ زْمَـــانَكْ عَدَّى**
**فَخَّـــرْتِي فِيـــكْ الشِّيـــطَانْ وَ الـعَبْـــد لَـا يَـــتْرَدَّى**
**دِيتِـــي عَـــلَّاوَة الجـــزَّارْ لُوكَـــانْ تْجِيبُـــو الـقُدْرَة**

استهلّ مبدع الأغنية بالثّناء على الله تعالى، ثمّ انتقل إلى الدّعاء و التّضرع في البيت الثّاني، ليتحدّث بعدها عن القبر وظلمته، و قد كنّى عنه بقوله "المقام مظلّم مردوم"، وعبّر عن تغيّر حال الدّنيا وتقلّبها، وكيف أنّها مكّنت الشّيطان من بثّ وساوسه بين النّاس، فتغلّب عليهم الهوى، وفي الختام ذكر اسم أحد المجاهدين، و هو علاّوة الملقّب بالجزّار لأنّه كان مكلّف بذبح الخونة.

وتحدّثت الأغاني الشّعبية عن الأجر الكبير الذي ينتظر المجاهدين في سبيل الله، سواء في حياتهم، أو بعد استشهادهم :[5]

**الجُنُـــودْ عْلَى رَجْلِيـتهُمْ وَ الغَابَة غَطَّـــاتْ عْلِيهُمْ[6]**
**إذَا مَـــاتُوا الجَنَّـــة لِيهُمْ و إذَا رَبْحُوا مَبْرُوكْ عْلِيهُمْ[7]**

اعتمد الشّاعر الكناية في قوله: "الغابة غطّات عليهم" كناية عن احتمائهم بالغابة.

وكثيرًا ما ترد الشّهادتان في أوّل القصائد الثّورية، و هي ركن من أركان الإسلام، ودعامة من دعائم الإيمان، يردّدها المغنّي لتضفي على قصيدته مسحةً إيمانيةً، و ليستشهد بها على نفسيّته المؤمنة:[8]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: رابح خلايفية، 68 سنة، بني مزلين.

[2]– **السّندة**: السّند.

[3]– **فهاك**: في تلك، **الرقدة**: يقصد بها الموت.

[4]– **هزّوني**: حملوني.

[5]– منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[6]– **رجليهم**: أقدامهم، **غطّات**: غطّت و سترت

[7]– **ليهم**: لهم.

[8]– منقولة عن طريق السّماع: إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

**لَـا إلَـــــهَ إلَـا الــلـه طْوَالُــو الأيَّـــــامْ عْلِيَّــا**[1]
**الجَزَائِـــرْ دَوْلَة عَرْبِيَّـة عْلَى وَطْنِي وَ مَا صَايَرْ بِيَّا**[2]

وفي موضعٍ آخر:[3]

**اللَّـــهْ ، اللَّـــهْ لَا إلَــهَ إلَّا اللَّهْ**
**الطَّلْبَة فِي رَبِّي وَ المَعْبُــودْ اللَّهْ**[4]
**شَكَّـــاطْ يْنَدَهْ وَ يْقُولْ القُــدَّامْ**[5]
**قَــالْهُمْ جُنُودِي رَاهُمْ فَضُّوا الأيَّامْ**[6]

كذلك اشتملت الأغاني الثّورية على شكر الله تعالى لما حقّقه هؤلاء الأبطال من نصر وفوز مظفّر:[7]

**مَنْ غِيرْ الله يَا بْنِي لَا حَدْ نْجَدْنَا وَ جْعَلْ عْصَا مُوسَى بِينْ اَيْـدِينَا**[8]
**نَــصْر منَ الخَــالقْ بِيـهْ وْعَدْنَا فَــانْتَصَرْنَا عْلِيــهُمْ نَصْرًا مُبِينَا**[9]

تحت وطأة القهر والمعاناة رفع الجزائريُّ يديه متضرّعا إلى الله عزّ وجل، حتّى ينصره على العدو الظّالم، و عند استجابة الله تعالى لدعائه لا يسعه إلا أن يشكره ويُثني عليه، فيذكر أنّه الوحيد صاحب الفضل في نجاته " من غير الله يا بني لا حد نجدنا"، ونلحظ توظيف الاقتباس في الشّطر الثّاني من البيت الأوّل إذ استحضر الشّاعر قصّة عصا نبيّنا موسى –عليه السّلام–باعتبارها أداةً ومعجزةً تحقّق بها النّصر، و كذلك الاقتباس في البيت الثّاني، إذ بمجرّد قراءته نتذكّر الآية الكريمة: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** ﴾[10]

---

[1]– **طوالو**: طالت.

[2]– **ما صاير بيّا**: ما حدث لي، يقصد ما عاناه من مشقّة و تضحيات جسام من أجل وطنه

[3]– أحمد عاشوري، كدية الجهاد: قصة الشهيد صالح الحروشي، سلسلة شهداء احتفلت بهم، طبع بمساهمة جمعية أصدقاء سويداني بوجمعة، ص 22

[4]– **الطلبة في ربّي**: بمعنى لا رجاء و لا دعاء إلا لله تعالى

[5]– **شكّاط**: اسم مجاهد و شهيد، **يندهـ**: يهتف أو ينادي، **القدّام**: إلى الأمام (يحث المجاهدين على الإقدام)

[6]– **قالهم**: قال لهم، **راهم فضّوا**: لقد انتهت، أو انتهى أجلها.

[7]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[8]– **يابني**: يا ابني، **لا حد**: لا أحد، **نجدنا**: أنجدنا أو أنقذنا

[9]– **بيه**: به

[10]– سورة الفتح، الآية 1

إنّ المجاهدين لا يخافون من الموت لأنّ أنفسهم تطهّرت من الذّنوب، والمعاصي، فكافحوا وحملوا أجسامهم و قلوبهم على الاستغراق في ذلك الجو الهادي الرّوحاني المنتعش.

واقتصروا من العيش على ما يسدّ الغلة و يستديم الحياة[1]، و هذا ما جسّدته الأغنية الشّعبية:[2]

**المُجـــاهِدِينْ يَـــا الهِمَّـة اَعْطِيـــوْنِي رُخْصَة نْـشُوفْ يُمَّـة[3]**

**لَحَضْرَتْ المُوتْ نْمُوتْ ثَمَّة نَضْرَبْ عْلَى دِينِي وَ نْحَرَّرْ بْلَادِي[4]**

ونظرًا للقيمة الكبرى التي أولاها الشّعب الجزائري للجانب الدّيني، فقد ركزّت جمعيّة علماء المسلمين في نشاطها على بناء المدارس الحرّة أو الأهلية والتي بلغت عشية اندلاع الثّورة سنة 1954م حوالي مائة وخمسون مدرسة بمعدل قسمين لكلٍّ منها[5] وعدد معتبر من المساجد لا نملك حتّى الآن أرقامًا دقيقةً عنها، وأصدرت الصّحف من جرائد ومجلّات، أعطت بُعدًا حضاريًّا للشّعب الجزائري ودافعت عن هويّته بقوّة الحجة ووضوح البرهان، وحاربت المنحرفين والمشعوذين الذين كانوا يسبحون في فلك الإدارة الاستعمارية التي حرّكتهم كبيادق ضمن مخطّطها الشّامل الذي استهدف الهويّة العربية الإسلامية للأمّة، خاصّةً وقد أدركت أنّ الدّين الإسلامي ليس مجرد معتقد دينيٍّ كما هو الحال بالنّسبة للأديان الأخرى؛ بل إنّه ملازمٌ للحياة الشّخصية والاجتماعية وحتّى السّياسية، ومن هذا المنطلق كان حصارها المفروض على الدّين الإسلامي شديدًا.[6]

---

[1]- محمد زروال، الحياة الرّوحية في الثّورة الجزائرية، منشورات وزارة المجاهدين، المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص95.

[2]- منقولة عن طريق السّماع: اليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة

[3]- **الهِمّة:** العزيمة، نقول: بعيد الهِمّة أي يسمو إلى معالي الأمور، **اعطيوني:** أعطوني أو امنحوني، **رخصة:** إذن، **نشوف:** أرى، **يمّة:** أمّي.

[4]- **لحضرت الموت:** إذا حضرت أو حانت الموت ، **نموت:** أموت (أستشهد)، **ثمّة:** هناك أي في ساحة الوغى، **نضرب:** أضرب و المقصود هنا أقاتل الأعداء، **على ديني:** من أجل ديني (الإسلام)، **نحرّر:** أحرّر.

[5]- عمري الطّاهر، المرجع السّابق، ص 319

[6]- كانت أولى خطوات المشروع الاستعماري لمحاربة الدين الإسلامي قد تمثلت في تهديم بعض المساجد والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية، وكذلك تحويل بعضها إلى كنائس أو كاتدرائيات وغلق بعض الزوايا الدينية والصوفية، بالإضافة إلى تحويل المراكز الثقافية إلى معاهد الثقافة الفرنسية ...إلى غير ذلك من الإجراءات التي طبّقتها إدارة الاحتلال.

## 2- العروبة:

استعمل الاستعمار كلّ ما في وسعه للقضاء على عروبة الشّعب الجزائري ، فحاول إيهامه بأن لغة أجداده لغة قاصرة لا تساعدهم على التقدّم والرّقي، ولكي يستحوذ العدوّ على بلد ما وعلى أهله وخيراته فلابدّ أن يقضي على مقوّماته لطمس شخصيّته و وطنيّته وعروبته، هذه الأخيرة التي لعبت دورًا كبيرًا في الفكر العالمي، فمستوى اللغة العربية تابع لمستوى مجتمعها الحضاري[1].

يقول مفدي زكريا:[2]

**وُهِبْنَا العُرُوبَةَ جِنْسًا وَ دِينَا وَ إنَّا بِمَــا قَدْ وُهِبْنَا رَضِينَا**
**إذَا كَـانَ هَذَا يُوَحِّدُ صَفَّا وَ يَجْمَعُ شَمْلًا رَفَعْنَا جَبِينَا**

و تقول الأغنية الشّعبية:[3]

**أَيُّــو أَيُّــو يَــا لَعْرَبْ فْرَانْسَا دَاتْ بْلَادْ الرَّبْ[4]**
**حَرْمَتْ فِينَا عُودْ حْطَبْ حَتَّى تَعْمَلْ فِينَــا مْزِيَّة[5]**

يوجّه المنادي نداءه إلى العرب كافّة، مستنكِرًا ما فعلته فرنسا بأبناء بلده، إذ حرمتهم من كلّ شيء، حتى عود الحطب الذي يُباع بسعر بخس أو حتّى يمكن الحصول عليه مجّانًا، وهو يستنهض العرب ليقفوا جنبًا إلى جنب ويقهروا العدو.

وفي موضع آخر:[6]

**وَلْد العَرْبِيَّة نَشْهَدْلُو وَلْــــــد العَرْبِيَّــــة[7]**

---

[1]- محمد طمار، تاريخ الأدب العربي، الشّركة الوطنية للنّشر و التّوزيع، الجزائر أو الحياة الرّوحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني بالمجاهد، ص 95

[2]- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، دراسة و شرح الطاهر مربيعي، دار المختار للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009م، ص 30

[3]- منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

[4]- **أيّوا**: بمعنى هلمّوا، **دات**: أخذت و المقصود هنا استولت

[5]- **حرمت فينا**: حرمتنا، **مزية**: معروف

[6]-منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[7]- **نشهدلو**: أشهد له بالبسالة و قوّة التحمّل و الصّبر، **ولد العربيّة**: نسبة الثوّار للعروبة.

**قَـــــامُوا رَسْمِيَّـــة عَامَلْ فِي الكُفَّارْ ضْحَيَّة**[1]
**و أنَـــا فِي شِينْيُورْ كُلْ لِيـــلَة نْبَاتْ نْدُورْ**[2]
**بُوطُوقَـــازْ مَقْعُـورْ نَشْهَدْلُو وَلْد العَرْبِيَّـــة**[3]

يفتخر الشّاعر في هذه الأبيات بالمجاهد وانتمائه العربي، فكرّر عبارة "ولد العربيّة" ثلاث مرّات، تأكيدًا منه على شرف أبناء الجزائر وعراقة نسبهم، فيُرجع أسباب الشّجاعة والبطولة إلى النّسب العربي، الذي لطالما كان محل فخر منذ القِدم، كشجاعة امرئ القيس، وفروسيّة عنترة بن شدّاد، وغيرهم كثير.

الشعب الجزائري كثير الاعتزاز بعروبته ودينه وتضحياته، لذلك نجده يتغنى بهذه العروبة في كثير من أغانيه:[4]

**هَذَا تَـــارِيخْ الجُنْدِيَّا وَ أولَادْهَا طَلْبُوا تَضْحِيَّة**[5]
**وَ الدْزَايَرْ دَوْلَة عَرْبِيَّة**[6]

وفي موضع ثانٍ:[7]

**لَـا إلَـــهَ إلَـا اللَّـه طْوَالُـو الأيَّـــامْ عْلِيَّـــا**
**الجَزَائِـرْ دَوْلَة عَرْبِيَّة عْلَى وَطْنِي وَ مَا صَايَرْ بِيَّا**

وفي موضع ثالثٍ:[8]

**وَ الْتْزَايَرْ دَوْلَة عَرْبِيَّـــة و أولَادْهَا طَلْبُوا تَضْحِيَّة**[9]
**اللَّه لَا إلَهَ إلَا اللَّه و الْتْزَايَـــرْ دَوْلَـــة عَرْبِيَّة**

---

[1] – **عامل في الكفّار ضحيّة**: أي جعل هذا المجاهد من الأعداء فريسة له

[2] – **شينيور**: وادٍ يعبر بين عين العربي و عين مخلوف، و شينيور هو لقب أحد المعمّرين ، **نبات**: أبات و المقصود هنا أقضي طوال الليل، **ندور**: أجول و أتحرّك من مكان إلى مكان

[3] – **بوطوقاز**: حذاء عسكري و هو مأخوذ من botte بالفرنسية أي حذاء طويل، **مقعور**: به ثقوب أو ممزّق.

[4] – منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

[5] – **الجنديّا**: الجنود أو الثوّار

[6] – **الدزاير**: تحريف لكلمة الجزائر

[7] – أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس، سلسلة شهداء احتفلت بهم، ص7

[8] – منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة.

[9] – **التزاير**: تحريف لكلمة الجزائر

نلحظ أنّ الشّعراء ردّدوا عبارة "الجزائر دولة عربيّة"، وهذا ردًّا على فرنسا التي زعمت أنّ الجزائر جزء لا يتجزّأ من أرض فرنسا وسكّانها فرنسيّون، واللغة الفرنسيّة هي لغة الجزائريّين، إذ لم تدّخر جهدًا في محاولة فرنستهم، وقد سعت إلى ذلك سعيًا حثيثًا، لكنّ محاولاتها باءت بالفشل.

**3- العلم الجزائري:**

يتشكّل علم الجزائر من اللّونين: الأخضر والأبيض. ويتوسّط العلم هلال ونجمة حمراوين، وقد استُخدِم العلم لأوّل مرّة في الثّالث من يوليو سنة 1962م، ابتكر العلم الأمير عبد القادر الجزائري في القرن التّاسع عشر، واحتوى على اللّونين الموجودين الآن (الأبيض والأخضر) وهو نفس علم الأندلس، أمّا الهلال والنّجمة فقد كانا موجودين في العلم الجزائري بين القرنين السّادس عشر والتّاسع عشر، وهو تكوّن من هلال ونجمة أبيضان على خلفية حمراء، كعلم الدّولة العثمانية حيث أنّ الدّولة الجزائرية الأولى كانت تابعة سياسيًّا للخلافة العثمانية في تركيا[1].

أمّا عن دلالة ألوانه فاللّون الأبيض يرمز للسّلام والنّقاء، واللّون الأخضر يرمز للازدهار وثروات البلاد، أمّا اللّون الأحمر فيدلّ على دماء شهداء ثورة التّحرير .

و الهلال والنّجمة الخماسية يرمزان للإسلام بصفته دين الدّولة الرّسمي، الذي تعتنقه الغالبية العظمى من الجزائريين.

إنّ العلم رمز من رموز السّيادة الوطنية، فهو رمز التّضحية والفداء، قُدِّمت لأجله تضحياتٌ جِسام، حيث استشهد مليون ونصف من الشّهداء، وقد كتب شاعر الثّورة **"مفدي زكريا"** النّشيد الرّسمي للعلم الجزائري و أهداه للحكومة الجزائريّة إذ يقول:[2]

**سُلَّمًا ... لِلسَّمَاءِ ... يَا عَلَم**

**عَلَمُ الجَزَائِرِ عِشْتَ يَا عَلَم**

**أنْتَ لِلجَلِيلِ غَدًا صِلَة الرَّحِم**

ويشير مفدي بأنّه قدّم أعزّ ما يملك؛ روحه وأمواله فداءً لوطنه ودفاعًا عن علمه، يقول:[3]

**كِفَاحُنَا –نِضَالُنَا–جِهَادُنَا–اسْتِقْلَالُنَا–أَرْوَاحُنَا–أَمْوَالُنَا**

**أَكْبَادُنَا فِي سَبِيلِ العَلَم**

[1]- الموقع الالكتروني: http://ar.wikipedia.org/wiki

[2]- مفدي زكرياء، اللّهيب المقدّس، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعية-وحدة الرغاية، الجزائر، 2007، ص65

[3]- المرجع نفسه، ص66

أمّا عن الأغنية الشّعبيّة فنجدها في كثيرٍ من الأحيان تتغنّى بالعلم الجزائري، لأنّه يمثّل روح الشّعب و كيانه:[1]

**القُبَّة الخَضْرَاءْ خَرْجَتْ مْنَ البْحُورْ اتْبَانْ كَسْوَة جْدِيـدَة جَـابُوهَا الاخْوَانْ**[2]

**دْرَابُـــو مَتْقَعَّدْ كِـــي هْـــلَالْ العِيـــدْ كُـــلْ يُـــــومْ و هُـــــوَ يْزِيـــــدْ**[3]

**خَـــــاطَرْ مَنْ لِيـــمَـــــانْ قْوِيَّـــــة وَ اَحْنَا جُنُودْ نَضْرِبُوا مِنْ أَجْل الحُرِيَّة**[4]

تشيد الأغنية بجمال و روعة العلم الوطني، وقد وُظِّفت الصور البيانيّة في البيت الأوّل، إذ وردت الكناية في قوله "القبّة الخضراء" وهي كناية عن موصوف (المجاهدين)، وكذلك وردت الكناية في البيت الثّاني "كسوة" كناية عن العلم الوطني، وقد شُبِّهَ في البيت الثالث بهلال العيد، لما له من أهميّة فمن منّا لا يترقّب هلال العيد؟ هلال يتزايد كل يومٍ إلى أن يصبح بدرًا سنيًّا "كل يوم وهو يزيد"، كذلك هو العلم، يزداد شأنه يومًا بعد يوم، لأنّه شُعلة الحريّة.

ونلحظ تكرّر هذا التشبيه في مقطوعة أخرى:[5]

**مَطْبُوعْ جْدِيدْ وَ مْقَعَّدْ كِي هْلَالْ العِيدْ**[6]

**طـــابَعْ لِيـدَارَة حَارُوا فِيهْ النْصَـــارَة**[7]

**يَـــــا خُويَـــــا عَرْفُـــوهْ اخْسَـــارَة**[8]

**مَكْتُـــــوبْ بْخَـــطْ الحُرِيَّـــــة**

ترمز هذه الأغنية الحربية إلى العلم الجزائري وأنّه مكتوب بدماء الشّهداء، دماءٌ سُفِكت من أجل رفعه عاليًا ليرفرف في فضاء الحريّة.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عمر بولبازين، 68 سنة، تاملوكة

[2]– **القبة الخضراء:** كناية عن الجنود، **اتبان:** تظهر، **كسوة:** كِساء، **جابوها:** أحضروها، **الاخوان:** الإخوان و هم الثوّار

[3]– **درابو:** مأخوذة من كلمة drapeau الفرنسية و تعني العلَم، متقعّد: واقف

[4]– **خاطر:** بمعنى لكون هذا، **ليمان قويّة:** الإيمان قوي، **احنا:** نحن، **نضربوا:** نضرب و المقصود هنا نجاهد

[5]– منقولة عن طريق السّماع: الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

[6]– **مقعّد:** واقف، **كي:** مثل.

[7]– **طابع ليدارة:** يقصد به ختم النجمة و الهلال إضارة إلى العلم الوطني، **حاروا:** احتاروا و تعجّبوا لأمره، **النصارة:** النّصارى.

[8]– **خويا:** أخي، **عرفوه خسارة:** أي أنّ الأعداء عرفوا أنّ هذا العلم مكرّم لدى أهله لذا سيجلب عليهم خسارة الحرب.

وفي مقابل الرّغبة الشّديدة في رفع العلم الوطني كانت الرّغبة أشد في إسدال علم المستعمر، لأنّه رُفع في أرضٍ غير أرضِه:[1]

**نُطْلَبْ رَبِّي لَمْلِيحْ دْرَابُو فْرَانْسَا يْطِيحْ**[2]

**دَمْ لَمَّـالَطْ يْسِيحْ نَخْلَفْ ثَارْ وَالْدِيَّ**[3]

كما نلاحظ حب الشّعب للعلم واهتمامه الكبير بما يرمز إليه من خلال الأغنية الشّعبية الآتية:[4]

**صَيَّرْنَـــاهَا بَـــالصَيَّـــــارْ و دَوَّرْنَـــاهَا بَـــالدُوَّارْ**[5]

**نَحِّيـــنَا جْمِيـــعْ الغَـــدَّارْ وَ بْقَـاتْ الدَّوْلَة عَرْبِيَّة**[6]

**دْرَابُـــونَا أَخْضَـــرْ وَ حْرِيـــرْ لَاحَتُّو فْرَنْسَا فَالبِيـــرْ**[7]

**نْطَيْحُوا عْلِيهْ صْغِيرْ وَ كْبِيـــرْ و بِيـــهْ نَدُّو الحُرِيَّـة**[8]

**و لَا مَا وْصَلْنَـــاشْ الحَـــالْ نْزِيـــدُوا حَتَّى الذَرِيَّة**[9]

**اللِّي يْحَبْ لَافْرِيكْ دِي نُورْ يْشَارَكْنَا فِي الوَطَنِيَّة**[10]

**يْدَافَعْ عْلَى الدْرَابُو المَنْصُورْ تَاعْ الدَّوْلَة الإِسْلَامِيَّة**[11]

في البيتين الأوّلين يعتمد المغنّي تعبيرًا مجازيًّا حيث شبّه فرنسا بما تمّت غربلته في الغربال إشارةً إلى تصفية وجودها من الجزائر، هي ومن وقف إلى جانبها من العملاء "نحينا جميع الغدار"، فظلّت الجزائر عربيّةً بأهلها وناسها.

---

[1]– أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس، المرجع السّابق، ص 7

[2]– **نطلب**: أطلب و المقصود هنا أدعو، **لمليح**: تُذكر إجلالا لله تعالى، **درابو**: مأخوذة من كلمة drapeau الفرنسية و تعني العلَم، **يطيح**: يسقط

[3]– **دم لمالط**: جنود من مالطا تعاونوا فرنسا ضدّ الجزائر ، **يسيح**: يسيل، **نخلف ثار**: آخذ بثأر، **والديَّ**: المقصود أبوايْ، والمقصود بالعبارة أنتقم لما تعرّض إليه أهلي من تنكيل و قهر

[4]– منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس

[5]– **صيّرناها**: قمنا بغربلتها، **بالصيّار**: بالغربال، **دوّرناها**: طُفنا بها، **الدّوار**: الرّيف

[6]– **نحّينا جميع الغدّر**: أي قضينا على كل غادر، **بقات**: بقت بمعنى ظلّت

[7]– **درابونا**: علمنا، **لاحتو**: وضعته و المقصود هنا رمته، **فالبير**: في البئر

[8]– **نطيحوا عليه**: نسقط من أجله أي نستشهد من أجل إعلائه، **بيه**: به، **ندّوا**: نأخذ أو ننل

[9]– **ولا**: و إذا، **ما وصلناش الحال**: إذا لم يكفِنا عدد المجاهدين، **نزيدوا**: نُضِف، **الذريّة**: الصغار

[10]– **اللّي**: الذي، **لافريك دي نور**: ترجمة حرفيّة للعبارة الفرنسيّة Afrique du Nord أي الشمال الإفريقي

[11]– **الدرابو**: مأخوذة من كلمة drapeau الفرنسية و تعني العلَم، **تاع**: الخاص بِ

وتصبّ باقي الأبيات في حب العلم وما لَهُ من دعم معنوي كان له الفضل في الانتصار ونيل الحريّة، فتهافت عليه الجميع؛ كبار وصغار، وحتّى من لم يبلغ سنّ الرّشد بعد، وهذا ما يدلّ على عظمة العلم وقداسته في قلب كلّ مواطن جزائري حريص على هويّته الوطنيّة.

وفي مقطوعة شبيهة بالتي أوردناها:[1]

**الّي حَـــابْ يَـــقْدِي نُورِي يْشَـــارْكْنَا فِـــي الوَطَنِيَّـــة[2]**

**يْدَافَعْ عْلَى الدْرَابُو المَنْصُورْ تَـــاعْ الدَّوْلَـــة الإِسْلَامِيَّة**

**فْرَنْسَـــا جَنَّـــتْ وَ عْمَاتْ و عَادَتْ تْلَبَّسْ فَاللبْنَاتْ[3]**

**تْطَلَّعْ فِيـهُمْ قْرِيـــطَـــاتْ وَ تْـــقُولْ:الجَزَائِـــرْ لِيَّـــا[4]**

**ذْرَابُـــونَا أَحْمَرْ وَ حْرِيرْ لَاحَتُّـــو فْرَانْسَـــا فَالْبِيـرْ**

**لَحْقُـــوهْ نِـــسْوَة وَ صْغِيرْ و زَادُو حَتَّى الشَّبَـــابِيَّـــة[5]**

يوجّه المغنّي خطابه في البيت الأوّل إلى عامّة الجزائريّين، يحثّهم على المشاركة في الثّورة من جميع الزّوايا، لأنّ ذلك يسعده، ويضيء النّور في قلبه، وفي البيت الثّاني يُبرز أهم دور يقوم به كل ثائر، ألا وهو الدّفاع عن العلم الوطني رمز السّيادة والشّموخ، وقد ألحق النّصر به، ونسبه إلى الإسلام "الدرابو المنصور تاع الدّولة الإسلاميّة".

وفي البيتَيْن الأخيرين تحبّب إلينا الأغنية صورة العلم ، مُضفيةً عليه مسحة جمالية في لفظة "أحمر حرير" فهو إلى جانب قيمته المعنويّة له قيمة جماليّة أيضًا، وقد ركّز على اللّون الأحمر للدّلالة على الدّماء التي فاضت من أجل الحريّة، وذلك ما دفع بفرنسا إلى محاولة طمسه، فيضرب لنا المغنّي مثلاً " لاحتو فرانسا فالبير" أي رمته فرنسا في البئر حتى تقضي بذلك على الهويّة الوطنيّة، لكن هيهات ، فالشّعب الجزائري كثير التهافت عليه، سواء نساء أو رجال، وحتّى الصّبيان، وهذا ما عبّر عنه في البيت الأخير.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

[2]– **اللّي**: الذي، **حاب**: اسم فاعل للفعل أحبَّ، **يقدي**: يُشعل

[3]– **فرانسا**: فرنسا، **جَنّت**: جُنَّت، **عمات**: أصابها العمى، **عادت**: بمعنى أصبحت، **تلبَّس فالبنات**: تُلبِس البنات الزّي العسكري.

[4]– **تطلّع**: تُصعِدهم في السيّارات العسكريّة، **قريطات**: صِغار، مأخوذة من قرطة و هي في الدّارجة تعني صغير الحجم.

[5]– **لحقوه**: لحقه، **زادوا**: أي لحقه أيضًا، **الشّبابيّة**: فئة الشّباب

كما تقول الأغنية :[1]

**دْرَابُونَـــا كِي جَبَّى جَبَّى عْلَى بُوحُبَّ[2]**
**لَفْرَنْسِيسْ فِي غُلْبَة مَـــاتُو بَـــالْعَلَّة[3]**
**دْرَابُونَـــا هَـــزُّوهْ فَالْبُـــوطُو حَطُّوهْ[4]**
**لَفْرَنْسِيسْ شَافُوهْ مَـــاتُو بَـــالْعَلَّة[5]**

كما تبيّن الأغنية الشّعبية وقفة الرّجال للاستعمار وقفة الصّناديد الذين تحمّلوا الذّل، والعطش، والجوع من أجل استرجاع الوطن، واستعملوا العلم الجزائريّ رمزًا للحريّة والاستقلال:[6]

**هَيَّا يَا رِجَالْ،الاسْتِعْمَارْ دَايْر بينا الحَبْ وَ النَّارْ مْقَابَلْ لِينَا[7]**
**الشَّـــرْ وَ العْطَشْ زَادْ عْلِيـــنَا نَجْمَة وَ هْلَالْ فِي صْدَرْنَا[8]**
**وَ المُكَحْلَـــة فِي يَدِّينَـــا[9]**

و لا يمكن لشعبٍ مثل الشّعب الجزائري أن يتّخذ من رمز دولةٍ أخرى رمزًا له، فلا يمكنه سوى الاعتزاز برموز وطنه فقط، لأنّه ينتسب إليها، وهذا ما أقرّه بعض من الذين التحقوا بصفوف التّجنيد الفرنسي وندموا لما تقسّموا، وارتدوا الزّي الفرنسي والقبّعة الفرنسية، فتقول الأغنية:[10]

**عْلَاشْ عْلَاشْ قَاجِينَا البِيرِي رُوجْ خَـاطِينَا[11]**
**نَجْمَة وَ هْلَالْ تْوَاتِينَا[12]**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[2]– **درابونا**: علمنا، **كي**: لما، **جبّى على بو حُبَّ**: اختفى من أجل من يحبونه

[3]– **لفرنسيس**: الفرنسيّون، **في غلبة**: في تعب و عناء

[4]– **هزّوه**: حملوه، **البوطو**: عمود، **حطّوه**: وضعوه

[5]– **شافوه**: شاهدوه

[6]– منقولة عن طريق السّماع، عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[7]– **داير بينا**: أي يحاصرنا، **الحب**: الرّصاص، **مقابل لينا**: موجّه إلينا

[8]– **الشّر**: أي الجوع الشّديد، **زاد علينا**: بمعنى زاد حالنا سوءًا

[9]– **المكحلة**: البندقيّة ، **يدّينا**: أيدينا.

[10]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي

[11]– **علاش**: لماذا، **قاجينا**: تجنّدنا بالقوّة، **البيري روج**: ترجمة حرفية لـ biriya rouge و تعني القبعة الحمراء التي يرتديها الجندي الفرنسي، **خاطينا**: بمعنى ليس لنا أو لا علاقة لنا به كونه زي فرنسي.

[12]– **تواتينا**: تليق بنا أو تنسجم معنا

كما تُبيّن الأغنية الشّعبية أيضًا وقفة الرّجال الذين التحقوا بصفوف جيش التّحرير الوطني ضدّ العدو الفرنسي، وهم يحملون العلم الجزائري ويدافعون عنه في خضم المعارك العنيفة، وكان حملهم للعلم دافع ومحفز لعدم الفشل أو الرّجوع إلى الوراء والاستسلام مهما يكن، ولو على أرواحهم، وهذا يذكّرنا بأبطال الإسلام، وهم يحملون الرّايات في ساحات الوغى، أمثال **جعفر الطيّار** و**زيد بن حارثة** و **ابن رواحة** وغيرهم، فتصوّر الأغنية الشّعبية مشهدًا من هذه المشاهد التي تبعث على الفخر والاعتزاز بشهدائنا وبعلَمنا، وبكلّ من دافع عن رايتنا الغالية:[1]

**الطَيَّـــارَة تَـضْرَبْ تَضْرَبْ بَالرُّوكَاتْ**[2]
**وَخْذِي عْلَى الزَغَّادْ جَانِي خَبْرُو مَاتْ**[3]
**شَكَّـــاطْ يْعَيَّـــطْ و نَـــاشَرْ لَـعْلَامْ**[4]
**اضْرْبُوا يَـا جُنُودْ أَمْ فَضُّـــو لِيَّـــامْ**[5]

فعلَمنا الجزائري عزيز على قلوبنا لأنّه اعتلى سماء الجزائر بفضل التّضحيات الجسام، وبفضل أرواح الشّهداء الذين قدّموا الغالي والنّفيس لكي نحيا من بعدهم أحرارًا منصورين من الله عزّ وجل.

وتقول الأغنية:[6]

**دْرَابُونَـــا نَجْمَة وَ هلَالْ و لَا مَكْفَـــاشْ الحَـالْ**[7]
**نْكَمْلُو بَـــــالذَرِيَّـــــة**[8]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي

[2]– **الطيّارة**: الطّائرة، **تضرب**: بمعنى تقصف، **الرّوكات**: ترجمة لكلمة roquette الفرنسية و تعني صاروخ عسكري.

[3]– **وخذي**: لفظ يستخدم للتعبير عن الفجيعة، **الزغاد**: هو محمد لسمر و كان نائبا لصالح الحروشي، **جاني خبرو مات**: بلغني خبر موته.

[4]–**شكّاط**: هو شكاط محمد، و كان عضوا بارزا في جيش التحرير الوطني، استشهد في قلعة فيالة، **يعيّط**: يصرخ، **لعلام**:العلم.

[5]– **اضربوا**: بمعنى قاتلوا الأعداء، **أَم**: لقد، **فضّوا**: انتهت، **ليّام**: الأيّام، و عبارة أم فضّوا ليّام بمعنى قد قاربت فترة الاستعمار على الانتهاء.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: لحسن فراحتية ، 81 سنة، وادي الشحم

[7]– **درابونا**: تحريف للفظ الأجنبي drapou أي العلَم، **ولا**: و إذا، **ماكفاش**: لم يكفِ، و عبارة ماكفاش الحال بمعنى لم يكف عدد الثوّار.

[8]– **نكملوا**: أي نُكمل العدد، **بالذريّة**: بالأطفال

**نْدَافْعُوا بَالدْرَابُو المَنْصُورْ و لَا طيَّارَة و لَا بَابُورْ[1]**

**مْبَـــارْكَةْ رَبِّي وَ الرَّسُولْ وَ حْنَا نْجِيبُوا الحُرِيَّة[2]**

توفّر معجم الوطن في هذه المقطوعة، وتندرج ضمنه المفردات الآتية: (درابونا، نجمة، هلال، الحرية، الجزائر، الدّم) ، فمبدع الأغنية في هذه الأبيات يُشيد بالعلم الوطني، ويفتخر بما يعبّر عنه من خلال رموزه كالنّجمة والهلال.

ثم يشيد بالدّفاع به عن وطنه فهو الممثّل لكرامة الدّولة و رمز استقلالها، فلا وسيلة تصل مقام هذا العلم، ثم يتوكّل على الله عزّ وجل، وبرضى الرّسول –صلّى الله عليه وسلم– سيأخذون حريّتهم مهما كلّف الثّمن، فهو يحمل مسؤولية استقلال وطنه، الذي فقد من أجله المئات من الشّهداء وذلك في قوله:"و لا مكفاش الحال نكملو بالذرية" أي إذا استُشهد كل الرّجال فسنُلحق بهم ذريّاتهم فداءً للوطن.

وفي الختام يفتخر بالموت في سبيل الله على أن يعيش تحت جبروت المستعمر:

**وَ حْنَا نْمُوتُوا عَالدِّينْ وْلَا عَشْنَا نْعِيشُوا حَيِّينْ[3]**

**و لَا نَرْضَاوْ مْعِيشَة دُونِيَّة[4]**

## 4– حبّ الوطن:

شعب الجزائر شعبٌ محبٌّ لوطنه غيورٌ عليه، وقد برهن أهل قالمة على ذلك منذ البداية في مقاومتهم للهجميّة الاستعماريّة الفرنسيّة، وتجلى ذلك في أحداث الثامن ماي 1945م، حيث سقط عدد مُعتبر من الشّهداء تضحية لوطنهم، وغيرها من الأعمال القتالية التي خاضها الجزائريّون مع الفرنسيّين منذ الاشتباكات الأولى، وهذا ما شهد به كل المراقبين الذين رافقوا الحملة، وكذلك الذين كتبوا تاريخها[5]

[1]– **ندافعوا**: ندافع، **بالدرابو**: بالعلم، **طيّارة**: طائرة، **بابور**: باخرة أو سفينة

[2]– **حنا**: نحن، **نجيبوا**: نأتي بِ

[3]– **احنا**: نحن، **نموتوا**: نمت أو نستشهد، **عالدّين**: من أجل الدّين الإسلامي، **ولا**: و إذا، **نعيشوا**: نعِش

[4]– **نرضاو**: نرضى، **دونيّة**: سيئة و دون المستوى المطلوب

[5]– بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، دار النفائس، ط1، ص 86

والشّعب القالمي غني بالقوّة ومتميّز، مثل غيره من مواطني الجزائر، بحبّه لوطنه وغيرته عليه، يشهد بهذا تاريخه الحافل بشدّة البأس، وصلابة العود، و قوّة العزيمة وعلوّ الهمّة، وحب الحريّة، والثّقة بالنّفس، والاستعصاء على الانحناء، والرّكوع[1]

ومن المظاهر الهامّة التي تبرز حب الجزائريين عامّةً والشّعب القالمي خاصّةً لوطنه هو أنهم لم يقبلوا الهزيمة أبدًا، فالفرنسيُّون كانوا يعلمون أنّهم قد انتصروا على الجزائريين بقوّة السّلاح وليس بعقد اتفاق أو استسلام إداري، وبينما كانوا منهزمين فإنهم قد استمرُّوا في مقاومتهم بكلّ الوسائل التي يملكونها، وعلى جميع مستويات مجتمعهم، فثورات الفلّاحين، ونظم الجمعيّة الدّينية السريّة والأدب الشّعبي لم يكن إلا بعض مظاهر المقاومة المتواصلة ضد حكم مفروض، وقد لاحظ الفرنسيُّون أنفسهم هذه الرّوح المتطلعة للاستقلال[2]

يقول مبدع الأغنية:[3]

**يَا سَادَاتْ وْلِيدَاتْ النِّسَاءْ وَ حْرِيقْ الفرْمَــاتْ[4]**

**تْرَانَتْ مْعَاهْ الدُّوسَاتْ و المُرْتِي تْعَيَّطْ عْيَاطْ[5]**

**جَبْنَــا لَكْلَامْ و فِي قْـدُورْ وْلِيــدَاتْ الإسْلَامْ[6]**

**جَبْنَــا الغْنَايَا و فِي قْــدُورْ النَّـــاسْ الفْدَايَا[7]**

**نْهَــارْ كْبِيرْ وْلِي تْوَقَّــعْ تَحْت الهَنْشِــيرْ[8]**

---

[1]- مجلة أول نوفمبر، جويلية 2006، العدد 168، ص 36

[2]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، الشّركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، ج3، ص 63

[3]- منقولة عن طريق السّماع: طالب برنية، 71 سنة، عين تحميمين- بوشقوف

[4]- **وليدات**: تصغير للفظة أولاد، **الفرمات**: مأخوذة من كلمة firma الفرنسية، ويُقصد بها أيضا منازل المعمّرين التي تتوسّط الحقول.

[5]- **ترانت**: أي الرقم ثلاثون بالفرنسية trente و المقصود بها رشّاش رقم 30، **معاه**: معه أو إلى جانبه، **الدّوسات**: أي الرّقم اثنان و الرّقم سبعة بالفرنسية deux sept، و المقصود به قطعة السلاح رقم 2-7، **المرتي**: نوع من السلاح الثّقيل، **تعيّط**: تصرخ و المقصود هنا أنّها تُصدِر صوتًا قويًّا، **عياط**: صراخ.

[6]- **جبنا لكلام**: بمعنى أتينا بالكلام، **قدور**: قَدْر، **وليدات**: أبناء

[7]- **الغنايا**: الأغنية، **الفدايا**: الفدائيين.

[8]- **لي**: الذي، **توقّع**: الذي حدث.

**و دَمْ غزِيـــرْ مَا بِيـــنْ العْدَايَـــا و لَـحْرَارْ**[1]

فهذه الأغنية تشيد بحب الشّعب القالمي لوطنه، وجهاد الفدائيين وإضمار الحرب بينهم وبين العدو في سبيل استرجاع وطنهم، ونلحظ ذلك من خلال إعلائها لقدر المسلمين "في قدور وليدات الإسلام"، و من قدّموا أرواحهم ثمنًا للحريّة و النّصر "في قدور الناس الفدايا".

وكذلك تقول الأغنية في شأن حب الجزائر:[2]

**الجَزَائِـــرْ يَا أُمْنَـا اسْقِينَـــاهَا بْدَمْنَـا**

**انْكَـــافَحْ فِيـــهَـا أَنْـــتَ و أَنَـــا**

**وَ انْدِيرُوهَا جُمْهُورِيَّة**

**الجَزَائِـرْ هِيَ الأُمْ و نَسْقِيوْهَا بَالدَّمْ**[3]

ركّز مبدع الأغنية هنا على تكرار التّشبيه البليغ (تشبيه الوطن بالأم)، إذ لا علاقة أكثر حميميّة من علاقة الأم بابنها، و لاسيما أنّها أمٌ تعبت وثقل كاهلها بما فقدته من أبنائها الأحرار، الذين دفعوا دمائهم الطّاهرة نصرةً لها.

ونورد كذلك في هذا الشّأن:[4]

**وَطْنِي وَطْنِي بِيـــهْ مَنْ صُغْرِي مَغْرُومْ عَهْد الصِّبَـــى كُنْت نَرْضَعْ تُرْبَاتُو**[5]

**نْحَبُّو وَ نْطِيـــحْ نَتْرَعْرَعْ وَ نْقُـــومْ جِسْمِي وَ الرُّوحْ تْكُونْ مَنْ خَيْرَاتُو**[6]

**أَحْنَا أَهْل الحَقْ و أَصْحَابْ الغَمرَاتْ يَا وَيْح الجَهُولْ إِذَا خَدْعُو عَصْيَانْ**[7]

نلمح في الاستعارة المكنيّة "نرضع ترباتو" العلاقة الوطيدة التي تربط الجزائري بأرضه، فهو متعلّقٌ بها كتعلّق الرّضيع بأمّه، و هذه الأغنية تبيّن اعتزاز الشّعب الجزائري بوطنه وبترابه وبخيراته، وقد كان يُدرك جيّدًا أنّ فرنسا ليست كما تدّعي وأنّها لم تأتِ إلى بلده لأجل مصلحته، وإنّما على عكس ذلك، فهي تريد خدمة مصالحها و مصالح شعبها فحسب، شأنها شأن أيّ مستعمر.

---

[1]– **العدايا**: الأعداء، **لحرار**: الأحرار

[2]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[3]– **نسقيوها**: نسقيها

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[5]– **من صغري**: منذ طفولتي، **ترباتو**: تربته

[6]– **نحبّو**: أحبّه، **نطيح**: أسقط، نقوم بمعنى أنهض، **خيراتو**: خيراته.

[7]– **أحنا**: نحن، **الغمرات**: المحن، **الجهول**: صيغة مبالغة لجاهل، **خدعو**: خدعه.

تقول الأغنية:[1]

**جَزَائِـــرْ أَعَـــزْ البُـــلْدَانْ طَمْعُـــوا فِيـــهَا كُـــلْ العَدْيَـــانْ**
**عْلِيـــنَا مَعَـــارِكْ و نِيـــرَانْ وَجْدُوا فِيـهَـــا رْجَـــالْ و شُجْعَانْ**
**بْلَادْنَـــا بْـــلَادْ عُرْبَـــانْ تْعَارْكَتْ عْلِيهَا فْرَانْسَا وَ الطَّالْيَانْ[2]**
**أَرْضْنَا وَاحْنَا فِيـــهَا أَحْرَارْ مَـــاتُوا عْلِيـــهَا الشُّهَدَا لَبْـرَارْ[3]**

ابتدأ المغنّي مقطوعته باعتزازه ببلاده "الجزائر أعز البلدان"، مُبيّنًا قيمتها و وزنها في قلبه وقلب كل جزائري، ولأهميّتها كموقع استراتيجي كانت محلّ نزاع وتنافس بين المستعمرين، الذين تهافتوا من أجل الانقضاض عليها "طمعوا فيها كل العديان"، لكنّ أبناءها الصّامدين وقفوا لهم بالمرصاد، ودافعوا عن ثرواتها.

وكثيرًا ما نجد نون الجماعة في كلمة أرض "أرضنا" لكونها تعود إليهم –أبناء الوطن–، وإثباتًا منهم على المطالبة بحقّهم المشروع.

إنّ الهدف الأكبر للمستعمر هو طمس الرّوح الوطنيّة في قلوب الجزائريّين، فلم يدّخر جهدًا في محاولة محو اللغة العربيّة واستبدالها بالفرنسيّة، و كذلك محاولة القضاء على الدّين الإسلامي من خلال البعثات التّبشيرية، بل واستبدال محبة الجزائر بمحبّة فرنسا أرض العدو، لكن لما كان الشّعب الجزائري واعيًا ومحبته لوطنه متجذّرة منذ السّلف فإن فرنسا لم تستطع محو هويّته، ولقد تغنّت الأغنية الشّعبية عن حب الوطن[4] فقالت:[5]

**يَا يُومَّة عْلَاهْ تَبْكِي عْلِيَّا وَلْدَكْ اَمْجَنَّدْ فَالوَطَنِيَّة[6]**
**حُبْ الجَزَائِرْ وَاجَبْ عَلِيَّا رُوحِي و مَالِي للْوَطَنِيَّة[7]**

جاء حبّ الوطن صريحًا في قوله: "حب الجزائر"، بل عدّه المواطن واجبًا مقدّسًا "واجب عليّا"، لذا فلا ضَيْرَ أن يقدّم الجزائريُّ روحه، وكلّ ما يملك فداءً لوطنه "روحي و مالي للوطنيّة".

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

[2]– **الطّاليان**: الإيطاليّين

[3]– **احنا**: نحن، **عليها**: بمعنى من أجلها، **الشّهدا**: الشّهداء، **لبرار**: الأبرار.

[4]– المنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة أول نوفمبر، ص 09

[5]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[6]– **يومّة**: أمّي، **علاه**: لماذا، **عليّا**: بمعنى من أجلي، **امجنّد**: مُجَنَّد، **الوطنيّة**: المقصود بها جبهة التّحرير الوطني.

[7]– **عليًّا**: عَلَيَّ

**ثالثًا/ التّضامن:**

**الجانب المادّي:**

نقصد بالتّضامن هنا تلك الإمدادات التي كانت تقدّم للمجاهدين من مال، ومؤونة، من طرف المواطنين، ثمّ يتولّى المجاهدون توزيعها على الفقراء والمحتاجين، و إلى أُسر الشّهداء.

**الجانب المعنوي:**

نقصد به تلك اللّحمة المتماسكة بين أفراد الشّعب الجزائري، وتآزرهم و وقوفهم جنبًا إلى جنب لتحرير البلاد من أيادي المستعمر البغيض.

**رابعًا/ الشّجاعة:**

تُعتبر الشّجاعة أحد المواضيع التي احتلّت حيّزًا كبيرًا في الأغاني الشّعبية والأهازيج الفلكلورية، فصارت محل افتخار، ومضربًا للمثل لدى الجماهير الشّعبية، ولاسيما إذا تعلّق الأمر بالثّورة والجهاد:[1]

**الجْبَلْ لَحْرَشْ وَ لْعَسْكَرْ ايطِيـــحْ كِـي القَشْ[2]**

**وَ القُبْـــطَـــانْ ادْهَـــشْ وَ القَارِيطَا تَقْدِي بَالنَّارْ[3]**

فالمجاهدون الشُّجعان أحدثوا فزعًا في قلوب المستعمرين، إذ انتصروا عليهم في الجبل، فكان عساكر العدو يتهاوون من أثر الطّلقات النّارية، وقد شبّههم المغني بالقش "ايطيح كي القش"، والقش معروفٌ بخفّته وعدم صلابته، كذلك أحدث المجاهدون حريقًا في مركز المراقبة الخاص بالمستعمر، فكانت هذه القوّة و الشّجاعة محلّ اندهاش القادة الفرنسيّين "القبطان ادهش".

**و ممّا قيل أيضًا في شجاعة المجاهدين:[4]**

**جَزَائِـــرْ أَعَـــزْ البُلْدَانْ طَمْعُـــوا فِيهَا كُلْ العَدْيَانْ**

**عْلِينَا مَعَـارَكْ و نِيـــرَانْ وَجْدُوا فِيهَا رْجَالْ شُجْعَانْ**

[1]- منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار ، 70 سنة، جبالة لخميسي

[2]- **الجبل لحرش:** أي ذو مسالك وعرة و ذو أحراش.

[3]- **القاريطا:** هي مكان الحراسة و منقولة عن كلمة الفرنسية guérite و تعني حراسة.

[4] - منقولة عن طريق السّماع، عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

كذلك:[1]

**دَرْنَا مَجْلَسْ وَ تْلَمِّينَا لْقِينَا فْرَانْسَا عْدُوَّة لِينَا**[2]
**أيَّا نْثَوْرُوا الدُّخَانْ طْلَبْنَا رَبِّي ، وَ بْدِينَا**[3]
**بالبَارُودْ وَ النِّيرَانْ سَمْعُوا خَاوَتْنَا نْضَمُّو لِينَا**[4]
**ثُرْنَا ضِدْ العَدْيَانْ**

تبدو مظاهر الشّجاعة بارزةً في هذه المقطوعة ؛ "وجدو فيها رجال شجعان"، أيا نثوروا الدّخان"، "بدينا بالبارود و النّيران"، "ثرنا ضد العديان"، فنفوس المجاهدين تتأجّج وتتوقّد نيرانًا حاميةً على مواجهة المستعمر البغيض، وقلوبهم مشحونةً بالإيمان، فباتوا كُرات لهبٍ تُقذَف على الأعداء من كلّ جانب.

والشّاعر في هذه الأبيات يدعو إلى الثّورة، ويستنهض الشّعب للقتال، والدّفاع عن أرضه ودينه "أيّا نثوروا"، "ثرنا".

تميّز جيش التّحرير الوطني، ومناضلوه بالشّجاعة، فكانوا يستعجلون في طلب الشّهادة والاستشهاد، وهي رغبة ملحّة أملتها المرجعية الدّينية حول شرف الجهاد وثوابه، وعدم تولّي الأدبار أثناء لقاء العدو. في هذا الصدد يقول مبدع الأغنية:[5]

**يَا شُوفْ الغَدَّارَة تَغْدَرْ فِينَا بَالطَيَّارَة**[6]
**مَنْ عَنْدنَا جَاتْ السَّجْعَة**[7]

يقارن المغني في هذا المقطع بين جُبن العدو، الذي لجأ إلى الحيلة والخداع لهزم خصمه، وشجاعة الثوّار وصلابتهم، بل إنّهم منبع الشّجاعة، وقد وظّف في بداية المقطع أسلوبًا إنشائيًّا بصيغة النّداء (يا شوف الغدّارة)، وهو ذو غرض مجازي يكمن في الدّعوة إلى إمعان النّظر بما يقوم به المستعمر من أساليب تتنافى والشّهامة.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[2]– **درنا**: عقدنا، **تلمّينا**: اجتمعنا، **لينا**: لنا

[3]– **أيّا**: هيَّا، **نثوروا**: نُثِر، **بدينا**: بدأنا و المقصود شرعنا في الكفاح

[4]– **خاوتنا**: إخواننا من أبناء الوطن، **نضمّوا**: انضمّوا، **لينا**: إلينا

[5]– منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس

[6]– **يا شوف**: دعوة إلى النّظر، **الغدارة**: كناية عن فرنسا، **تغدر فينا**: تغدرنا، **بالطيّارة**: بالطّائرة الحربيّة أي بالقصف

[7]– **جات**: جاءت، **السّجعة**: الشّجاعة

وفي موضع آخر:[1]

**يَـــا خُوتِي لِيـشَـــارْ يَرْعَدْ حَتَّى رَعْدَتْ مَنُّــو لَجْبَـالْ[2]**

**وَالله مَـــانِي خَـــايَفْ مَنُّو خَايَفْ مَنْ لْمِينَة وَالسِّيلَانْ[3]**

يصوّر لنا هذا المجاهد صورةً رهيبةً، ألا وهي تلك الدبّابات التي تهزّ الجبال، فتُقيمها ولا تُقعِدها لما لها من دويٍّ و صخب، و مع ذلك فهي لا تُرهب هذا الثّائر، وقد استعمل في الاستعارة المكنية لإيضاح المعنى في قوله (رعدت منّو لجبال) حيث ذكر المشبّه (الجبال) وحذف المشبّه به (الإنسان) وذكر صفة من صفاته ألا وهي الارتعاش من شدّة الخوف والفزع (رعدت)، وقد اعتمد القسم تأكيدًا منه على ذلك "والله ماني خايف"، فقط هو يهاب ما قد دسّه العدو من قنابل و ما غرسه من أسلاك كهربائيّة، وهذا يدل على حب المجاهد للمواجهة المباشرة للعدو.

ويقول أيضًا:[4]

**شَعْب بْـــلَادِي شَعْب بْـــلَادِي بَالهَمْ أَمَّالَفْ مَنْ فْرَانْسَا مَا هُو خَايَفْ[5]**

**اَشْحَـــالْ صْبَـــرْ و سَـــــاعَفْ مَـــالهْمُـــــــومْ الكَثْـــــــرَة[6]**

**لَكِـــنْ اَحْنَـــــــا شُجْعَـــانْ فِـــــي قْلُوبْنَـــــــا الإيمَـــانْ[7]**

**تْشُوفْنَـــا كِـــي الفُرْسَـــــانْ تَحْلَـــــى فِيـــنَـــا النَّـــظْـرَة[8]**

**وَ طْلَعْنَـــــا لَلـجْبَـــــالْ وَ شْرَعْنَـــــــا فَالأعْمَـــــالْ[9]**

**الحَـــقْ لَـــازَمْ يَـنْقَـــــالْ لَا رُجُـــــوع لْلْـــــــوَرَاءْ[10]**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[2]– **خوتي**: إخواني ، **ليشار**: نقل حربي للكلمة الفرنسيّة le char أي الدبّابة، **يرعد**: يهتزّ و يحدث صوتًا عند سيره، **رعدت**: اهتزّت أو هلعت، **منّو**: منه ، **لجبال**: الجبال.

[3]– **ماني خايف**: لست بخائف ، **لمينة**: ترجمة حرفيّة لكلمة mine الفرنسيّة و تعني اللغم، **السّيلان**: الأسلاك الشّائكة.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: مصمودي عمار، 57 سنة، هيليوبوليس

[5]– **بالهم**: في ظنّهم ، **أمّالف**: متعوّد ، **ماهو خايف**: ليس بخائف

[6]– **اشحال**: كم مِن، **ساعف**: تحمّل ، **مالهموم**: من الهموم ، **الكثرة**: الكثيرة

[7]– **احنا**: نحن

[8]– **تشوفنا**: ترانا، **كي**: مثل، **تحلى**: تحلو

[9]– **طلعنا**: صعدنا

[10]– **ينقال**: يُقال

تُعبّر هذه المقطوعة وبشكلٍ كبيرٍ عن شجاعة الشّعب الجزائري وبسالته في القتال والتصدّي للأعداء، وذلك راجع إلى عدّة أسباب؛ فهو شعبٌ تعوّد على المفاجع والمآسي، ممّا أكسبه قوّة الصّبر والصّمود، وهذا ما يتّضح في البيتين الأوّلَيْن.

وفي البيتين الثالث والرّابع، يُشيد الشّاعر ببطولة شعبه ويفخر بأمجاده، فهو شعبٌ شجاع "احنا شجعان"، مفعمٌ بالإيمان "في قلوبنا الإيمان"، فرسانٌ تبدو صورتهم بهيّة، تحلو للناظرين.

في البيت الخامس يخبرنا صاحب المقطوعة بصعود الثوّار للجّبال، وشروعهم في الأعمال الثوريّة، من تخطيط وتربّص بالعدو، فلطالما كان الجبل ملاذ الثّائر الجزائري، وسهوله الوعرة مكّنته من التّواري عن أعين العدو.

وفي البيت الأخير، يختم مقطوعته بقول حق "لا رجوع للوراء"، هي مقولة تضمُّ أسمى معاني الشّجاعة والإقدام، وهي تُذكّرنا بمقولة البطل "**طارق بن زياد**" حين فتح الأندلس: " **أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدوّ من أمامكم** "[1]، فهي إشارة إلى المواجهة والإقدام، وعدم الرّجوع إلى الوراء، لأنّ في ذلك معرَّةٌ وموتٌ حقير.

وفي نفس السّياق تعبّر هذه الأغنية عن شجاعة الأبطال في مواجهتهم للأعداء:[2]

**نْهَـــــارْ سِيدِي البَـــادِي كَانْ طَـاحُوا بيهم وْلَادْ بْلَادِي**[3]

**منَ الكُدْيَـــــة غَـــادِي الرَّصَـــاصْ يْعَيَّطْ وَ يْنَادِي**[4]

**وَ هْبَـــــــطْ الهَـــــادِي أَوَّلْ مَـــا قْتَلْ البَرْقَـــادِي**[5]

**سَعْـــــــدِي بُـــــولَادِي قَتْلُوا الكُفَّارْ وزَادْ فَرْخ الطَّيَّارْ**[6]

---

[1]– عبد الحليم عويس، إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة ... لا تاريخ، دار الصّحوة للنّشر و التّوزيع، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م، ص 18

[2]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة.

[3]– **نهار**: بمعنى يوم، **سيدي البادي**: اعتاد أهل منطقة قالمة ولاسيما أهل البدو منهم على قول سيدي ربّي، و البادي هو اسم من أسماء الله الحُسنى أي البادئ، **طاحوا**: سقطوا، **بيهم**: بهم و الضمير هم هنا يعود على الأعداء، **ولاد بلادي**: أبناء بلادي، و المقصود بعبارة طاحوا بيهم ولاد بلادي أي أن الثوّار أطاحوا بعساكر العدو.

[4]– **الكدية**: هي الرّبوة و المقصود هنا أعالي الجبال، **غادي**: هناك، **يعيّط**: يصرخ

[5]– **هبط**: نزل و لعل المقصود هنا نزوله من الجبل، **الهادي**: اسم مجاهد ، **البرقادي**: رتبة عسكريّة (قائد فِرقة) وهي نقل حرفي لكلمة brigade الفرنسية و تعني اللّواء.

[6]– **سعدي**: حظّي، **بولادي**: بأولادي و عبارة سعدي بولادي تدل على مدى اعتزاز صاحب المقطع بأبنائه إشارة إلى أبطال الثّورة المغاوير، **و زاد**: بالإضافة إلى، **فرخ الطيّار**: العصافير الصّغيرة.

توضّح هذه الأبيات كيف تمكّن الثوّار من حسم المعركة لصالحهم، وقد استُدِلّ على ذلك بأمرين؛ أوّلهما قتل اللّواء العسكري من طرف المجاهد، وثانيهما توظيف الكناية في قوله " "وزَادْ فَرْخ الطَيَّارْ" أي أنّ هؤلاء الأبطال الشّجعان من كثرة تصويباتهم للرّصاص قضوا على جميع العساكر، وحتّى العصافير الصّغيرة المحلّقة في الفضاء، كناية عن كثرة طلقاتهم، وجودة تصويباتهم.

ومن الأغاني التي جمعت بين شجاعة المجاهد وقوّة إيمانه وإخلاصه:[1]

**الله يَا السُّجْعَانْ يَا أَهْل الإيمَانْ يَالْمُخْلِصِينْ وَ اسْمعُو لِيَّا**[2]

**خُوذُو كَلَامْ مَـــا فِيهْ افْهَـامْ تَارِيخْ جْدِيدْ عْلَى الوَطَنِيَّــة**[3]

وقيل أيضًا في شأن الثوّار الشّجعان:[4]

**عْلِينَا مَعَارَكْ و نِيــرَانْ وَجْدُوا فِيهَا رِجَالْ شُجْعَانْ**[5]

فالإنسان لا يكتسب الشّجاعة إلا بتخطّيه الأهوال، والشّعب الجزائري مثّل بحق هذه الصّفة، وبات رمزًا لها في جميع المحافل، ويكفينا التّاريخ شاهدًا على ذلك.

## 1- ارتباط الثوّار بالجبل:

يعدُّ الجبل رمز الثّورة بكل ما تحتويه هذه الكلمة من شجاعة وبطولة وفِداء، فالجبل ملاذ الثوّار ومركز تواجدهم، إذ اتّخذوه حصنًا منيعًا يحتمون به، ومكانًا ينظّمون فيه نشاطاتهم الثّورية وينسجون خططهم العسكريّة للنّيل من الاستعمار ، كما يُعدّ موقعًا استراتيجيًّا للهجومات، نظرًا لمسالكه الوعرة، التي وقفت حائلًا دون الوصول إليهم، ممّا زاد الأمر صعوبة على المستعمر، فلم يجد من بُدّ إلا غرس الألغام، و قذف القنابل، و حرق الجبال.

والأغاني الثّورية التي ذكرت الجبل كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال:[6]

**وِينْهُمْ وْلَادِي قَصْدُوا الجْبَلْ**[7]

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[2]- **السّجعان**: الشجعان، **يالمخلصين**: يا أيّها المخصلون، **ليّا**: لي و عبارة اسمعولي بمعنى اسمعوني

[3]- **خوذو**: خُذوا، **مافيه**: ليس فيه، و المقصود بعبارة كلام ما فيه إفهام أي أنّه واضح لا يحتاج شرح

[4]- منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[5]- **علينا معارك**: بمعنى خضنا كثير من المعارك

[6]- منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[7]- **وينهم**: أين هم

**هَزُّوا السْلَاحْ و دَهْمُوا الكِفَاحْ[1]**
**كُلْ قَدِيـرْ عْلَى كَتْفُو سْلَاحْ[2]**

تُنشد هذه الأم أبناءها الذين صعدوا الجبل معقل الثّورة، حاملين أسلحتهم، مُعلنين الجهاد.

وفي مقطع ثانٍ:[3]

**يَـا جْبَـلْ صْعَبْ الطَّيَّـارَة بَالقَـازْ تْصَبْ[4]**
**جُنْـدِي مَا هْرَبْ عْلَى وْطَنْهُمْ قَدْمُوا لَلنَّارْ[5]**

نوّه المغني في هذين البيتين بشجاعة الجنود، و صمودهم في الجبل رغم القنابل التي قذفتها طائرات العدو، لأنّ الفرار جُبن و خزيٌ يلحق صاحبه.

و في موضعٍ آخر:[6]

**أُسِّي لَمِّيمَة وَ اسِّي مَا تَبْكِيشْ نَطْلَعْ لَلجْبَلْ نْمُوتْ و مَا نْرُنْدِيشْ[7]**
**فْرَانْسَـا جَـابَتْ لَارْتِيرِي وَ اتْـحَوَّسْ تَـدِّي لَالْجِيـرِي[8]**

يطلب هذا المجاهد من والدته الكفّ عن البكاء، لأنّه سيصعد الجبل وفي ذلك إشارة إلى الجهاد، فإمّا الصّمود في مواجهة المستعمر أو الموت شهيدًا.

وممّا ورد أيضًا في ذكر الجبل:[9]

**فِي جْبَـلْ لَايَـاتِي فِي الجْبَلْ كَايْنَة حَيَاتِي[10]**

---

[1]– **هزّوا**: حملوا، **دهموا**: اقتحموا و المقصود هنا انطلقوا للكفاح

[2]– **كتفو**: كتفه

[3]– منقولة عن طريق السّماع: قمير بوثلجة ، 75 سنة، قالمة

[4]– **صعب**: أي صعب المسالك، **الطيّارة**: الطّائرة، **بالقاز**: بالغاز ، **تصب**: بمعنى تقصف

[5]– **جندي ما هرب**: بمعنى لم يهرب و لا جندي، **قدموا للنّار**: تقدّموا للنّار

[6]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[7]– **أسّي**: اسكتِ، **لمّيمة**: أمّي، **ماتبكيش**: لا تبكِ، **نطلع للجبل**: أصعد الجبل، **نموت**: أموت، **ما نرنديش**: لا أستسلم

[8]– **جابت**: أحضرت، **لارتيري**: ترجمة حرفية للكلمة l'artillerie الفرنسية و تعني المدفعيّة، **تحوّس**: تريد، **تدّي**: تأخذ، و عبارة (تحوّس تدّي) بمعنى تريد أخذ أو احتلال، **لالجيري**: ترجمة حرفية لكلمة l'algérie الفرنسية وتعني الجزائر

[9]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[10]– **كاينة**: توجد

**يَـــا وِيـــــنْ تْبَـــاتِي الغُرْبَـــــة وَ المِيـزِيرِيَّة**[1]

فالمجاهد في هذين البيتين يُبرز مدى تعلّقه بالجبل، و ما لهذا الأخير من حصانة ودعامة للثوّار، برغم ما فيه من صِعاب و مشقّات.

## 2- نماذج من الشُّجعان:

إنّ أبطال الثّورة في ولاية قالمة كثيرون، نذكر منهم بعض النماذج على سبيل التّمثيل لا الحصر، على أنّنا سنفصّل أكثر في الفصل الرّابع من البحث.

قيل في شجاعة الشّهيد "محمّد شكّاط":[2]

**شَكَّـــاطْ يَنْدَهْ وَ يْقُولْ القُدَّامْ**[3]

**اضْرْبُو يَا جُنُودْ آمْ فَضُّـو لِيَّـــامْ**[4]

وفي مقطع شبيه:[5]

**شَكَّـاطْ يَنْدَهْ وَ يْقُولْ القُدَّامْ**

**قَـالْهُمْ جُنُودِي رَاهَمْ فَضُّو لِيَّامْ**[6]

في هذين البيتين ذِكر لشجاعة الشّهيد "**محمّد شكّاط**" أثناء المعركة، وبثّه الحماس في إخوانه المجاهدين حتّى يواصلوا القتال، مُبلِغًا إيّاهم أنّ وقت النّصر قريب " آم فضّو ليّام"، أي قَرُب الأجل، وأوشكت أيام المستعمر على الانتهاء ليحلّ بعدها الاستقلال والفرحة بالنّصر.

ومن بين المجاهدين أيضًا الذين تغنّت الأغنية الشعبية ببطولاتهم و شجاعتهم "**محمود الحرّوشي**" حيث تقول:[7]

**مَحْمُودْ الحَرُّوشِي كِي اتْحَزَّمْ احْكَمْ الرُّوشِي**[8]

---

[1]- **وين**: أين، **الميزيرية**: منقولة حرفيًّا عن كلمةmisère الفرنسية و تعني البؤس

[2]- منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار ، 70 سنة، جبالة لخميسي

[3] - **شكّاط**: سبق تعريفه، **يندة**: يأمر أو يوجّه ، **القدّام**: أي إلى الأمام

[4] - **آم**: بمعنى لقد، **فضّوا**: انتهت، **ليّام**: الأيّام

[5]- منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[6]- **قالهم**: قال لهم، **راهم**: إنّهم و المقصود هنا لقد

[7]- منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة

[8]- **محمود الحرّوشي**: اسم مجاهد، عمل في جبل دباغ، و هو أحد أبطال معركة مرمورة حيث استشهد فيها، **كي**: عندما، **اتحزّم**: بمعنى عزم، **حكم**: بمعنى سلَكَ، **الرّوشي**: الصّخور و هي مأخوذة من كلمة Rocks الفرنسية.

**قَـــالْ مَاتْخَافُوشِي رَاهُـــمْ فَضُّـــوا لِيَّـــامْ**[1]

نلاحظ أنّ هذين البيتين لا يختلفان عن البيتين الخاصّين بالشهيد "شكّاط"، فكلا البطلَيْن يحثّان على الصّبر في مواجهة العدو، ويبعثان الأمل في نفوس المجاهدين.

وكذلك نوّهت الأغنية الشّعبية بشجاعة الشّهيد "صالح الحرّوشي"[2] الذي لم يعش إلا واحدًا وعشرين سنةً، كانت كافيةً لتصنع من هذا الشّاب بطلًا عظيمًا و رجلًا محاربًا نَدُرَ وجوده، جاء إليها ليجعل منها ساحة المعارك الطاحنة، حوّلها إلى معركة متواصلة مشتعلة ضدّ جيشٍ مجهّزٍ بكلّ أنواع الأسلحة الفتّاكة:[3]

**سِي صَالَحْ يْعَيَّطْ يْقُـــولْ الجِهَـادْ خُوتِي كُونُوا رَجَّالَة و هَذَا رَبِّـي زَادْ**[4]

**سِي صَالَحْ يَضْرَبْ مَنْ قَاعْ الهَنْشِيرْ خُوتِي كُونُوا رَجَّالَة و تَبْقَاوْ عْلَى خِيرْ**[5]

يدعو هذا البطل جُنده ورِفاقه من المجاهدين إلى الثبات في أرض المعركة، ويدعوهم إلى التحلّي بالشّجاعة والفداء لأنّ هذه الحرب أمرٌ مقدّرٌ عليهم من الله تعالى "و هذا ربّي راد"، وتتكرّر عبارة "كونو رجّالة" للتأكيد على المجابهة والإقدام، ذلك أنّ الرّجولة و الشّجاعة يصُبّان في قالبٍ واحدٍ.

ومن الشّهداء كذلك الذين عُرفوا بشجاعتهم و بطولاتهم نجد: الشهيد "**سي خليفة ختلة**" وكذلك الشهيد "**زغدودي علي**" المدعو "**بلخير**"، تقول الأغنية في الشّهيد الأوّل[6]:

**يَا سِي خْلِيفَة وَ الزْغَارِيدْ عْلِيهْ قُبْطَانْ فْرَانْسَا رَانْدَا و هَزْ يَدِّيهْ**[7]

فمن شجاعة هذا البطل المغوار حلّ الرّعب، والذّعر في نفس القائد الفرنسي، ليرفع يدَيْه مستسلمًا ذليلًا.

---

[1]– **ما تخافوشي**: لا تخافوا

[2]– **صالح الحرّوشي**: أوّل قائد لناحية هوّارة، و أصله من الحرّوش، قاد معركة قلعة فيّالة، و سنورد ذكر هذا بشيء من التّفصيل في الفصل الرّابع من البحث.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: وسيلة بوقرن، 47 سنة، جبالة لخميسي

[4]– **يعيّط**: يصرخ أو ينادي، **خوتي**: إخوتي، **رجّالة**: رجالاً، **راد**: أراد أو شاء

[5]– **يضرب**: بمعنى يطلق الرصّاص، **قاع**: أسفل أو قعر ، **الهنشير**: الكهف ، **تبقّاو**: ابقوا ، و عبارة (تبقّاو على خير) بمعنى أتركُكم بخير.

[6]– منقولة سماعًا عن بلقاسم بوحليط، والصادق مرابطي، هيليوبوليس، إذاعة قالمة، حصة بعنوان صوت الجبال، تقديم: أحمد عاشوري، تبث من الساعة التاسعة إلى العاشرة صباحًا.

[7]– **سي خليفة**: اسم مجاهد ، **الزغاريد عليه**: الزغاريد حوله، **قبطان**: رُبّان ؛ قائدُ السَّفينة أو الطّائرة، **راندا**: استسلم، **هز**: رفع، **يدّيه**: يَدَيْه

وعن الشّهيد "**بلخير**":[1]

**هَـــاذَاكْ خُويَـــا مَـــازُوزْ لِيـسْقَطْ فِيـــهُمْ لَـــزُّوزْ[2]**
**وَ ذَاكْ عَسْكَـــرْ لَعْـــزُوزْ كِـــي حْضَرْتْ فِي وَادْ احْلِيَّة[3]**
**فَالكَافْ آيْ بَلْخِيرْ مَبْلَاسِي بَالكَافْ و يْرَافَالِي بَالْعشْرِينْ[4]**
**بَلْخِيـــرْ رَايَـــسْ الثُـــوَّارْ كِـــي مَنُّـــو غُـشْ و دَمَّـــارْ[5]**
**فَـــالكَفْرَة عَـــامَلْ بَـــاطْوَارْ هَـــاذَاكْ تَارِيـخْ الجُنْدِيَّة[6]**
**أنْـــتُمْ يَـــا وْلَادْ حْرِيـــدْ اليُـــومْ عَيَـدْتُّـــو عِيـــدْ[7]**
**عَيَّدْتُـــو بَمْيَـــا و خَمْسِينْ خَـــاطِي شِـــي لَكْمَـايِينْ[8]**

إنّ معالم شجاعة وبطولة الشّهيد "**بلخير**" واضحة في هذه المقطوعة، وقد تجلّت في العبارات الآتية: "يرافالي بالعشرين" بمعنى يُسقط الأعداء بالأضعاف طلقًا بالرّصاص، "بلخير رايس الثوّار" فله القيادة المطلقة لما له من حنكة ومهارة في القتال، "منو غش ودمّار" أي له غضبٌ شديد ودمار يُلحقه بالأعداء، "فالكفرة عامل باطوار"، وتعدُّ هذه الأخيرة من أقوى العبارات وأدلّها على شجاعة الشّهيد وصورته المرعبة في قلوب المستعمرين، وهي بمعنى "أحدثَ في الكُفّار مذبحة أو مجزرة" كنايةً عن كثرة الدّماء التي يُريقها في كلّ معركة يخوضها مع العدو.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[2]– **خويا**: أخي، **مازوز**: لفظة تُطلق على أصغر الإخوة ، **ليسقط**: الذي يسقط، **فيهم**: هنا بمعنى منهما، **لزّوز**: الاثنين

[3]– **لعزوز**: العجوز كناية عن فرنسا لأنّ معظم سكّانها كبار في السّن، **كي**: عندما، **واد حليّة**: يتوسّط بلدية حمام النّبائل ولخزارة و بومهرة.

[4]– **فالكاف**: في الكهف، **آي**: بمعنى إنّ، **بلخير**: سيأتي تعريفه بالتّفصيل في الفصل الموالي، **مبلاسي**: متّخذًا مكانه، و كلمة مبلاسي مأخوذة من كلمة place الفرنسية و تعني المكان، **يرافالي**: يطلق من الرّصاص بشكل متتالي وعشوائي، **بالعشرين**: كناية عن كثرة الطّلقات. و رافال ترجمة حرفية لكلمة rafale و تعني طائرة مدفعية.

[5]– **رايس**: رئيس، **منّو**: منه، **غش**: غضب شديد، **دمّار**: سخط

[6]– **فالكفرة**: في الكفّار، **عامل**: اسم فاعل للفعل يعمل، **باطوار**: ترجمة حرفيّة لكلمةabattoir الفرنسية و تعني مسلخ والمراد هنا مجزرة

[7]– **ولاد حريد**: هم عائلة مجاهدين تُنسب إلى لقب حريدي، **عيدتو عيد**: احتفلتم بالعيد

[8]– **بميا**: بمئة، **خاطي شي**: بمعنى ناهيك عن، **لكمايين**: جمع مفرده كاميون و هي ترجمة حرفيّة لكلمة camion الفرنسية وتعني الشّاحنة.

و تقول الأغنية في استشهاد هذا البطل:[1]

**و كِـــي اسْتَشْهَدْ بَلْخِيرْ الحُوَّاسْ وَاشْ رَاحْ يْدِيرْ[2]**
**زَادْ بَـــدْلُولُو الكُوبْتِيـــرْ تْحَـــطْ فِـــي كُلْ نْحيَّة[3]**
**قَالهَـا وَالله مَا دِيتِينِي حَيْ لَقَلْ مَـــا رُحْتْ ضْحَيَّـــة[4]**

فالبيت الأخير لا يختلف كثيرًا في معناه عن البيت الذي كتبه "**مفدي زكريا**" في النشيد الوطني الجزائري: "**نَحْنُ ثُرْنَا فَحَيَاْةً أَوْ مَمَات**"

قيل في الشّهيد "بومعراف السّبتي":[5]

**يَـا بُومَعْرَافْ السَّبْتِـــي حَل التْسَرْكِيلْ لَا كَـــانْ يَصْعَبْ[6]**
**الجُنُودْ تَاعَكْ قَتْلُوا العَسْكَرْ و قُلْ لَلْخَائِنْ عْلَاشْ تهْرَبْ[7]**

في هذه الأغنية تعبير عن شجاعة الشّهيد "**بومعراف السّبتي**" ورفاقه الّذين قاموا بالقضاء على العدو ولوم العملاء الذين تمكّنوا من الفرار.

و في الدّلالة نفسها يقول المغني الشّعبي، ولعلّه يتحدث عن نفسه[8]:

**كِيـــفْ رَوَّحْنَا لَلْحَمَّـــامْ وَ البَارُودْ عَامَلْ كِي لَغْمَامْ[9]**
**البَارُودْ يَنْدَهْ فِي الكَلْمَة وَ العَرْبِي يَـنْدَهْ فِي الشَّانْ[10]**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: قمير بوثلجة ، 75 سنة، قالمة

[2]– **كي**: لما، **الحوّاس**: اسم مجاهد ، **واش**: ماذا، **راح يدير**: سيفعل.

[3]– **زاد**: أيضًا، **بدلولو**: غيّروا له، **الكوبتير**: ترجمة حرفية لكلمة hélicoptère الفرنسية و تعني طائرة مروحيّة، **تَحط**: تَحُط، **نحيّة**: ناحية.

[4]– **قالها**: قال لها، **ما ديتيني**: بمعنى ما نلتِ منّي، **لقل ما**: إلاّ إذا، **رحت ضحيّة**: بمعنى متتُ شهيدًا

[5]– منقولة عن طريق السّماع: حميد رمايضية ، 50 سنة، وادي الشحم

[6]– **بومعراف السّبتي**: اسم مجاهد ، **حل**: افتح و المقصود هنا فُك الحصار، **التسركيل**: مأخوذة من كلمة cercle الفرنسية و تعني حلقة و المقصود بها هنا جيش العدو المحاصِر للثوّار ، **لاكان**: إذا كان ، **يصعب**: بمعنى يصعب فك هذا الحصار

[7]– **الجنود تاعك**: جنودك، **علاش**: لماذا، **تهرب**: تلوذ بالفرار

[8]– العربي دوايسية أحد المجاهدين الذين نجوا من الموت خلال الثّورة، و هو حافظ للأغاني الشّعبية، يروي قصته، وقصة صحبته في حمام النبائل، و نواحيه.

[9]– **كيف**: بمعنى حينما ، **روّحنا**: ذهبنا، **عامل كي لغمام**: متّخذًا شكل الّغيوم

[10]– **يندە**: يأمر و هنا بمعنى يطلب ، **الشّان**: الشأن العظيم.

شبّه المغنّي البارود ودخانه المتطاير في عنان السّماء بالغمام.

كما نلحظ فالأغنية الشّعبية تميّزت بواقعية نابعة من الآلام التي عاشتها الجماهير الشّعبية طيلة الكفاح المسلّح ، فجاء مضمونها حماسيًّا وفيّاضًا شأنها في ذلك شأن نظيراتها من الفنون الأخرى في مواكبة مختلف الأحداث، و لاسيما الثّورية منها.

## 3- دور المرأة في الثّورة التّحريريّة:

أوجد الله عزّ و جل الإنسان لخلافته في الأرض ولعمارتها لذا شاءت حكمته أن يكون من هذا الإنسان الذّكر والأنثى اللذين تعاونا لحمل هذه الأمانة، وتحمّل المسؤوليّة المترتّبة عنها، ونحسب أنّ هذه المسؤوليّة الجسيمة يتضاعف شأنها، ويعظم إبان الشّدائد والمحن.

وبسبب موقعها في المجتمع، كانت المرأة رائدة في مواقفها على مرّ التّاريخ في العالم؛ فقد خاضت ميادين، واقتحمت أحداثًا تشحذ الهمم، وتستنهض العزائم بل كانت رائدة في الذّود عن حِماها، بما تملكه من قوّة معنويّة، وطاقة عاطفيّة، وإصرار شامخ يقهر الرّجال، فها هي أوّل شهيدة في الإسلام أم ياسر[1] –رضي الله عنها- تتحدّى غطرسة الظّلم، وترتقي شهيدة محتسبة تضحيتها لوجهه الكريم، وقريب منها الشّاعرة الصّحابية "الخنساء"[2] تتحدّى الحزن لفراق بنيها الثّلاثة فتستقبل نبأ استشهادهم بعزم، وصبر، وهي من بكت أخاها صخرًا في الجّاهلية سنين طويلة بدموعٍ حارّة حتّى عُرفت به، وفي العصر الحديث يحفظ الفرنسيّون للقدّيسة جان دارك[3] دورها في مقاومة الإنجليز بإطلاق هذا الاسم على الجزائريّة لالة فاطمة نسومر التي قادت الرّجال الأشاوس؛ فوقفت في وجه المحتل، وقهرت كبرياءه بمقاومتها الباسلة التي حيّرت الأعداء[4].

---

[1]- هي الصّحابية سميّة بنت خيّاط، تكنّى "أم عمّار" و كنيتها بابنها عمّار عن ياسر، كانت أمة لأبي حديفة بن المغيرة المخزومي، و كان ياسر بن عامر حليفًا لأبي حديفة بن المغيرة المخزومي، فزوّجه بها فولدت له عمّارًا فأعتقه.

[2]- هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، (ت 26هـ) شاعرة مخضرمة من أهل نجد، لقّبت بالخنساء لارتفاع أرنبتَي أنفها، و هي صفة مستحبّة.

[3]- جان دارك (1412-1431م) قادت الفرنسيين إلى النّصر في خمس معارك ضد الإنجليز، قام الإنجليز بحرقها بعدما أسرت عام 1431م. انظر: *جان_دارك*/http://ar.wikipedia.org/wiki

[4]- عائشة نواصر ، دور المرأة الشعانبية في الثّورة التّحريرية، الخنساء الأخرى للشعانبة أنموذجا، مختار سويلم، جامعة غرداية، مجلة الواحات للبحوث و الدّراسات، المجلد 7، العدد 2، 2014، ص 1

تاريخ بلادنا عامر بالبطلات اللواتي سجّلن أسماءهنّ بخطٍّ من ذهب، وقفن إلى جانب إخوانهنّ الرّجال جنبًا إلى جنب، متحدّيات كلّ المصاعب والعراقيل، ومن ضمنهم نذكر المجاهدة جميلة بوحيرد، والشّهيدة حسيبة بن بوعلي، ووريدة مدّاد، وغيرهّن كثيرات، فوراء كل رجلٍ عظيمٍ امرأة.

فالأغنية "علاوة عن كونها مصدرًا من مصادر كتابة التّاريخ، فهي تعترف بالدّور الذي قامت به المرأة أثناء الثّورة التي إلى جانب وقوفها المشرّف جنب الجندي، والمناضل، والفدائي، والمسبّل، ساهمت في إيقاظ الوعي الوطني والدّفاع عن السّيادة"[1]

أمّا فيما يتعلّق بحضور المرأة في الأغنية الشّعبية الثّورية بولاية قالمة، فهو مرتبط في الغالب بالجانب المعنوي الذي كانت تقدّمه للثوّار، كتحميسهم، وتحفيزهم على مواصلة القتال، وإبداء شعورها تجاههم، كالتّعبير عن المعاناة والحزن على زوجها أو ابنها الشّهيد، وبث ألمها لما لحق بها من ضعف، وهوان. تقول الأغنية:[2]

**لميمَة تَبْكِي وَ تلَقَّطْ فَالقَشْقَاشْ قَالَتْ أولِيدِي أَوْ ابْطَا مَا جَاشْ**[3]

**لميمَة تَبْكِي وَ ادُّورْ فَـــــالدُّوَارْ قَالَتْ أولِيدِي و دَاوَهْ الثُّـــوَّارْ**[4]

وفي موضعٍ آخر، تذكر الأغنية تفجّع الأم لسماعها بموت ابنها:[5]

**أمْبَـــــــارَكْ بُولُـــــوحْ و أُمُّوا عْلِيهْ بَالصَّوْت تْنُوحْ**[6]

---

[1]– السّعيد بن زينب، الأغنية الشّعبية موفهومًا ووظيفة، الملتقى الوطني الأول: الأغنية الشّعبية في مواكبة ثورة التحرير، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، ص 28

[2]– منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[3]– **لميمة**: أمّي، **تلقّط**: تلتقط، **القشقاش**: بقايا الأغصان و الجذور المرماة على الأرض، **أوليدي**: ولدي، **ابطا**: تأخر في العودة، **ما جاش**: لم يأتِ.

[4]– **لميمة**: أمّي: **تدور**: تلف، **فالدوّار**: في الدّشرة أو الرّيف، **أوليدي**: ولدي، **داوه**: أخذوه.

[5]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[6]– **امبارك بو لوح**: اسم الشّهيد.

وعن الحزن الشّديد الذي اجتاح قلب الزّوجة جرّاء فقدانها لبعلها:[1]

**العَطْرَة تَبكِي و تْنَادِي و تْقُولْ واشْ اللّي بيَّا**[2]

**أوْ كِي مَاتْ سِي امْبَارَكْ أيُمَّا هُوَ عْمَـــارَةْ الدَّارْ**[3]

وتجدر الإشارة إلى أنّ المرأة حظيت بدور كبير في تأدية الأغاني الشّعبية الثّورية، ووصف الوقائع والأحداث، ونقلها عبر الأجيال، لتظل خالدة وحاضرة في الأذهان.

[1]- منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[2]- **واش الي:** ما الذي، **بيّا:** بي، و عبارة واش الّي بيّا تعني ما الذي حدث لي، و هي عبارة تقال من أثر الصّدمة والفجيعة.

[3]- **كي:** لما، **أيَمّا:** يا أمّي، **هو عمارة الدّار:** أي هو من يملء الدّار بهجةً بوجوده، و هي من دونه خاوية.

## الفصل الثّاني: سياسة البطش والتّنكيل الاستعماري

### في الأغنية الثّورية.

أوّلاً/ دم الشّهيد

ثانيًا/ الشّوق و لوعة الفراق

ثالثًا/ معاناة الأسر و الإقامة الجبريّة

رابعًا/ اضطهاد المجاهدين

خامسًا/ الحزن و البكاء

نستهدف من خلال هذه الفصل، تقديم لمحات تعبّر عن مقدار المعاناة التي عايشها الشّعب الجزائري بصمود أمام الاستعمار الفرنسي الغاشم، هذا الأخير الذي لم يتوانَ لحظةً في استعمال أشدّ أساليب البطش و التّنكيل، وما تتضمّنه من تقتيل وتشريد وتعذيب.

وقد اعتمدنا، في نقل هذه المأساة والمعاناة، الأغنية الشعبيّة الثّورية، باعتبارها شكلاً من أشكال التّعبير التي جادت به قرائح أفراد من الفئات الشّعبية المسحوقة، لتصوّر لنا ببراعة فريدة ما كابده المواطن من مصاعب ومحن ، التي تمّ نسجها في كلمات تقشعر منها الأجساد، وتُلهب في النّفس الحماسة والحميّة الوطنية، ناقلةً إلينا صورًا حيّة عن جرائم المستعمر في حقّ شعبٍ ذنبه الوحيد المطالبة بحقّه الشّرعي، والمتمثّل في الحريّة، فكانت الأغنية الثوريّة مرآةً عاكسةً لواقع مأساوي رهيب، حيث جسّدت ما عايشه الشّعب الجزائري إبّان فترة الاستعمار الفرنسي ، وصوّرت أحاسيس وآمال الإنسان الشّعبي، ونقلت لنا نظرته العميقة منبعثة من أعماق الفئات المسحوقة أيّام الثّورة.

ومن أبرز أحداث القمع التي مارسها المستعمر على الجزائريّين أيّام الثّامن ماي 1945م، هذا التّاريخ الذي بقي وسيبقى راسخًا في ذاكرة الشّعب الجزائري على مدى الحياة. ففي هذا اليوم بينما كان سكان العالم يحتفلون بتحريره من يد النازية والفاشية، خرج الشّعب الجزائري كذلك في معظم المدن آملاً تحرير بلاده خاصةً وأنّ الفرنسيّين كانوا قد وعدوه سابقًا بالحريّة مقابل مشاركة الشّباب الجزائري في تحرير أوروبا من بطش "هتلر"[1]

ففي "نهاية الأسبوع الأوّل من شهر مايو سنة 1945م استسلمت ألمانيا أمام ضغط الحلفاء والاتّحاد السّوفياتي، وتقرّر أن يكون اليوم الثّامن من الشّهر المذكور موعدًا للاحتفال بالنّصر المبين"[2]، لكنّ الاستعمار نقض الوعد والاتّفاقية، ولم ينجز ما وعد، فلم يكن من الفئة الشّعبية إلاّ أن تقوم بتنظيم "مسيرات مستقلّة عن المظاهرات الرّسمية وتمكّنت في بعض المدن والقرى من إنجاز ذلك في إطار قانوني بعد أن حصلت على ترخيص من السّلطات المعنيّة (79)، لكن ذلك لم يحل دون القمع البوليسي و إراقة دماء الأبرياء"[3] ، إذ اتّخذ العدو موقفًا حاسمًا إزاء هذا الوضع، "وتأكيدًا لهذا الموقف، جمع **أشياري** بعضًا من مسؤولي الحركة الوطنيّة بمدينة قالمة، مهدِّدًا إيّاهم من

[1]– كتاب الشّهيد: الثّورة التحريرية الكبرى 54-62، منشورات وزارة المجاهدين، مديرية المجاهدين لولاية عنابة، المطبعة المركزية– عنابة ، ص 33

[2] – العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر ، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1999،ج1، ص 72

[3] – المرجع نفسه ، ص 72

مغبة استعمال القوّة، في حال شهدت المدينة أي نوع من المسيرات، قائلًا بلغة عربية فصيحة :"أنا مثل الحليب يفيض إذا بقي طويلا فوق النّار"[1]، وفعلاً بمجرد قيام المواطنين بمظاهرات سلميّة عشيّة الثّامن ماي 1945م، سقط آلاف الشّهداء وأحرقت قرى بكاملها، ونهبت أرزاق، وأسر مئات المواطنين، وقد تمّ ذلك على امتداد قرابة خمسة أشهر من الاغتيالات والمطاردة وأساليب القمع الوحشي في كلٍّ من : مدينة قالمة، هيليوبوليس، قلعة بوصبع، بومهرة أحمد ..."[2] وحتّى يُشفي المستعمرون غليلهم فقد لجؤوا إلى الطّيران واستخدام الأسلحة الثّقيلة في هذه الإبادة الجماعيّة، ولم يكتفو بذلك، فعمدوا إلى جمع جثث القتلى ورشّها بالبنزين، وحرقها، ودفنها في مقابر جماعيّة، ظنًّا منهم أنّ القمع سيقضي على روح المقاومة، والتصدّي لدى الشّعب الجزائري ونسوا بأنّ الظّلم يولّد الانفجار، فسقوط الضّحايا الأوّائل قد أحدث في أوساط المتظاهرين ضجّة وارتباكًا كبيرين قادَ –في غمرة المفاجأة– إلى مجموعة من ردود الفعل منها على سبيل المثال:

– ارتفاع الأصوات المنادية ببدء الجهاد في سبيل الله، والدّاعية إلى العودة إلى المنازل وإخراج ما فيها من أسلحة، ثم الرجوع إلى الشّارع للاقتصاص من الأوربيين بصفة عامّة.

– مغادرة المتظاهرين المدن وأطرافها، واللّجوء إلى القرى والمداشر، وفي الطّريق كانوا يخبرون النّاس بأنّ الجهاد قد أُعلِن وأنّ المعارك الطّاحنة تدور رحاها في شوارع المدن التي هم منها قادمون[3]، "وهو ما أثار غضب المعمّرين الذين راحوا يعملون من أجل إلغاء هذه الأمريّة التي تساوي بينهم وبين فئة من الجزائريّين حسب ما يعتقدون، والبحث عن الوسائل الكفيلة لاستهداف تماسك الجزائريين ووحدتهم، وتماشيًا مع ذلك فقد وجدت الإدارة الاستعماريّة في أحداث 8 ماي 1945م مبتغاها، وأقدمت على القتل والتّصفية الجسديّة لتضييق الخناق على المناضلين، وإرهاب القاعدة الشعبيّة العريضة لتمزيق الوحدة والانسجام بين القمّة والقاعدة"[4]

و ممّا يفنّد تصريحات **ديغول**، ويتعدّى مباشرة نيته المبيتة في التّنكيل بالجزائريين، تلك الرّسالة التي بعثها إلى الحاكم العام **شاطينو**، التي نقلتها الصّحف والإذاعات، وطلب من الحاكم العام أن

---

[1]- Redouane Ainad Tabet. 8 mai 1945 en Algérie, 2em éd. Ed. OPU, Alger, 1987, p212

[2]– توثيق و شهادات حيّة عن دور قوافل جيش التحرير الوطني، المنظمة الوطنية للمجاهدين، المرجع السّابق، ص17

[3]– العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر ، ص78

[4]– الشادلي المكي، مجلة الذاكرة، "أحداث ماي وضّحت الطّريق للجميع"، العدد 02، المتحف الوطني للمجاهد، 1995م، ص 108

يعمل على:( التأكيد العلني بأن فرنسا المنتصرة، عازمة على عدم السّماح لأيٍّ كان، المساس بسيادتها على الجزائر، كما أطلب منكم اتخاذ الإجراءات الضرورية لقمع كلّ التّصرفات المناهضة لفرنسا من طرف أقليّة من المحرضين)"[1]

أمَّا الدّلائل الميدانية الأخرى، التي تؤكّد على رغبة **ديغول** في الاحتفاظ بالجزائر وبأيّ ثمن، هو تركه العنان لرجاله وقوّاته المختلفة، في أن يفعلوا بالجزائريين ما شاؤوا، وهذا الضّوء الأخضر دفع بالفرنسيين على مختلف فئاتهم وأصنافهم إلى قمع المنتفضين في ماي 1945م وما بعده، ولم تستثنِ عمليات التّقتيل والاعتقال والتّعذيب أيًّا من الجزائريين،[2] فلقد "تمثّلت أساليب هؤلاء الخارجين عن القانون في الاغتيالات، تحطيم المدارس والمستشفيات، حرق المزارع والمحاصيل، وتحطيم التّجهيزات العموميّة. دون أيّة مراعاة للمشاعر الإنسانيّة، فهم يذبحون الشّيوخ والنّساء والأطفال، منكّلين بأجسادهم بكيفيّة شنيعة ... "[3]

وكانت مساهمة المستوطنين في تلك العمليات مؤكّدة وجليّة، وبخاصّةً بعدما شكّلوا مجموعات مسلّحة، لهذا الغرض.[4]

وبذلك أصبح هذا اليوم مناسبة يتذكر فيها الشّعب الجزائري معاناته مع المستعمر، وحافزًا يدفع به إلى الثّأر لكلّ الأموات والأحياء الذين عانوا ويلات فرنسا وذلك بتحرير الجزائر.

فرنسا التي احتلّت الجزائر وفرضت هيمنتها عليها منذ ما يزيد عن قرن وثلاثين سنة ذاق فيها الشّعب الجزائري من ويلاتها ما يندى له جبين الإنسانية، وطالت الإنسان والأرض والعمران، واللغة، والدّين، وكل معالم الحضارة، فالجزائر كانت تعيش في عزّة و رقي لم تصل إليه كثير من الدّول في تلك الفترة.

---

[1]- علاق (هنري)، مذكرات جزائرية، ترجمة: حاج مسعود و عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر،2007 ، ص 141

[2]– غولدزيغر(آني راي)، جذور حرب الجزائر1940-1945، ترجمة: وردة لبنان، دار القصبة، الجزائر، 2005، ص: 418

[3]– جنود جلادون، حرب الجزائر: عندما يتحوّل العساكر إلى آلة تعذيب، كلود جوان، ترجمة: أحمد بن محمد بكلّي، دار القصبة للنشر، ، الجزائر، ماي 2013، ص: 45

[4]–Nouschi (André). L’Algérie, Amère 1914-1994, Ed. La maison des sciences de l’homme, Paris, 1995. , p 174.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا القمع استهدف الهوية العربيّة، والإسلاميّة بالدّرجة الأولى، حيث أُبقيَ التّعليم محصورًا بين فئة معيّنة من الأهالي المعروفين بقربهم من سلطات الاحتلال[1]، ولم يكتفِ بنشر اللغة الفرنسيّة فحسب، ولكنّه حارب اللغة العربيّة حتّى كادت الثّقافة العربية تندثر نهائيًّا من البلاد، وغدت اللغة العربية غريبةً[2] في بلدها وبين أهلها ولاسيما في المدن الكبرى مثل وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة ...، وغيرها من المراكز الحضرية الكبرى، بل أكثر من ذلك فإن لغة الحديث قد التصق بها كثير من الكلمات الفرنسية الدّخيلة، وقد تسرّبت إلى ألسنة الجزائريين بمرور الزّمن، والحق أن السّياسة الفرنسيّة قد حقّقت في هذا المجال بعض أهدافها حيث تركت فئات الشّعب العريضة ولاسيما في الأوساط الرّيفية تغوص في ظلامٍ دامسٍ وخرافاتٍ مطبقةٍ على عقول الناس وأذهانهم[3]، ولكن مع ذلك فإنّ الشّعب الجزائري ظلّ متمسّكا بهويّته وأصالته رغم سياسات التّجهيل التي دامت عشرات العقود من الزّمن.

"ولم يكن مجرى الأحداث في الجزائر يشبه ما حدث في بقية البلدان المغاربيّة، وإنّما كان أشبه ما يكون بالمعارك الدّامية التي دارت رحاها في جبهات القتال بأروبا ، ولكن ضدّ شعبٍ أعزلٍ من السّلاح ...عشرات الآلاف من القتلى والجرحى ...عشرات القُرى والمداشر هدُّمت عن بكرة أبيها ... انتهاكات واعتداءات أخلاقية ارتُكبت في حق الأبرياء.

[1]- محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة :الحاج مسعود مسعود و محمد عبّس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، القصبة، الجزائر2002 ، ص: 405

[2]- لقد أوصى قادة الاحتلال في باريس منذ 1830 جيشهم بهذه المقولة" :علّموا لغتنا وانشروها حتّى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة، ولهذا فإن اللغة العربية قد اعتبرت لغة أجنبية في الجزائر بصفة رسمية بموجب قانون صدر سنة 1938 ، وعليه كانت اللغة الفرنسية هي وحدها لغة العمل الرّسمي ماعدا محاكم الأحوال الشخصية وكذلك إدارة مناطق الجنوب /أنظر تركي رابح، التعليم القومي والشّخصية الجزائرية 1931-1956 ، الشركة الوطنية للنشر والتعليم، الجزائر، ط 2 ، 1981 ، ص9

[3]- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط4، 1992 ، ج3، ص61

كان جزاء الأمّة في إنقاذ فرنسا من الخراب المدمّر كجزاء سينمار ، إنها مجازر الثامن ماي 1945م الرّهيبة التي وضعت حدًّا لسياسة أنصاف الحلول وبداية مرحلة جديدة قوامها ما أُخِذ بالقوّة لا يُسترد إلّا بمثلها"[1].

وقد تحالفت فرنسا مع عدّة جبهات للقضاء على الهويّة الوطنيّة للشّعب الجزائري، وقمعه بشتّى الطّرق والوسائل، ومن بين هؤلاء الحلفاء اليهود، وهم الأكثر عداوة للعرب والمسلمين.
تقول الأغنية: [2]

**فْرَنْسَـــا وَ اليـــهُودْ خَرْجُوا طْرِيقْ الحدُودْ[3]**
**ابْلادْنَا بْـلادْ الجـدُودْ جَبْنَـاهَـا بَالبَـارُودْ[4]**
**رَبِّي جَانَا حَرْب التَّحْرِيرْ و طُحْنَا في قَاعْ البِيرْ[5]**

اخترنا بعض المقاطع من الأغاني الشعبيّة الثوريّة في منطقة قالمة، لنستدلّ بها على سياسة القمع التي كان يعاني منها الشّعب الجزائري، التي راح ضحيتها شهداء الثّورة الأبرار، نستهلّها بهذا البيت:[6]

**فْرَنْسَا قَتْلَتْنَا و قَتْلَتْ الأحْبَابْ و جَابَتْ لِينَا حَتَّى الكلَابْ[7]**

---

[1]– أمال شلي، التّنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية، 1954-1956م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–قسم التاريخ ، السنة الجامعية 2005-2006، ص 311

[2]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة، 77 سنة، قالمة.

[3]– **خرجوا طريق الحدود**: أي عبروا أو سلكوا طريق الحدود

[4]– **جبناها**: أتينا بها، و عبارة جبناها بالبارود تعني حقّقنا النّصر بفضل المقاومة.

[5]– **جانا**: جاءنا، عبارة ربي جانا حرب التّحرير تعني أنّ الله تعالى قدّر لهم خوض هذه الحرب، **طحنا**: سقطنا، **قاع**: قعر، **البير**: البئر.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة ، 63 سنة، قالمة

[7]– **جابت لينا**: أحضرت لنا.

**أوّلاً/ دم الشّهيد:**

إنّ الدّم سائل حيوي يرمز إلى الحياة، وهو عنصر أساسيّ في جسم الإنسان، فلا حياة له بدونه، وخروجه من جسم صاحبه يعني هلاكه ومصرعه، لكن لا ضَيْرَ في ذلك إن كانت هذه الدّماء ستُنزَف في سبيل الله، ونصرةً لدينه، وتحقيق الأمن والعيش الهانئ للأهل والوطن، فالله تعالى حرّم قتل النّفس لأنها هبة منه، وأمانة عند خلقه، قال عزّ وجل: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾[1] ، لكنّه في المقابل شرّع الجهاد، والتّضحية بالنّفس، وجعل ذلك بابًا من أبواب الجنّة، قال تعال ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾[2]

عندما تسقط قطرة من دم الشّهيد في ساحات الحقّ والكرامة فإنّها تُعلن بملء حناجرها أنّ الحقّ لابدّ أن ينتصر، وأنّ القيد لابدّ أن ينكسر، فدم الشّهيد لا يمكن أن يصاغ بمعادلات رياضية علمية؛ بل هو حديث (الرّوح) لا حديث (العقل).. ولا تستطيع أيّة تحليلات –فلسفية كانت أو علمية– أن تخلق الإنسان المجاهد، ولا بمقدورها أن تبعث في الموجود البشري اندفاعاً نحو الاستشهاد، فدم الشّهيد نشيد بلا إيقاع، لا يتناغم معه إلا من سار على خط الشّهادة، ولا يتذوّقه إلا من سما وتحرّر من ربقة الأهواء.

وما قيل في دماء الشّهداء كثير، إذ نجد أنّ شعراء الثّورة قد استعملوا لفظة الدّم[3] أو الدّماء في في قصائدهم، وهم يريدون بها التّضحية و الاستشهاد، وتقديم أغلى ما لدى الإنسان وهو روحه قربانًا لله ونصرةً للدّين.

فنرى شاعر الثّورة "**مفدي زكريا**" يُقسم بالنّازلات والبنود والدّماء من أجل تحرير الجزائر من قبضة العدو الفرنسي، فيقول في نشيد "**قسمًا**":[4]

---

[1]– سورة الإسراء، الآية 33

[2]– سورة التّوبة، الآية 111

[3]– **الدّم:** يعني في المفهوم الثّوري و النّضالي التّضحية بالنفس في سبيل القضية الوطنية، كما يعني في المعتقد الشّعبي الطّهارة والصّفاء، لذلك كانت النّساء تخضب مناديلهن بدماء الشّهداء إبان الثّورة التّحريرية تقديسًا لأرواحهم الطاهرة و عرفانًا بتضحياتهم الجسام.

[4]– مفدي زكريا، اللهيب المقدّس، موفم للنشر، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية–الجزائر، 2007م، ص 61

**قَسَمًـتا بِالنَّازِلاتِ الماحِقَات وَ الدِّمَـــاءِ الزَّاكِيَــاتِ الدّافِقَات**[1]
**وَ البُنُودِ اللامِعَاتِ الخَافِقَات في الجبَالِ الشَّامخَاتِ الشَّاهِقَات**
**نحْنُ ثُرْنَا فَحَيَــاةٌ أوْ ممَـات وَعَقَدْنَا العَزْمَ أنْ تحيَــا الجزَائِــر**

ويربط "**مفدي زكريا**" في نشيد الشّهداء بين الدّم والنّفس كأنهما جزء لا يتجزّأ، فالدّم هو النّفس والرّوح، والنّفس هي التي ضحّى بها الجزائريون في سبيل الوطن:[2]

**نحْنُ نَفْدِي الجزَائِرَ بِالنُّفُوسِ وَ الدِّمَـاء**

وفي موضعٍ آخر نجده يقول:[3]

**بَلَى.. يَا فرَنْسِيس .. هَذَا الحِمَى صَنَعْنَا سِيَادَتَهُ بِالدِّمَا**

فالشّاعر في هذا البيت جعل من دم الشّهيد الحجر الأساس الذي تُبنى به البلاد، وتستعيد عزّها ومجدها.

ويقول الشّاعر "**محمد العيد آل خليفة**" في نشيد "**من جبالنا**":[4]

**نحْنُ بِالأنْفُسِ نَفْدِي كُلّ جُزْءٍ مِنْ ثَــرَاكِ**

هذا بعض ما قيل في القصائد الثّورية الجزائرية بعامّةً، أمّا بالنسبة للأغاني الثّورية الشّعبية في منطقة قالمة، فهي جدُّ ثرية في هذا الصّدد، إذ تغنّى كثيرٌ من المغنّين بدم الشّهيد، و أحاطوه بهالةٍ من القداسة، فهو منبع الحريّة ومصدر الأمل، والقصيدة البدوية الثّورية وضعت لفظ الدّم والدّماء في مواضع كثيرة ، إشارة إلى التّضحية والدّماء الزّاكيات التي ارتوت بها تربة الوطن التي تحقّق بفضلها الاستقلال والنّصر حيث كان ثمن الحريّة جسيمًا، مليون ونصف مليون من الشّهداء وآلاف الأرامل واليتامى والمجاهدين المعطوبين، ولقد تناولت الأغاني البدوية والأهازيج الفولكلورية موضوع ضريبة الدّماء بنسبة عالية، لأنّ الحريّة لا تُقدّم على طبق، بل تتطلّب تضحيات كبيرة، ومدّة قد تطول، تقول الأغنية:[5]

---

[1]– هكذا وردت في الدّيوان، و في التّسجيل الصّوتي (الطّاهرات)

[2]– مفدي زكريا، اللهيب المقدّس، المرجع السّابق، ص: 75

[3]– مفدي زكريّا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط1، 1987م، ص 54

[4]– العيديّات المجهولة: تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، جمع و تحقيق و دراسة محمد بن سمينة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية–الجزائر، 2003م، ص 231

[5]– منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

**قَـدَّاشْ نْفَكَّرْ يَـا خُويَا فِي الجَزَائِرْ عَادَتْ حَيَّة**[1]

**مـنْ دَمْ الشُّبَّـانْ يُقْطَرْ مْبَـزَّعْ فِـــي كُلْ نْحيّة**[2]

يخبرنا صاحب البيتين عن مدى تأثّره بعودة الجزائر حيّةً، بعد أن كاد لها العدو وانتهش أرضها، ويذكر لنا أنّ تلك الحياة عادت بفضل دماء الشّهداء الأبرار المتناثرة في كل ناحية من نواحي الجزائر، إشارة منه إلى أنّ الثّورة عمّت كامل ربوع الوطن، فهذا الدّم الزّكي الذي يمثّل الشّرف والطّهارة، ارتوت به أرض الوطن قاطبةً، فكانت الثّمرة المجتناة الحريّة ورفع راية الاستقلال عاليًا.

هكذا يبدو موضوع "**الدّم**" عالي المقام في الذّاكرة الجماعية ، لذا يجب الترحّم على الشّهداء والدّعاء لهم من طرف الأحياء الذين ينعمون بالحريّة، فالشّهيد الذي آثر الجماهير الشّعبية والوطنية على نفسه يستحق كل الثّناء والتّقدير. تقول الأغنية:[3]

**عْلَى مَاوْنَة وَاشْ صَايَرْ وَ الدَّمْ عَادْ لَرْكَايَبْ**[4]

يشير هذا البيت إلى فضاعة ما حدث في جبل ماونة معقل الجهاد، إذ بلغت فيه الدّماء حدَّ الرُّكَب، وهي كناية عن كثرة الشّهداء في هذه المنطقة.

إنّ الشّعب الذي ضحّى بنفسه ودفع ضريبة دمٍ غالية ومازال يدفعها من أجل إنهاء الاضطهاد والبؤس وتكوين دولة عربية تُرسي أسس المجتمع العادل، فهذا الشّعب مصمّمٌ على دعم الثّورة، وتطويرها على الرّغم من الصّعوبات التي تعترض المسيرة النضالية. تقول الأغنية:[5]

**عْلَى وَطْنِي بْقَى قَلْبِي مَجْرُوحْ كُلْ لِيلَة نْبَات نَبْكِي الدَّمْ**[6]

فالإنسان يُقتل في كل يوم ويُهان في هذه الأرض تحت سماء وطنه الذي شرّده منه العدو الفرنسي، تهان كرامته تحت نظام المستدمِر، و لقد ذاق مرارة الحرب بعدما فقد العدو ضميره وركب أهواءه، وهذا الإنسان يعيش في جو مضطرب باهت ومليء بالمآسي، إذ أصبح كلّ ليلة يبكي الدّم مكان

---

[1]– **قدّاش**: كم، **نفكّر**: أفكّر، **خويا**: أخي، **عادت**: أصبحت. و البيت بأكمله يعبّر عن انبهار هذا المغني بما استطاع أن يحرزه الثّوار من نصر عظيم بفضل الله تعالى.

[2]– **مبزّع**: مترامٍ، **نحيّة**: ناحية.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة

[4]– **واش صاير**: ما الذي يحدث، **عاد**: أصبح و المقصود هنا وصل، **لركايب**: إلى غاية الرُّكب.

[5]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[6]– **على وطني**: من أجل وطني، **نبات**: أبات، **نبكي**: أبكي.

الدّمع، لكنّه لم يبقَ مكتوف الأيدي أمام العدو، ولم يستسلم للأمر الواقع بل قاوم لأنه آمَن بأنّ الثّورة هي الكفيلة بضمان مستقبل مشرق. تقول الأغنية:[1]

**شُبَّانْ بْلادِي قُومُوا جَمِيعا حْيَاة الذُّلْ رَاهِي شنِيعَة**[2]

**دَمِّي نَعْطِيهْ رُوحِي نَفْدِيهْ دَمِّي نَعْطِيــهْ يَا وَطْنِي**[3]

**ضِدْ الحُكُومَة الاسْتِعمَارِيَّة**

إنّ هذا الجندي البطل يقدّم دمه فداءً للوطن، مُتحدّيًا بذلك الحكومة الاستعماريّة الظّالمة، وقد تكرّرت لفظة الدّم في البيت الثاني للتّأكيد على روح التّضحية والرّغبة في الاستشهاد.

ما أروع تلك العلاقة الوطيدة، التي تجمع بين الأمّ وأبنائها، تلك هي علاقة الجزائر بأهلها، لذا فالتّضحية واجبة ودفع ضريبة الدّم أمرٌ لابدّ منه. تقول الأغنية:[4]

**الجَزَايَــرْ أُمْنَا نَسْقِيوْهَــا بْدَمْنَا**[5]

## ثانيًا/ الشّوق و لوعة الفراق:

لا يقوى الأهل على فراق الأب أو الأم، أو الابن أو الأخ بعد التحاقهم بصفوف الثّورة، وقد كان يحدث ذلك في أجواء حزينة ، كانت الأم أو الزوجة أو الأخت تكتمها، هذا إذا علمت بذلك ، لأنّ الأمور كانت تتم في سريّة تامّة، فهنّ لا يبدين حسرتهن وآلامهن عند الوداع، وتتعمّدن الهدوء والسّكينة ، مع معرفتهن المسبقة بالمصير المنتظر في أعالي الجبال، وداخل المخابئ والكهوف تحت وطأة الجوع و برودة الشّتاء.

إنّ الثّورات الجزائرية والظروف القاسية التي عاشها الشّعب أثّرت في تطوّر الشّعر الشّعبي ونحن لا نقصد هنا التّطور العام لمفهوم الأدب[6] من حيث موضوعاته، وأساليبه، ومضامينه وإنَّما نقصد تغيير الأوضاع التي أثّرت في رؤية الشّاعر، فبعد أن كان يصوّر المعارك الحربيّة، أصبح يصوّر انتكاسة هذه المعارك وآثارها في الحياة ومجالاتها المختلفة، فالتّطور هنا يعني الغوص في أعماق

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي

[2]– **راهي**: إنّها.

[3]– **نعطيه**: أمنحه، **نفديه**: أفديه.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: مصمودي عمار، 57 سنة، هيليوبوليس

[5]– **نسقيوها**: نسقيها أو نرويها.

[6]– التلي بن شيخ، دور الشّعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830– 1945، طبعة 1983م، ص 249

المجتمع وتصوير العلاقات الاجتماعية، و من هذه العلاقات أو المواضيع موضوع الأم التي اكتوت بنار الفاجعة على ولدها، فنجد الأغنية الثوريّة تصوّر معاناتها، والحسرة التي كانت تعيشها لفراق أحد أبنائها. تقول الأغنية:[1]

**لميمَة تَبْكِي وَ تلَقَّطْ فَالقَشْقَاشْ قَالَتْ أولِيدِي أَوْ ابْطَا مَا جَاشْ**[2]

**لميمَة تَبْكِي وَ ادُّورْ فَـــــالدُّوَارْ قَالَتْ أولِيدِي و دَاوَهْ الثُّـــوَّارْ**[3]

**لميمَة تَبْكِي و رَاسهَــا عَرْيَـانْ قَالَتْ أولِيدِي و دَاوَهْ الشُّبَــانْ**[4]

نلاحظ في هذه المقطوعة تكرار عبارة " لميمة تبكي " ، وهي تحمل في طيّاتها ألما وشجنًا كبيران جرّاء غياب الابن، الذي راح ضحية المستعمر، ليحترق قلب الثّكلى بلوعة الفراق، وهي في حالة يرثى لها، وهذا ما عبّر عنه البيت الأوّل، كما ورد تكرار عبارة "قالت وليدي" وهي صرخة أمٍّ مدويّة على ابنها الشّهيد.

إنّ فراق الأم لولدها يُعدُّ أكبر فاجعة لها، فهي ترضى أن يصيبها أي مكروه، ولا يصيبه هو، فالله تعالى اختصّها بالعطف والحنان، وعليه فليس بالهيّن على أيّة أم في الدّنيا أن تفقد قرّة عينها.

وقد استطاع مبدع الأغنية أن يعبّر عن حالة الأم المزرية، ومن خلال جملة من الصّفات؛ فهي "تلقّط فالقشقاش" إشارة إلى ما تكابده المرأة الجزائريّة وبالأخص الرّيفية في تجميع الحطب بغية التّدفئة في أيّام الشّتاء الباردة، ولإعداد الطعّام، و"تدور فالدوّار" إشارة إلى كثرة تنقّلها من مكانٍ إلى مكان بحثًا عن قوت يومها، ولاسيما بعد أن تركها ابنها والتحق بجيش التّحرير، وتبيّن عبارة "راسها عريان" حالة الأم المزرية، ففي حالتها الطّبيعيّة تكون مغطّاة الرّأس جريًا على العاداة والتّقاليد من جهة ، ومن جهة أخرى تبرز صورة المرأة الجزائريّة المحتشمة، التي تأبى أن تكشف شعرها تماشيًا مع النّص الدّيني، قال تعالى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾[5]ولكنّ المأساة حين تصدمها في استشهاد ابنها، تُنسيها التّقاليد، و تنتفض غير مبالية لحالتها.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[2]– **لميمة**: أمّي، **تلقّط**: تلتقط، **القشقاش**: بقايا الأغصان و الجذور المرماة على الأرض، **أوليدي**: ولدي، **ابطا**: تأخر في العودة، **ما جاش**: لم يأتِ.

[3]– **لميمة**: أمّي: **تدور**: تلف، **فالدوّار**: في الدّشرة أو الرّيف، **أوليدي**: ولدي، **داوه**: أخذوه.

[4]– **راسها**: رأسها و المقصود هنا شعرها، **عريان**: عارٍ.

[5]– سورة النّور، الآية 30

و تصف الأغنية الشّعبية حرقة الأم الجزائريّة التي أصابتها جرّاء فراق ابنها:[1]

**نَبْكِي و نْهَاتِي مَنْ عَنَّابَة لْوَادْ زْنَاتِي**[2]

**تحَرْقُوا كَبْدَاتِي عَالخْضَرْ ممُو عَيْنِيَّا**[3]

فهذه الأم تصف مدى تفجُّعها على ابنها الشّهيد، وتُبرِز ضخامة الألم مستخدمةً في ذلك البُعد المكاني بين ولاية عنّابة ومنطقة وادي الزناتي المتواجدة بولاية قالمة، فهذه المسافة المقدّرة بين المكانَين تعكس المساحة الفارغة في قلبها، والتي تركها ابنها بعد رحيله.

وممّا زاد معنى الحزن وضوحًا و قُربًا إلى أذهاننا اعتماد الصور المجازيّة، ولاسيما في البيت الثاني؛ فالشّطر الأوّل منه "تحرقوا كبداتي" كناية عن الألم والحسرة، والشطر الثّاني "عالخضر ممو عينيّا" تشبيه بليغ، إذ شبّهت ابنها الرّاحل" لخضر" بِقُرّة عينها، و عادة ما يستخدم هذا التشبيه –قرّة العين– لإبراز المكانة العالية التي ينالها شخص ما في النّفس.

و في موضعٍ آخر، تذكر الأغنية تفجّع الأم لسماعها بموت ابنها:[4]

**أمْبَـــارَكْ بُـــولُـــوحْ و أُمُّوا عْلِيهْ بَالصَّوْت تْنُوحْ**[5]

**قَتْلُـــوه في فْتُـــوحْ**

هذه الأبيات تكشف عن حقيقة هذه الأم وحالتها النفسية الحزينة التي أضناها الواقع بآلامه وجراحه، ومزقتها ظروف الحياة القاسية.

تقول الأغنية:[6]

**مَرْضِـي طَـــالَ عْلِيَّـا و فْرَاقْ ولِيـــدِي زَادْ عْلِيَّا**[7]

**القَلْب رَكْبَـاتُوا الفَـدَّة و الرُّوح في صَدْرِي تَتْقلبْ**[8]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[2]– **نبكي**: أبكي، **نهاتي**: أهذي، و قيلت هنا من باب التحسّر و التوجّع على فراق الأحبّة.

[3]– **تحرقوا كبداتي**: حُرِقت فلذات كبدي، **عالخضر**: من أجل لخضر و هو اسم ابنها، **ممّو عينيّا**: قرّة عيني.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[5]– **امبارك بو لوح**: اسم الشّهيد، **فتوح**: اسم مكان.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة، 77 سنة، قالمة.

[7]– **طال عليّا**: طالت مدّته، **زاد عليّا**: زاد من ألمي.

[8]– **ركباتو الفدّة**: بمعنى أنّه امتلء غيضًا ، **تتقلّب**: بمعنى أنّ نفسيتها مضطربة، و غير مستقرّة على حال.

تذكر هذه الأم مرضها الذي طال أمده، ليزيد فراق ابنها وطأة المرض فتكتوي بنار الفراق، ولم يقف مبدع الأغنية عند هذا المنظر الذي يبعث الحسرة في النّفوس ويمزّق القلوب ، وإنّما أراد أن يجسّد الموقف بصورة أعمق فيقول :[1]

**طَـــابْ قَلْبِـــي طْيَـــــابْ الحجْرَة اليَابْسَة مَنْ بْكَاهَا تفَتَّتْ**[2]

**مَا بْقَالـــي غِيرْ ولِيـــدِي لَزْرَقْ خَـــايْفَة تَدِّيـكْ فْرَنْسَا و تْرُوحْ**[3]

**و تخَلِّينِـي عَمْيَا نحَـــوَّسْ قُلْت نمُوتْ و تَسْبَـقْ تَدْفَنِّي**[4]

فمعاني الألم والحزن متجسّدة بكثرة في هذا المقطع، لكن ليس على فراق الابن وإنّما التخوّف من فراقه، ولاسيما وقد نالت فرنسا من إخوته، فلم يبقَ إلا هو وحيد أمّه، وهذا ما اتّضح في البيت الثّاني، وهذه الأم لشدّة قهرها وبؤسها باتت تتمنّى موتها قبل موت ابنها حتّى لا تعيش تلك اللّحظة الأليمة "قلت نموت و تسبق تدفنّي".

هذا من حيث المعنى، أمّا من حيث البناء فأوّل ما يلفت انتباهنا عدم انتهاء الأبيات بنفس الحرف –حرف الرّوي– الأمر الذي يُفضي بنا إلى أحد الرَّأيَيْن؛ الأوّل أنّ الأغنية الشّعبية لا يُشترط فيها الوزن، فقد يكون وقد لا يكون، والثّاني احتمال ضياع أبيات مُدْرَجَة في ثنايا هذا المقطع، نظرًا لكونه أدب شعبي يُؤخذ سماعًا على ألسنة الحَفَظَة.

وإذا تأملنا الصّور البيانيّة فإنّنا نجدها بكثرة؛ فـ" طاب قلبي طياب" استعارة مكنيّة حيث تمّ ذِكر المشبّه (القلب)، وحُذِفَ المشبّه به (ما يُطهى على النّار) وذُكِرت خاصيّة من خصائصه الفعل (طاب) وهو لفظ عامّي معناه نضج واستوى على النّار، فكان لهذه الصّورة بالغ الأثر في تبيان حرقة الأم و شدّة تألُّمها.

وعجز البيت الأوّل "الحجرة اليابسة من بكاها تفتّت" كناية عن هول الواقعة، فالحجرة اليابسة والمقصود بها الصّخرة الصّلبة تفتّتت من شفقتها على حال تلك الأم، كما كانت الكناية في الشطر الأوّل من البيت الأخير "و تخلّيني عميا نحوّس"، فكلمة "عميا" أي عمياء كناية عن أنّها ستكون أُمًّا ضالّة وتائهة يتملّكها الضّياع بعد فراق فلذة كبدها.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي

[2]– **طاب**: نضج و المقصود هنا اكتوى بنار الحسرة و هو تعبير مجازي، **طياب**: مصدر الفعل طاب، **اليابسة**: الصّلبة، الصّلبة، **بكاها**: بكائها، **تفتّت**: تتفتّت.

[3]– **ما بقالي**: لم يبقَ لي، **غير**: سوى، **وليدي**: ولدي، **خايفة**: خائفة، **تدّيك**: تأخذك، **تروح**: تذهب.

[4]– **تخلّيني**: تتركني، **عميا**: عمياء، **نحوّس**: أبحث، **نموت**: أموت، **تسبق تدفنّي**: بمعنى تسبق إلى دفني.

وهذه الأم لا تبكي مجرد أهل وأقارب من عامّة النّاس وإنّما تبكي فرسانًا أشاوسًا من قبيلة عظيمة منهم يقابل الألفين من الرجال في يوم الشدائد، كانوا حماة لمن يستجيروا بهم، ويلوذوا بحماهم. وتقول الأغنية:[1]

**رَاسِـــي شَـــابْ معَـــايَرْ و قَلْبِـــي تْعَمّـَــرْ دُودْ**[2]
**عْلَـى الشِّـــي أَلِّي قَـــاسِيتُو علَى لخضَرْ و المسْعُودْ**[3]
**كِي نحطْ رَاسِي عْلَى الوسَادَة و الدَّمْعَة مَـا تَصْحَـــاشْ**[4]

كابدت هذه الأم الشّقاء والعناء، فذاقت الأمرَّين جرّاء فقدانها لفلذَتَيْ كبدها (لخضر ومسعود)، فكانت عيناها شلالات دمعٍ جارية بلا توقف.

ومن بين الأمّهات اللاتي فقدن أبناءهن السّيدة "**بوشعير الزهرة**" والدة **زغدودي علي** المدعو **بلخير**، التي كانت تبكي ابنها شعرًا صادقًا، فتقول:[5]

**البرَيَّـــــة اللِّـــي جَـــــاتْ وجَـــــاتْ مَن عَنْـــد الريَّـاسْ**[6]
**تـــحَـــــوَّسْ عْلَـــى بَلْخِيـــرْ و مَلْقُـــــوهَشْ خْـــــــلَاصْ**[7]
**مَنْ غِيـــــبْتَكْ يَـــا بَلْخِيـــرْ مَـــــا نُصْبَـــــــرْش خْـــلَاصْ**[8]
**الفِيـــكَسْ يـــحْرَث فِيـــهَـــا يَا بَلْخِيرْ يَا وَلْدِي مَنْ هُو لي وَاتِيهَا**[9]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[2]– **راسي**: رأسي و المقصود هنا شعر رأسي، معاير: يقال باللهجة القالمية عاير فلان فلان بمعنى عابه و ذكر مواطن القبح فيه، **تعمّر**: مُلئَ. و عبارة تعمّر دود كناية عن كثرة الهموم.

[3]– **الشّي**: الشيء و المقصود هنا الأمر، **الي**: الذي، **قاسيتو**: قاسيته، **على لخضر و المسعود**: أي من أجل حسرتي على لخضر و المسعود.

[4]– **كي**: عندما، **نحط**: أضع، **ما تصحاش**: لا تتوقف عن الانهمار، ففعل صحا عادة يُستخدم في العاميّة للمطر، فنقول صحات المطر بمعنى توقّفت عن الهطول، و قد استعار المغنّي هذه الكلمة و وظّفها في تعبيره على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبّه الدّموع المنسكبة بالمطر الغزير، دلّت عليه عبارة (ما تصحاش).

[5]– منقولة عن طريق السّماع: تركية مباركي، 68 سنة، وادي الشحم.

[6]– **البريّة**: الرّسالة، **اللي**: التي، **جات**: أتت و المقصود هنا وصلت، **الريّاس**: جمع مفرده رئيس.

[7]– **تحوّس**: بحث، **على**: هنا بمعنى عن، **ما لقوهش**: لم يجدوه، **خلاص**: أبدًا.

[8]– **مَن**: مِن، **ما نصبرش**: لا أصبر.

[9]– **الفيكس**: ثابت المحراث ، **يحرث فيها**: يحرثها، **من هُو**: بمعنى مَن الذي، **لي**: الذي، **يواتيها**: يصلح لها، أو يكن أهلاً لها.

**البرَيَّة اللِّي جَات مَنْ عَنْد الريَّاسْ تْبَلَّغْ في محَمَّدْ تهَلَّى في الفَـامِيلَة[1]**
**أُمُّــو تَبْكِي و تَبْكِي في البَـابْ مَنْ غِيبْتَكْ يَا وَلْدِي كْلَاوْنِي لَكْلَابْ[2]**

تحمل هذه الأبيات نغمات حزينة يملؤها الأسى والقهر الذي تعاني منه هذه الثّكلى بعد رحيل ابنها عنها، فتعبّر عن تشرّدها من بعده، وهذا ما عبّر عنه البيت الأخير، وقد اعتمدت الكناية في قولها :"لكلاب" إذ تقصد الكلاب البشرية من مستعمر متوحش وعملاء لا ضمير لهم.

كذلك نقف أمام **زينب** أم الشّهيد **صالح الحرّوشي**، "التي رافقته من مدينته الحروش وظلّت معه تؤازره، وتباركه، وتدعو له بالتّوفيق والانتصار، ظلّت هناك في مراكز جيش التّحرير تبكي ابنها البهي الذي رحل و هو ابن واحد وعشرين ربيعًا.

**تَـبْكِـــــي و تْنُـــــوحْ[3]**
**و تْقُولْ وِلِيدِي مَا عَادْ رُوحْ[4]**
**وَايَـــــنْ دِيتِــي وْلِيـــدِي[5]**
**يَـــا فْرَانْسَـــا يَا الغَدَّارَة"[6]**

تبكي هذه الأم بحرقة ، وتصرخ قائلة إنّ ابنها لم يعد حيًّا يُرزق، لتوجّه بعدها سؤال طيرٍ مكسور الجناح إلى فرنسا التي فتكت بابنها.

وتبيّن الأغنية الشّعبية أنّ الأم هي أكبر فردٍ يتألم لفراق الابن، ألمٌ لا يعادله ألم الزّوجة التي قد تتزوّج غيره بعد مماته لتكمل حياتها، أمّا الأم فلا بديل لها سواه. تقول الأغنية:[7]

**الطَيَّارَة تْدُور تدورْ عْلَى دَمُّو مَرْتُو تَزَوَّزْ وَ الحرِيقَة لأُمُّو[8]**

---

[1]– **تبلّغ في محمد**: تُبلّغ أو تخبر محمّدًا، **تهلّى**: اعتني، **الفاميلة**: كلمة مأخوذة من famille الفرنسية و تعني العائلة.

[2]– **أمّو**: أمّه، **في الباب**: بمعنى أمام الباب، **مَن غيبتك**: بسبب غيابك، **كلاوني لكلاب**: أكلتني الكلاب.

[3]– **تنوح**: من النواح، ناح الشّخصُ على الميِّت : بكى عليه بحُزنٍ وصياح وعويلٍ.

[4]– **وليدي**: ولدي، **ما عاد روح**: لم يبقَ روحًا أي لم يبقَ حيًّا.

[5]– **واين**: إلى أين، **ديتي**: أخذتِ.

[6]– أحمد عاشوري، كدية الجهاد: قصة الشهيد صالح الحروشي، سلسلة شهداء احتفلت بهم، ص 24-25 .

[7] – منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[8]– **تدور**: تحوم أو تحلّق حول، **دمّو**: دمه، **مرتو**: زوجته، **تزّوز**: تتزوج، **الحريقة**: الحرقة و الحسرة، لأمّو: لأمّه.

وغالبًا ما تحظر الأم عند اعتقال ابنها أو رحيله، لتشهد تلك اللحظات الأليمة، فتوجّه عتابها على فرنسا قائلةً:[1]

**لارْمِي يَـــا الحلُّــوفْ دِيتي وْلِيدِي وَ انَا نْشُوفْ**[2]

ولطالما ناشد الابن المجاهد أمّه البائسة، وحاول التّخفيف عن مُصابها، وتحويل ذلك الحزن والألم إلى بهجة وسرور، ذلك أنّ تضحيته ودمه الطّاهر سيغدو بابًا من أبواب الانتصار ونيل الحريّة. يقول:[3]

**يـا أمِّي لاَشْ تَـبْكِي عْلِيَّا وَلْدَكْ مْجَنَّـدْ فِي الوَطَنِيَّة**[4]
**حُبْ الجَزَائِرْ وَاجَبْ عْلِيَّا رُوحِي و مَـــالِي للوَطَنِيَّة**
**يـا أمِّـــي لاَشْ تَبْكِي عْلِيَّا وَلْدَكْ مْجَنَّدْ عْلَى الحُرِيَّة**

ولم يقتصر التّعبير عن الشّوق وألم الفراق على الأم الجزائرية وحدها، فقد كانت الزّوجة أيضًا تعاني الأمرّين من فقدان زوجها؛ فراق من اختارته ليكون أنيسها وعشيرها في هذه الحياة الضّنكى والقاسية، نتيجة الظّروف الصّعبة السّائدة آنذاك، فالزّوج هو السّند وهو المعيل. تقول الأغنية معبّرة عن الحزن الشّديد الذي اجتاح قلب الزّوجة جرّاء فقدانها لبعلها:[5]

**العَطْرَة تَبكِي و تْنَادِي و تْقُولْ واشْ اللّي بيَّا**[6]
**أوْ كِي مَاتْ سِي امْبَارَكْ أيُمَّا هُوَ عْمَـــارَةْ الدَّارْ**[7]
**العَطْرَة تَبكِي و تْنَـــادِي و تْقُولْ واشْ اللّي بيَّا**
**أوْ كِي مَاتْ سِي امْبَارَكْ أوْ خَلَّالِـي قَشَّـــابِيَّة**[8]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

[2]– **لارمي**: نقل حرفي لكلمة larmi الفرنسية و تعني الخدمة العسكريّة، **الحلوف**: الخنزير، **ديتي**: أخذت، **وليدي**: ولدي، **نشوف**: أمام ناظِرَيْ، أو و أنا أرى.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[4]– **لاش**: لماذا، **عليّا**: من أجلي.

[5]– منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[6]– **واش الي**: ما الذي، **بيّا**: بي، و عبارة واش الّي بيّا تعني ما الذي حدث لي، و هي عبارة تقال من أثر الصّدمة والفجيعة.

[7]– **كي**: لما، **أيَمّا**: يا أمّي، **هو عمارة الدّار**: أي هو من يملء الدّاء بهجةً بوجوده، و هي من دونه خاوية.

[8]– **خلاّلي**: ترك لي و المقصود هنا خلّف لي من بعده، **قشّابية**: لباس يلبسه الرّجل في فصل الشّتاء للتدفئة، مصنوع من وبر الجمال.

**العَطْرَة تَبْكِي و تْنَادِي وتْقُولْ واشْ اللّـي بيَّـا**
**أوْ كِي مَاتْ سِي امْبَارَكْ و قتْلُوهْ مْعَ لَعْشِيَّـة[1]**

نلاحظ في هذه المقطوعة تكرار البيت الأوّل ثلاث مرّات، وهو ينطوي على أسلوب إنشائي طلبي، جاء بصيغة الاستفهام " واش الي بيّا " و غرضه التحسّر، كما تكرّرت عبارة " أو كي ماتْ سي امبارك " لكونها بؤرة الحدث، ومصدر الحزن والأسى.

والمقطوعة بشكل عام ذات معجم دلالي حزين، مليء بعبارات الألم والفجيعة: "تبكي، مات، أيُمَّا، تنادي، قتلوه ... "، فجيعة زوجة على زوجٍ رحل، ولم يترك لها سوى معطفه "أو خلّالي قشّابية" لتصارع أهوال الفقر والبؤس.

ولإبقاء الاتّصال بين المجاهدين وذويهم كانت الجبهة تبرمج زيارات خفيفة تسمح لهم برؤية العائلة وتارة أخرى يبعثون برسائل. تقول الأغنية:[2]

**لخْضَرْ يَـــا وْلِيدِي طُلْ البُوسْطَـــا جَـــاتْ[3]**
**و جِيـــبْ خْبَرْ بَابَاكْ حَـــــيْ وَلَّا مَـــاتْ[4]**
**كَرِيـــمة و رِيـــــمة أَمْ رَاحُـــــو يْزِقِيـــوْ[5]**
**كِي سَمْعُوا بخْبَرْ بَابَاهُم أَمْ رَجْعُـــوا يَبْكِيـــوْ[6]**

نلاحظ من خلال هذه الأبيات حيرة الزّوجة على مصير زوجها، الذي خرج للكفاح، فهي لا تعلم ما إن كان على قيد الحياة أم لا، فترسل ابنها لخضر لتقصّي الأمر، إلى أن تتلقّى الخبر الذي نزل عليها كالصّاعقة، فابنَتَيْها وعن طريق الصّدفة تسمعان بخبر استشهاده. ودموع الحسرة متأجّجة في قلبيهما.

---

[1]– **مع لعشيّة**: عند المساء.

[2]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[3]–**طُل**: القِ نظرة، **البوسطا**: كلمة مأخوذة من poste الفرنسية و تعني البريد، و المقصود هنا الرّسالة ، **جات**: أتت، أتت، و المقصود هنا وصلت.

[4]– **جيب**: هات، **باباك**: والدك، **ولّا**: أو.

[5]–**أم راحوا يزقيو**: لقد ذهبتا لجلب الماء، فكلمة يزقي تحريف لكلمة يسقي العربية، و إن كان معنى الأولى يجلب الماء و الثّانية يروي، فهما مجتمعتان في السّقاية و الماء.

[6]– **كي**: لما، **سمعوا**: المقصود سمعتا، لأنّ الضّمير عائد على البنتين، **باباهم**: والدهما، **أم رجعوا**: رجعتا، **يبكيو**: تبكيان.

وما يزال الشّعب العربي يتابع العطاء الثّوري من أجل أن يضمن لثورته النّصر وهذا ما توضّحه الأغنية التي جاءت مليئة بقوّة أساليبها، فياضة بجلال معانيها، ممّا هزّت القرائح من خلال شوقها إلى الوطن، ومناجاته، ورغبتها القصوى في رؤية أبنائها المناضلين[1]

إنّ هذه المرأة تؤمن بالنّصر المبين ولا تيأس من عودة زوجها إلى أهله لأنّ وراء القضية جنود يناضلون لاسترجاع حقوقهم، واسترداد أراضيهم قطعةً قطعة لأنّ أبناء هذا الوطن لا يقفون مكتوفي الأيدي أمام الأعداء، وأنّ الفجر الجديد سيمسح الغواشي الظالمة، وستنجلي الغمرة ويعود الأمل إلى النّفوس.

وإن كانت الأم والزّوجة كثيرتا التأثُّر من فراق الابن والزّوج، فالأخت ليست ببعيدة عن ذلك، لتكتمل صورة المرأة الجزائرية بشكل عام، سواء كانت أمًّا أو زوجة أو شقيقة. تقول الأغنية:[2]

**الطيَّـــــارَة الصَّفْـــرَا اَحْبِســـي مَـــا تْبَـرْدِيشْ[3]**

**عَنْـدِي فَـرْد أُوخَـــيْ و لميِّمَة عَاقْرَة مَا تَضْنِيشْ[4]**

نلحظ تفجّع الأخت على أخيها، فتوجّه صرخةً حزينةً، هي صرخة عتاب ولوم للعدو، طالبةً منه أن يكُفَّ أيديه عن سفك دماء أفراد أسرتها.

و تناشد أختٌ شقيقها الذي اعتقلته فرنسا، وقامت بتجنيده:[5]

**يَـــــا خُويَـــــا لَقْصَيَّـــــرْ دَاتَكْ الحكُومَة و قْعَدْ القَلْبْ محَيَّرْ[6]**

**يَـــــا خُويَـــــا الطَّوِيـــــلْ دَاتَكْ الحكُـومَة و اللَّبْـــسَة مِنِيتِيرْ[7]**

---

[1]– مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر – الثقافة– السنة الثالثة عشر، العدد 73 – 74، ربيع الأول – جمادى الثانية 1403 هـ –يناير أفريل سنة 1983، ص 71.

[2]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي، 57 سنة، هيليوبوليس.

[3]– **احبسي**: توقّفي، **ما تبرديش**: لا تضربي أو لا تقصفي.

[4]– **فرد أوخي**: أخي الوحيد، **لمّيمة**: أمّي، **عاقرة**: عاقر لا تنجب الأطفال، لكن أطلقت لفظة عاقر على هذه الأم لا لأنّها لا تنجب بل لأنّا كبرت في السّن و لم تعد قادرةً على الإنجاب ثانيةً، **ماتضنيش**: لا تلد، انظر: العربي دحو، الشعر الشعبي و دوره في الثورة، م.س.ذ، ص 130

[5]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

[6]– **خويا**: أخي، **لقصَيَّرْ**: القصير، **داتك**: أخذتك، **الحكومة**: يقصد بها الحكومة الفرنسيّة، **قعد**: هنا بمعنى بات أو ظلَّ، **محيّر**: محتار.

[7]– **اللبسة منيتير**: اللباس عسكري، فلفظة منيتير تحريف للكلمة الفرنسية militaire و تعني العسكر.

وُظِّفت في هذه الأغنية ثنائيّة متضادّة (الطول و القِصَر)، و رغم أنّ التّوظيف هنا جاء لإضفاء النّغم الموسيقي بين الشّطرين، وليكون هناك توازنًا لفظيًّا من حيث الحركة بين (لقْصَيَّرْ – مْحَيَّرْ)، وبين (الطّوِيل – مِنِيتِيرْ)، إلاّ أنّ ذلك لم يكن موفّقًا، فاستعمال صفة القصير ونسبها إلى الأخ المجاهد يعدُّ معيار قُبحٍ في المجتمع العربي بشكل عام، وفي الأوساط الشّعبية بشكل خاص، كما أنّ لفظة (الطّوِيل) لا تتناسب في الإيقاع مع لفظة (مِنِيتِيرْ)، وكثيرًا ما نلمح هذا العطب في الأغاني الشّعبية، فلا نجد فيها توازنًا مُحكمًا، وقد يكون ذلك راجعًا إلى ضعف الرّواية وعدم الدقّة في النّقل باعتباره يؤخذ شفاهةً من ألسنة الحَفَظَة.

**ثالثًا/ معاناة الأسر والإقامة الجبريّة:**

لقد ابتُليت منطقة قالمة شرّ ابتلاء بإقامة السّجون والمعتقلات، والمحتشدات عبر مدنها وقُراها وأريافها، كما أقيمت نقاط وقواعد المراقبة المختلفة بقصد مراقبة كل ما يجري وعلى مسافاتٍ بعيدةٍ، فضلًا عن المناطق الجبليّة التي كانت محرّمة على السكّان، و"الاستعمار وما يفرضه من هيمنة سياسيّة، واجتماعيّة، واقتصاديّة على الشّعوب المغلوبة هو المتّهم الأوّل لإحداث ظاهرة الغربة، وما يعقبها من ضنك، ويأس، وحنين ... فقد أصيب المواطن بالقلق والاضطراب، وعدم الاستقرار، واتّسعت مسافة الغربة بينه وبين الاستعمار الحاكم، وقد زاد هذا الإحساس عمقًا بعد احتفال فرنسا بمرور مائة عام على الاحتلال[1]، إذ تأكّد الإنسان الجزائري أنّ وطن الآباء والأجداد لم يعد ملكًا له، فليس له من وطنه إلاّ ما يناله عن طريق المذلّة والصّغار، لأنّه صار عبدًا مُسخّرًا لخدمة من نهبوا أرضه، وحرموه من لغته، ومن انتمائه العربي الإسلامي"[2]، فالعدو الفرنسي لم يتوانَ في اتّباع "أسلوب القتل، والسّلب، والنّهب ضدّ السكّان، مخترقًا بذلك ما أخذه على نفسه من عهود باحترام مقدّسات السكّان وأعمالهم، عندما وقّع الضّابط دي بورمون قائد الحملة العسكريّة مع الدّاي حسين حاكم الجزائر ما يُعرف باتّفاقية الجزائر"[3]، ومع ذلك ظلّت الثّورة تتنفّس بيسرٍ

[1]– احتفلت فرنسا عام 1930 بمرور مائة عام على احتلال الجزائر، و الهدف كما تزعم هو تشييع جنازة هذا الجزء من الوطن العربي الإسلامي، و إحلال وطن يدين بالولاء لفرنسا مكانه، و قد خلّف هذا الاحتفال جرحًا داميًا في نفوس الجزائريين، انظر:

Jaces Berque, Le Maghreb entre deux Guerres, Le seuil, 1962, P233

[2]– عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشّعر الجزائري الحديث 1945-1962، منشورات جامعة باتنة، 1997م، ص: 21

[3]– عبد القادر خليفي، دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005، ص 5

وسهولةٍ، وواصلت سيرها بكلّ نجاح، كما تحدّى سكّان المنطقة كلّ هذه الأحكام والقوانين التعسُّفية، ودفعوا ضحايا في سبيل كلّ ذلك، غير مبالين بالمنشورات التي كانت الطّائرات توزّعها، وبالتّهديدات وبالقتل الجماعي، ونهب الأموال، وحرق المنازل، و"الكهرباء، والثّلج، والجلد، والغطس في الماء البارد، والحبس في الغرف الانفراديّة، والصّلب على الأشجار في العراء، والتّعريض لنهش الكلاب، وتسليط الأضواء الكاشفة على العينين لمدّة طويلة "[1] وغيرها من أدوات التّرهيب، الأمر الذي دفع العدو إلى تغيير أسلوبه في محاصرة الثوّار، إذ حاول تشديد الخناق على سكّان الرّيف بإجلائهم عن ديارهم وأرضهم، وعزل الجماهير الشعبيّة عن الثّورة، ومن هنا كانت الأغنية الشعبيّة تصف الوضع تحت الإقامة الجبريّة، وتصف أحوال النّازلين بالسّجون والمعتقلات:[2]

**أدّاوْنَــا بِينْ زُوزْ حْيُوطْ أعْطَاوْنَا زَاورَة و كَبُّوطْ[3]**

**الصَبَّة و الخُبْز الرَّاشِي والسِّيمَاالبَارْدَة المَخْلِيَّة[4]**

يعبّر هذان البيتان عن الحياة القاسية التي كان يعيشها المعتقَلون في الإقامات الجبريّة، فعبارة "زوز حيوط" كناية عن ضيق المكان، وعبارة "زاورة وكبّوط" كناية عن قلّة الملبس في جوٍّ قاسي البرودة، ومأكلهم رديء "الصبّة، والخبز الرّاشي"، وفراشهم الأرضية الإسمنتية الصّلبة.

وفي نفس المضمار وصفت الأغنية الثّورية حياة المحتشد القاسية وظروف ووسائل العيش المنعدِمة فيه، وقلق السّجين وإحساسه بالاغتراب:[5]

**كِي طَــالُو لِيَّــامْ عْلِيَّا كِي طَــالُو لِيَّــام عْلِيَّا[6]**

**و الرَّومِي عْلِينَا عَسَّاسْ وَ السِّيمَا بَارْدَة مَخْلِيَّة[7]**

---

[1]– محمد ناصر، شاعر الثّورة في مراحل حياته، مجلة الثقافة، عدد 93، مايو 1986، ص 109

[2]– منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[3]– **أدّاونا:** أخذونا و المقصود هنا وضعونا، **زوز:** اثنان، **حيوط:** جدران، و عبارة زوز حيوط تعني حائطَيْن، **زاورة:** غطاء دافئ يُنسج من القطن أو الصّوف خاص بالشّتاء، **كبّوط:** لباس شتوي.

[4]– **الصبّة:** مأخوذة من كلمة la soupe الفرنسيّة و تعني الحساء، و من خلال البيت يتّضح أنّه كان حساءً رديء الطعم و سيء المذاق ، **الرّاشي:** المتهرّئ، إشارة إلى قِدمِه و هشاشته، **السيما:** الإسمنت و المقصود هنا الأرضية الإسمنتيّة، **المخليّة:** تقال لما هو مكروه أو مذموم.

[5]– منقولة عن طريق السّماع: زبيدة سعيدي ، 24 سنة، بلخير.

[6]– **كي:** عندما، **طالوا:** طالت، **ليّام:** الأيّام، **عليّا:** عليَّ

[7]– **الرّومي:** الرجل الأجنبي، والمقصود هنا الرّجل الفرنسي، **عسّاس:** حارس و المقصود هنا المترصّد لتحرّكاتنا، **السّيما: السّيما:** الإسمنت و المقصود هنا الأرضية، **مخليّة:** المكروهة أو المذمومة.

ويصف الجندي المعاناة وقساوة العيش في الأسْر، فيقول:[1]

**لا حُونَـــا في زُوزْ كْـدُيْ و القُـــوَّة تَلْحَـــقْ و تجِـي**[2]
**و الجِيـــــشْ ثمَّـــة قْوَيْ و القْنَـــابَلْ بَالنَّـارْ تَقْدِي**[3]
**لاحُونِي بِينْ رَبْع حْيُوطْ و اعْطَاوْنِي زَاوْرَة وكَبُّـــوطْ**[4]
**و الخبْز نجَارَة و بَلُّوطْ و السّيمَا البَارْدَة المخْلِيَّة**[5]

نلاحظ توفر جميع جوانب المعاناة والقهر في هذه المقطوعة، سواء من حيث اشتداد الحصار "لاحونا في زوز كدي"، و"لاحوني بين ربع حيوط"، أو من حيث الملبس "و اعطاوني زاورة وكبوط" ، وكذلك من حيث المأكل " والخبز نجارة وبلوط"، وحتّى راحة النّوم منعدمة " والسّيما الباردة المخليّة"، هذا بالإضافة إلى القصف الذي يتعرض له هؤلاء الجنود من قِبَل العدو "و القنابل بالنّار تقدي"، كلّ هذه الظروف القاسية لم تمنع المجاهدين الشّجعان من مواصلة نشاطهم ومسيرتهم الثوريّة. يقول أحد المعتقلين:[6]

**كِي طَـــالُوا لِيَّـــامْ عْلِيَّـــا فْرَانْسَـــا و مَـــادَارَتْ بِيَّـــا**[7]
**كِي رُحْنَا لْسُوقْ أهْرَاسْ واحْنَا في خمسَة مَالنَّـاسْ**[8]
**لاحُونَـــــا فَالحبَـــاسْ وَ السِّيمَا البَارْدَة المخْلِيَّة**[9]

وبهذا نجد أنّ الشّاعر الشّعبي قد تناول حياة المحتشد القاسية وظروف وسائل العيش المنعدمة فيه، وقلق الإنسان فيها، واضطرابه، وإحساسه بالغربة والقهر، هو أسلوب "الثّورة" و"الثّوار"

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوثلجة، 75 سنة، قالمة.

[2]– **لاحونا**: وضعونا، **زوز كدي**: زوز أي اثنان و الكدية هي مرتفع من الأرض ، **القوّة**: يقصد بها قوّات العدو، **تلحق و تجي**: بمعنى تتلاحق باستمرار.

[3]– **ثمّة**: هناك، **تقدي**: تلتهب، و تقدي مأخوذة من الوقود لأنّه مصدر اللّهيب.

[4]– **لاحوني**: وضعوني، **ربعة حيوط**: أربعة حيطان، **اعطاوني**: منحوني أو قدّموا لي، **زاورة**: غطاء دافئ خاص بالشّتاء، بالشّتاء، **كبّوط**: لباس شتوي.

[5]– **نجارة**: هي فتاة الخشب و قد وظّفها المغني تشبيهًا بليغًا للخبز للدلالة على هشاشته وعدم صلاحيته للأكل.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

[7]– **و ما دارت بيّا**: و ما فعلته بي.

[8]– **كي**: عندما، **رحنا**: ذهبنا، **سوق اهراس**: اسم مكان، **لقينا**: عثرنا، **خمسة مالنّاس**: خمسة أشخاص.

[9]– **لاحونا**: وضعونا، **فالحباس**: في السّجون.

وأسلوب التحدّي، والرّفض والعناء الذي كتبته دماء هؤلاء الأبرياء الذين ما تزال بقاياهم تخرج من هذه المعتقلات والمحتشدات يومًا بعد آخر حتّى الآن.

وقد لحظنا من خلال متابعتنا للأغاني الثوريّة تشابهًا في الألفاظ أو حتّى في الأبيات، وهذا قد يعود إلى رواية الأغنية الشّعبية، فهي معرّضة للتّغيير والتّعديل على مرّ الزّمن، وتناقلها عبر السّامعين، فعلى سبيل المثال تكرر الشّطر " السِّيمَا باردَة مَخْلِيَّة " في المقاطع السّابقة، وقد يعود السّبب أيضًا إلى كون هذه المقاطع من قصيدة واحدة.

يذكر الشّاعر بعض وسائل التّعذيب التي تعرّض لها أثناء أسره، و من بينها الصعق بالكهرباء، فيقول:[1]

**كِـــي رُحْنَـــا لْبِيتِـــي القَرْمَة وضَرْب التْرِيسِيتِي**[2]
**لخضَـــرْ عْلَاه قْرِيتِـــي خمِيسَة رَكْبَت لِيشَـــارْ**[3]
**و انَـــا مْعَ جِيشْ الثُّوَارْ خميسَة لَبْسَت قَـــاوْرِيَّة**[4]

إنّ القمع الوحشي الذي سلطته مصالح الأمن، وجيش الاستعمار ضدّ السّجناء كانت أساليبه متنوعة، حيث كانت هناك مراكز التعذيب متخصّصة في استعمال الماء، والكَيْ بالكهرباء، ودق الأيدي بالمسامير، وتمليح الجروح، وقلع الأظافر بالكمّاشة، و في قلع الأسنان أيضًا، وغيرها من وسائل التعذيب الوحشيّة.

أمّا المعتقلات فإنّ السلطة الاستعمارية كانت تجمع أسرى جيش و جبهة التحرير الوطني في مُعْتَقَلَيْن اثنين بها هما معتقل "الملاحة" ومعتقل "أولاد عطية" بالشرفة قرب مدينة عنابة حيث ضمّا الآلاف من الثوّار الذين تعرّضوا إلى شتّى أنواع التعذيب.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

[2]– **كي**: حين، رحنا، ذهبنا إلى، **بيتي**: petit حي (بومهرة أحمد) حاليًّا ، **القرمة**: عصًا خشنة تُستعمل للضّرب، **التريسيتي**: مأخوذة من الكلمة الفرنسية électricité أي الكهرباء، و المقصود بضرب التريسيتي صعقة الكهرباء.

[3]– **لخضر**: اسم رجل (مجاهد)، **علاه**: لماذا، **خميسة**: اسم امرأة، **ليشار**: الدبّابة.

[4]– **لبست قاورية**: أي أنّها لبست كما يلبس الأجانب من الفرنسيّين.

"أمّا عن أماكن الاعتقالات والتّعذيب، فقد تعدّدت وتنوّعت، واستعمل العدو لذلك كلّ ما وجده أمامه من أماكن، ففي قالمة كانت الثّكنة العسكريّة التي يعود بناؤها إلى عام 1842م[1]، أوّل وأوسع أماكن الاعتقالات، ثمّ ثكنة الجندرمة التي كانت تتوسّط المدينة[2]، وهي ثاني مركز هام للاعتقالات، والاستجوابات، والتّعذيب، والسّجن المدني الذي ما يزال قائمًا حتّى اليوم، والنّادي بباب سكيكدة، الذي كانت الميليشيا[3] تزجّ فيه بالمعتقلين وتعذّبهم قبل قتلهم."[4]

تقول الأغنية:[5]

**سَرْكلُــوا عْلِينَــا اتْسَرْكِيـلَة و حَكْمُوا عْلِيــنَا بَـاليَدِّينْ[6]**

**تْرِيـسِيتي وَ القَــرْعَة مْعَـانَا و التِّيُــو مَنْصُوبْ فَالعَيْنِينْ[7]**

**حَرْقَتْنَــا فَرَنْسَــا الغَـدَّارَة تضْرَبْ فِيــنَا بَالطيَّــارَة[8]**

**احْنَا عْرَبْ مَا حْنَاشْ نْصَارَة وَ نْمُوتُوا عَلَى جَالْ الدِّينْ[9]**

---

[1]– ظلّت هذه الثكنة قائمة كثكنة إلى ما بعد استرجاع الاستقلال الوطني حيث حولت على التوال إلى مدرسة لأشبال الثورة، ثمّ إلى مدرسة صف الضباط و ذلك قبل أن تتحول إلى القطاع المدني في الثمانينات، فتحولت اليوم إلى عدّة مرافق منها: ثانوية أوّل نوفمبر، مقر العدالة، و مبيت للطلبة، و سكنات محلات لتجار، و مقرّات للشركات.

[2]– ثكنة الجندرمة مع المدرسة أزيلتا و هي اليوم ساحة عمومية تحمل اسم ساحة 8 مايو 1945.

[3]– **الميليشيا**: مأخوذة من كلمة milice الفرنسية و تعني فرق من المواطنين في بعض البلدان تدرب تدريبا عسكريا لتدعم الجيوش النظامية أو لشن حرب أهلية.

انظر: معجم المعاني الجامع، الموقع: http://www.almaany.com/home.php

[4]– اسماعيل سامعي، انتفاضة 08 مايو 1945 بقالمة و مناطقها، مديرية النشر لجامعة قالمة، تمّ الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع، 2004م ص 91

[5]– منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[6]– **سركلوا**: داروا، مأخوذة من كلمة cercle الفرنسية و تعني الدّائرة، **علينا**: المقصود هنا حولنا، **اتسركيلة**: دورة، والمقصود بعبارة سركلوا علينا اتسركيلة أنّ جيش العدو طوّق المجاهدين من جميع الاتّجاهات، **حكموا علينا باليدّين**: بمعنى كبّلوا أيدينا.

[7]– **تريسيتي**: مأخوذة من الكلمة الفرنسية électricité أي الكهرباء، و المقصود بضرب التريسيتي صعقة الكهرباء، الكهرباء، **القرعة**: القارورة، **التيّو**: مأخوذ من كلمة tuyau الفرنسية و تعني الأنبوب، و عبارة التيّو منصوب فالعينين أي أنّ العدو كان يضرب المعتقَلين بالأنبوب من كل الاتّجاهات حتّى بين العينين، و هذا يدلّ على وحشيّة المستعمر.

[8]– **تضرب فينا**: تضربنا.

[9]– **احنا**: نحن، **ما حناش**: لسنا، **نموتوا**: نمُت و المقصود نستشهد، **على جال**: من أجل.

ذُكرت في هذا المقطع أنواع شتّى من وسائل التعذيب البشعة في حقّ شعبٍ طالب بحقّه الشّرعي في الحريّة، ومن هذه الوسائل: الصّعق بالكهرباء، الضّرب، الحرق، والقصف بالطّائرات، فالمستعمر لم يدّخر جهدًا للقضاء على الثّورة وإخمادها، والثّوار مع كلّ ذلك صابرين محتسبين، لأنّ أرواحهم ودماءهم الطّاهرة قُدّمت تضحيةً للدّين، وهذا ما عبّر عنه البيت الأخير " وانموتوا على جال الدّين".

**رابعًا/ اضطهاد المجاهدين:**

عنيت الأغاني الشّعبية الثّورية بوصف مطاردة المجاهدين بواسطة الدبّابات والطّائرات وظروف إلقاء القبض عليهم، وحالة الهول والفزع والحزن السّائد آنذاك، فكانت الكلمات تصدر من الأعماق مشبعة بشعور وجداني، ومن بين المقاطع في النّصوص الشّعبية نجد ما يأتي:[1]

**خَاوْتِي خَمَّمتْ تَخميمَة مَاكَلتي وَ الكَسْرة قدِيمَة[2]**

**و رْقَادِي فَالنَّشْعَة دِيمَا[3]**

**حَرْقَتْها مّيـــمَة بَالنّارْ حَرْقَتْهـــا مّيـــمَة بَالنَّارْ[4]**

**لا إلـــــه إلاّ اللـــــه**

**اطْوَالُو لِيَّـــــامْ عْلِيَّـــا عْلَى دْزايَرْ واشْ صَايَرْ بيَّا[5]**

**عْلَى قَالمَة وَاشْ صَايَر بِيَّا**

يعبّر هذا المجاهد عن الضّيق الشّديد نتيجة وطأة الحصار، إذ بات يأكل الرّغيف القديم، ويأوي إلى بيت الخنازير للاحتماء من عيون العدو، وقد عبّر عن مرارة هذه الأيّام وطولها، في قوله: "اطوَالو ليامْ عليَّا"، كل ذلك في سبيل نصرة الوطن.

ومن صور المعاناة أيضًا نجد:[6]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع، عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[2]– **خاوتي**: إخوتي، **خمّمت**: فكّرت، **تخميمة**: تفكير، و المقصود هنا أنّ هذا المجاهد فكّر في وضع المزري و ما آلت آلت إليه حاله بسبب الاستعمار الفرنسي، **ماكلتي**: مأكلي، **الكسرة**: الرّغيف.

[3]– **رقادي**: نومي، **فالنّشعة**: في بيت الخنزير، **ديما**: دائمًا.

[4]– **ميمة**: أمّي.

[5]– **اطوالوا ليّام عليّا**: طالت عليَّ الأيّام، **دزاير**: تحريف لكلمة الجزائر، **واش صاير بيّا**: ما الذي حصل لي.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

**يَالْعَسْكَرْ رَاهُو قَسَّارْ لِيشَارْ لِيقَدَّمْ يَايْ شُوفُوا كِيفَاشْ قَتْلُونَا الله رَبِّي**[1]
**أو رَكْبُـــونَـــا فَالكَامْيُونَـــاتْ و دَوْرُونَـــا عْلَى لْفِيلَاجَـــاتْ**[2]
**الله رَبِّـي الله رَبِّـي**

هذه صورة من صور تنكيل المستعمر الغاشم بشهدائنا الأبرار، ففي قوله: "شوفوا كيفاش قتلونا الله ربّي" دعوة إلى رؤية فضاعة العدو في التّنكيل بقتلاه، ليقوم بعد ذلك بوضعهم في الشّاحنات مكوّمين فوق بعض، واللّف بهم في القُرى والمداشر، ليؤجّج نار اللّوعة في قلوب الثّكلى، والأرامل، والأيتام.

وكذلك نجد في مقطع آخر صورة من صور التّنكيل:[3]

**وسِيبُـــوسْ وَلاَّ جَبَّـــانَة لاحُـــوا خُوتْنَا فالمِيـــمَانْ**[4]
**وَاحَدْ مْطَيَّشْ في المِيمَانْ ولاخُرْ عْلَى جَنبُـــو عَرْيَـانْ**[5]
**كِي جِيـــتْ عَالجبَّـــانَة نَلْقَى خُوتِي في هَاكْ الهَانَة**[6]
**وَاحَـــدْ مْفَرَّشْ كَتَّـــانَة و وَاحَدْ عْلَى جَنبُو عَرْيَـانْ**[7]

يصف المقطع كيفية تحوّل وادي سيبوس إلى مقبرة مخضبة بدماء الشهداء الأبرار، وهم في حالة مزرية جرّاء التّعذيب والتّنكيل، عُراة حفاة، بل إنّ أفضلهم وضعًا يرتدي قطعة قماش "واحد مفرّش كتّانة" وهي كناية عن الصّورة المأساوية الفضيعة التي أحدثها العدو في شهداء الوطن.

---

[1]– **راهو**: إنّه، **قسّار**: أي لاهٍ، من اللهو، لهو العدو و عبثه بالدبّابة، و تلذّذه بقتل الجزائريّين دون رحمة أو شفقة، **ليشار**: نقل حرفي للكلمة الفرنسية le char و تعني الدبّابة، **ليقدّم**: بمعنى مَن يحاول التقدّم والهجوم، **شوفوا**: انظروا، **كيفاش**: كيف.

[2]– **ركبونا**: أركبونا، **فالكاميونات**: في الشّاحنات، فكما سبق الذّكر كاميونة مأخوذة من لفظة camion الفرنسية، **دورونا**: طافوا بنا، **الفيلاجات**: جمع مفرده فيلاج و هي مأخوذة من الكلمة الفرنسية village وتعني القرية.

[3]– منقولة عن طريق السّماع، يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[4]– **سيبوس**: اسم نهر، **ولاّ**: أصبح أو تحوّل إلى، **جبّانة**: مقبرة، **لاحوا**: وضعوا، و الضّمير هنا عائد على العدو، **خوتنا**: إخواننا من القتلى، **فالميمان**: في المياه.

[5]– **مطيّش**: مرمى، **لاخر**: الآخر، **على جنبو**: من جانبه.

[6]– **كي**: لما، **جيت**: جئت و المقصود هنا مررت بِـ، **نلقى**: أجد، **خوتي**: إخوتي، **هاك**: تلك، **الهانة**: المعاناة والغبن.

[7]– **مفرّش**: مُفترِش، **كتّانة**: قطعة قماش.

وإضافة إلى وادي سيبوس نذكر منطقة قياس، "هذه القرية الصغيرة[1] في ضاحية مدينة قالمة الجنوبيّة، أراد لها المستعمر إبان ثورة التحرير أن تكون مثل "كاف البومبا" في أحداث الثامن ماي 1945م، مكانًا لرمي جثث الشهداء –بعد التّمثيل بها، و حرقها– في قعر الجرف العميق، وفي هذا المعنى تقول الأغنية:

**هَــاتُوا البَـــــالَه و زِيدُوا الفَاسْ نَدْفَنْ الشُّهَدَا اللِّي جَابُوهمْ لَقْيَاسْ[2]**
**الطَّاكْسِيَّاتْ أمْ جَاوْ عْلَى الحْدَاشْ و أُمُّو تْسَقْسِي قَـــالُو لهَا لابَاسْ[3]**
**و احمَدْ مْطيَّشْ في بْلَادْ قِيَاسْ[4]"[5]**

قيلت هذه الأبيات بمناسبة استشهاد بومهرة أحمد، والمولود بوحليط، فوجّه المواطنون نداءً صارخًا لدفن جثث الشّهداء المحترقة، مُعبّرين عن استنكارهم لهذا الفعل الشّنيع من طرف الاستعمار، إذ يُعدُّ التنكيل بالموتى والتّمثيل بهم من أفضع ما يُرتكبُ في حقّ الإنسان، وهؤلاء المستعمرون تجرّدوا بهذا الفعل من إنسانيّتهم، وتحوّلوا إلى وحوشٍ ضاريةٍ، تسبّبت في صرخة هذه الأم الثّكلى على ولدها المفقود ، والذي تحوّل إلى جثّة هامدةٍ محترقةٍ، مُرماةٍ في منطقة قياس.

يقول مبدع الأغنية:[6]

**كِي طَالُوا لِيَّامْ عْلِيَّا عْلَى عَرْشِي وَمَّالِيَّا[7]**

نلاحظ أنّ هذا البيت تكرّر بكثرة في عدّة مقاطع، فغالبًا ما يفتتح به مبدع الأغنية أغنيته، لما له من وقع حزين، وتعبير عن الألم الذي يلاحقه جرّاء ابتعاده عن أهله، وذويه، فالأيّام عنده طوال، وحنينه يزداد، وهذا الإرهاق النّفسي والوجداني سببه المستعمر الغاشم، الذي كانت سياسته

---

[1]– يوجد ببلدية بن جرّاح المجمّع السّكني حريدي السّعيد المعروف باسم "قياس" بتفخيم القاف، و به مواقع أثريّة رومانيّة، و تسمّى عين النّشمة، و هي مصنّفة وطنيًّا.

[2]– **هاتوا**: أحضروا، **البالة**: تحريف لكلمة pelle الفرنسية، و تعني الرّفش أو المجرفة، **زيدوا**: بمعنى و هاتوا أيضًا، **الفاس**: الفأس، **ندفن**: أدفن، **الشّهدا**: الشّهداء، **اللي**: الذين، **جابوهم**: أتوا بهم، **قياس**: اسم مكان.

[3]– **الطّاكسيات**: جمع مفرده طاكسي و هي ترجمة حرفيّة لكلمة taxi الفرنسية و تعني سيّارة أجرة.، **أم**: بمعنى إنّها، **جاو**: جائت أو وصلت، **على الحداش**: على السّاعة الحادية عشر، **أمّو**: والدته، **تسقسي**: تسأل عنه، **لاباس**: لا بأس عليه أو بخير.

[4]– **مطيّش**: مرمى أو ملقى به.

[5]– عبد العزيز بومهرة، الحريّة و التضحية في الأغنية الشعبية، المرجع السّابق، ص 12

[6]– منقولة عن طريق السّماع: إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

[7]– **كي**: لما، **ليّام**: الأيّام، **عليّا**: عليَّ، **عرشي**: قومي ، **ماليا** : أهلي.

التّفريق، فإمّا هو في الجبال يعاني قساوة العيش، أو نُفي إلى بلاد أخرى، فيذوق مرارة التشرّد، ويشتاق إلى وطنه، وإلى أهله وذويه، فجاء مشتعلا بنار الفجيعة، إذ يقول متشوّقًا إلى أرض الوطن، راغبًا في رؤية العدو مهزومًا، ومنسحبًا:[1]

**طَـــالَتْ لِيَّامْ عْلِيَّا فْرَنْسَا مَا دَارَتْ بِيَّا**[2]

**عَامِينْ و أنَا محْبُوسْ فْرَنْسَا فُوقِي تْدُوسْ**[3]

**قُولي لميـــمَّـة تَبشَرْ بَـاشْ تبشَر الوَطَنِيَّة**[4]

نلمح من خلال هذه الأبيات نفس الشّاعر المعذبة لأنه يعيش حياة متوترة بعيدًا عن أهله، هناك في الجبال،كما أنّ النّضال، والتّصدي الحازم للعدو، والصّمود جعل العدو يضاعف من العمليات العسكريّة للقضاء على الثّورة، ولم يكتف بذلك بل إنّه بنى السّجون عبر كامل الوطن لاعتقال الثوّار، وما يزال الشّعب رغم ذلك يتابع العطاء الثّوري من أجل أن يضمن النصر، والبقاء.

يقول أحد المجاهدين في معاناته من اضطهاد العدو ومحاصرته له :[5]

**نَبْكِي بَالدَّمْعَة المجْرِيَّة مَتْغَرَّبْ و عَيْنِـي حَيَّة**[6]

**المينَة وْ زِيْد السِّيلانْ يَاخُوتِي وَحْـش مَّالِيَّا**[7]

**و عْلَى الخَمْسَة ثْبَت المشْيَانْ**[8]

نلمح في هذا المقطع لمسة الحزن، والأسى جليّة، ولاسيما في قوله "نبكي بالدّمعة المجرية" أي الدّموع التي تنهمر بلا توقّف، ومردّ ذلك إلى اغترابه في وطنه نتيجة مطاردة العدو له، وملاحقته بالقنابل والترصّد له بالأسلاك الشّائكة، وقد عبّر عن اشتياقه الشّديد إلى أهله، وذويه "يا خوتي وحش مّاليّا".

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[2]– **ما دارت بيّا**: ما فعلته بي.

[3]– **عامِين**: عامَيْن.

[4]– **لمّيمة**: أمّي، **باش**: لكي.

[5]– أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس، المرجع السّابق، ص 38

[6]– **نبكي**: أبكي، **المجرية**: الجارية أو المنهمرة، **متغرّب**: مغترب.

[7]– **المينة**: مأخوذة من الكلمة الفرنسية mine و تعني اللغم، **و زيد**: بالإضافة إلى، **السّيلان**: الأسلاك الشّائكة والمكهربة، **يا خوتي**: يا إخوتي، **وحش**: اشتياق، **ماليّا**: أهلي.

[8]– **الخمسة**: السّاعة الخامسة، **ثبت المشيان**:أي تأكّد المسير ابتداءً من تلك السّاعة.

وفي مقطع آخر:

**"ابْكِي يَا عَينِي هَمَّالَة و مَا تْغَيَّرْ بِيـــكْ الزْمَانْ[1]**
**نحْكِيلَكْ مَا صَارِي بِيَّا أنَا نْرُوحْ و مَا تَرْجَعْ لِيَّامْ[2]**
**أَيْ كُلْهَا شَبَـــابِيَّـــة كُلْهَا كَمَّلْهَـــا السِّيـــلَانْ[3]**

يشير المغني إلى الخطين المكهربين الذَيْن وضعهما المستعمر ليعيق بهما حركة المجاهدين من وإلى تونس لجلب السّلاح، وغير خافٍ ما فعل هذان الخطّان في المجاهدين فكم من مجاهدٍ فُقِدَ هناك، وكم من مجاهدٍ ترك جزءًا من جسده هناك، و قد شُهرا باسم السّيلان في الثّقافة الشّعبية خلال الثّورة"[4]

ومن بين المجاهدين الذين تعرّضوا إلى الاضطهاد المجاهد **عتسامنية محمد العربي**[5] ، حيث تمّت خيانته من طرف الذين باعوا الوطن، فقد وشوا به عن طريق تقديم اسمه المعروف ب"حمّة" لدى المجاهدين، ليتم إدراجه في قائمة المطلوبين، وبينما هو في أرضه فوجئ بالعساكر يكبّلون يديه، ليتم أخذه بعد ذلك إلى السّيلون[6] بالمشروحة، و بقي هناك ثمانية أيام بلياليها دون أكلٍ أو شربٍ يجهل يجهل مصيره:[7]

---

[1]- **ابكي**: ابكِ، **همّالة**: أي أنّ دموعها تنهمر بلا توقّف ، **ما تغيّر بيك الزمان**: ما أحدثه فيك الزّمن من تغيّرات، أو انقلاب الحال.

[2]- **نحكيلك**: أحكي لك أو أروي، **ما صاري بينا**: ما حصل لنا، **نروح**: أمضي، ما ترجع ليّام، لا ترجع الأيام كما كانت في السّابق.

[3]- **أي**: هنا بمعنى إنّها، **كلْها**: كلُّهم، **شبابيّة**: شباب، **كمّلها السّيلان**: قضت عليهم الأسلاك المكهربة.

[4]- عبد العزيز بومهرة، الحريّة و التضحية في الأغنية الشعبية، مرجع سابق، ص 13

[5]- ولد محمد بن العربي عتسامنية الملقب ب"حمة" في 26 جوان 1920 بالدهوارة في منطقة العمارنية، انحدر من أسرة ميسورة الحال، و كان يعمل في الفلاحة و تربية الماشية، و يعتبر منزله مركزا للثوار، ذلك أنه كان بمثابة بوصلة يدل المجاهدين إلى الاتجاه المناسب، البعيد عن أعين المستعمر، كما كان يزودهم بالأكل و الشرب و صناعة الأحذية من جلود البقر المسماة بالقيعة، بالإضافة إلى ذلك فقد كان يخبئ السلاح في مناطق عديدة، منها سكاكة ومنزله، و من أعماله أيضا مساعدته للشهيد زيغود يوسف في حمله للسلاح فأعطاه بغلا لكي يخفف عنه الحمل.

[6]- **السيلون**: السجن

[7]- المجاهد عتسامنية محمد العربي، الدهوارة –السّاكن بحمام النبائل

**الرُّومِي وْجَـه الحلُّوفْ بَالجزْمَة يضْرَبْ فِيَّا**[1]
**وَخْذِي خَلِّيتْ وْلِيدَاتِي قَعْدُوا كَامَلْ هَمَّالْ**[2]

ثم يقول:[3]

**جِينَا عْلَى المشْرُوحَة خَالْيَة و مَقْرُوحَــة**[4]
**و أنَا نَتْلَجَّى بَالرُّوحْ عَلَى عَرْشِي و مَّالِيَّا**[5]

يروي هذا المجاهد كيف تمّت الوشاية به من طرف أحد العملاء، وما لحقه من عذاب، وقد كانت طامّته الكبرى أطفاله الذين خلفهم من ورائه ليذوقوا طعم التشرّد والهوان، وقد ذكر اسم المكان الذي اقْتيدَ إليه "المشروحة"، هذه المنطقة التي كانت تمثّل جحيمًا بالنّسبة للمجاهدين، وقد كان العدو يستعمل فيها شتّى أنواع التّعذيب.

في سنة 1956م شارك المجاهد **الطّيب تيكاكة**[6] مع **فطايمية السّعيد** المدعو "لاندوشين" في في وضع كمين في منطقة "سردون"، الذي تمثّل في محاولة الفتك بالقوافل العسكرية التي تمرّ من حمام النبائل إلى الدّهوارة مرورًا بوادي الشّحم، عند مرور هذه القوافل سقطت معظمها مما نشأ عن ذلك هجوم بين المجاهدين وقوّات الاحتلال ، ممّا أدّى إلى إصابة بعض المجاهدين الذين استطاعوا الفرار لكن **الطيب تيكاكة** أُصيب برصّاصة في قدمه فلم يستطع ذلك، وأُلقي عليه القبض ، فذاق كلّ أنواع العذاب ثم أُرسل إلى سجن بوشقّوف، ومنه نُقل إلى قسنطينة، ثم باتنة ثم إلى الجزائر العاصمة، حيث صدر ضدّه حكم تمثّل في: قضاء عشرين سنة سجنًا وخمس سنوات نفي، لكن عند مجيء الاستقلال أُخْليَ كافة المسجونين، وعلى رأسهم هذا المجاهد.[7]
تقول الأغنية الشّعبية في هذا الشّأن:[8]

---

[1]– **الرّومي**: لقب أطلقه الجزائريّون على الأجانب و المقصود به هنا المستعمر، **الحلّوف**: الخنزير، **يضرب فيّا**: يضربني.

[2]– **وخذي**: لفظ يقال للندبة أو التفجّع، **خلّيت**: تركت و المقصود هنا خلّفتُ من ورائي، **وليداتي**: أبنائي، **قعدوا كامل همّال**: أي أنّهم أصبحوا بعد غياب هذا الأب متشرّدين بلا مأوىً أو قوت.

[3] – المجاهد عتسامنية محمد العربي، الدهوارة –السّاكن بحمام النبائل

[4]– **جينا**: أتينا، **على**: هنا بمعنى إلى، **المشروحة**: اسم مكان، **مقروحة**: من القرح، أي أنّ ذلك المكان خالٍ كئيب وموحش.

[5]– **نتلجّى**: أروح و أجيء من فرط الألم، **عرشي**: أي عشيرتي، **ماليّا**: أهلي.

[6]– ولد المجاهد الطيب تيكاكة عام 1927م بالدّهوارة.

[7]– منقولاً عن المجاهد الطيب تيكاكة.

[8]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

**الله يَـــا سِـــي الطَّيِّـــبْ وَ حْدِيـــثْ العدَايَـــا يْشَيَّـبْ**[1]
**أنَـا قَـــاعَدْ فَالغَـــابَة نْذَيَّبْ حَصْحَـــاصْ مْطَيَّـــبْ رَجْلِيَّـا**[2]
**جِيـــنَا عْلَـــى بُـوشَقُّـــوفْ كَلَّمْتُـــو ضَـــــاقْ عْلِيَّـــا**[3]
**جِيـــنَا عْلَـــى وَادْ زْنَـــاتِي لميـــــمَة تَبْكِـــي وَ تهَـاتِي**[4]
**جِيـــنَا عْلَـــى زُوزْ كْـــدُيْ فْرَنْسَا تَضْرَبْ و تخَبَّرْ القُوَّاتْ تجِي**[5]
**وَ احْنَا مجَاهِدِين في سَبِيل الله**[6]
**كِـي جِيـــتْ وَ جَبِّيـــتْ لميـــــمَة تَبْكِـــي و تْـــطُلْ**[7]
**عْلَـــى الحيـــطْ قُلْتَلْهَـــا رَاحْ نجِيبُـــوا الحُرِيَّـــــة**[8]

تتحدّث هذه الأغنية عن **سي الطيب** الذي عُرف بالشّجاعة والبسالة وبانتصاراته العديدة على جيش العدو، و جل الأبيات تروي قصة الاضطهاد والمأساة التي تعرّض لها خلال مسيرته الثّورية، فيبتدئ الشّاعر ببيت استهلالي يعلن فيه عن صاحب هذه المأساة –سي الطيّب– ويُتبعه بعبارة تنمّ عن ما خلّفته الفجيعة في نفس صاحبها فيشيب رأسه من وطأتها ، وهذا على سبيل المجاز "حديث العدايا يشيّب"، ليسترسل بعدها في ذكر بعض مظاهر الاضطهاد، كقوله : "حصحاص مطيّب رجليّا" أي أنّ الحصى من شدّة حرارته حارقٌ للقدمين، ونستطيع القول إنّ هذه الصّورة كناية عن أنّ هذا المجاهد كان حافي القدمين نتيجة الفقر والحصار المشدّد، وفي عبارة "كلّمتو ضاق عليّا" ضمير مستتر يعود على العدو، وضاق بالمفهوم العامّي معناها صرخ، وفي ذلك إشارة إلى عدم تقبّله للحوار، واحتكامه في التعامل مع العنف، والشّدة.

---

[1]– **سي**: بمعنى سيّد، تُلفظ من باب التّقدير و الاحترام، **العدايا**: الأعداء.

[2]– **نذيّب**: أتوخّى الحذر أو أسير على حذر و انتباه دائم كي لا يراني العدو، **حصحاص**: الحصى، **مطيّب رجليّا**: بمعنى يُحرق قدمي بسبب حراراته النّاتجة عن أشعّة الشّمس المحرقة.

[3]– **جينا**: أتينا، و المقصود بعبارة جينا على : عند عبورنا بِ، **بو شقوف**: دائرة في ولاية قالمة، **كلّمتو**: كلّمته، **ضاق عليّا**: صرخ في وجهي.

[4]– **واد زناتي**: اسم مكان، **لمّيمة**: أمّي، **تهاتي**: تهذي و المقصود هنا تتأوّه.

[5]– **زوز**: اثنان، **كدي**: جمع كدية و هي المرتفع من الأرض، **تجي**: تَقدُم أو تأتي.

[6]– **احنا**: نحن.

[7]– **كي**: عندما، **جيت**: أتيت، **جبّيت**: أي عبرت الجبية، و هي بالعاميّة و تعني ربوة، **تطل**: تُلقي نظرة.

[8]– **الحيط**: الحائط أو الجدار، **قلتلها**: قلت لها، **راح نجيبو الحريّة**: سنأتي بالحريّة.

ونلاحظ في جل الأغاني الثّورية المعبّرة عن القهر والاضطهاد استحضار صورة الأم الباكية، وهذا ما تجلّى في هذا المقطع؛ "لميما تبكي وتطل" هي أمٌّ أضنتها متاعب الحياة، واختطفت فلذة كبدها من بين أيديها، لتبكي بحرقة وألم، تبكي في صمتٍ لأنّها تدرك أنّ دم ابنها لم يُسفك هدرًا، بل سُفِكَ لتُرفع راية الوطن عاليًا.

وتقول الأغنية في اضطهاد أحد الشّهداء الأبرار، و المذكور باسم **غديش**:[1]

**غَدِّيشْ رَاهُـو بَقْرَادُو جَاتُو الطيَّارَة ضَرْبَاتُو**[2]

**جَاتُو الكَبْتُـورَة هَزَّاتُو**[3]

**غَدِّيشْ رَاهُو محْقُورْ ضَرْبُـــوهْ بَالرَّانْفُـورْ**[4]

**جَاتُو كَامْيُونَة و كَبْتُورْ غَدِّيــشْ رَاهُو محْقُورْ**[5]

ساد في هذا المقطع معجم السّلاح: ( الطيّارة، الكبتورة، الرّانفور، كاميونة )، والغريب في الأمر أنّ كل هذه الوسائل الحربيّة على اختلافها وقوّتها كُرِّست جميعها لاضطهاد رجلٍ واحدٍ، وهذا يدلّ على الصّورة المرعبة التي ألقاها هذا الرّجل في نفوس الأعداء.

إنّ الشّهيد غديّش يُعد من أبرز أبطال منطقة الدّهوارة، حيث ترعرع في دوّار الحنانشة في حمام النبائل، وكان قائد مجموعة مكوّنة من خمسة عشر جنديًّا في دوّار لمشاعلة في جنان الطكيكي حيث كان ملجأهم الوحيد، وفي إحدى الأيّام وبينما هم في معقلهم فوجؤوا بالعدو يحاصرهم من كل الجّهات، فاضطروا للاشتباك مع العساكر من أجل تغيير المكان، ممّا دفع العدو إلى التّراجع إلى الخلف مستنجدين بالقوّات الفرنسية، فرموهم بقنبلة تسمى "لانصفدي" والتي واستشهد على إثرها بعضهم وجُرح بعضهم الآخر، ومن بينهم قائدهم غديش، فألقي القبض عليهم، وتمّ نقلهم إلى حمام النبائل، و التحقت به أمّه و هي تنادي و تقول:[6]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[2]– **غدّيش**: اسم الشّهيد، **راهو**: إنّه، **بقرادو**: قراد نقل حربي للكمة الفرنسية grade و تعني الرّتبة، و المقصود بها هنا رتبة عالية ، **جاتو**: أتته، **ضرباتو**: ضربته و المقصود قذفته بالقنابل.

[3]– **الكبتورة**: المروحيّة، **هزّاتو**: حملته.

[4]– **محقور**: مضطهَد، **الرّانفور**: التّعزيز، و و المقصود بها هنا بها القوّات الدّاعمة و المعزّزة للجنود الفرنسيين.

[5]– **كاميونة**: نقل حربي للكلمة الفرنسية camion و تعني شاحنة.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

**مِيــمْتُو تمشِـــي و تْـــطُلْ و تْقُولْ وَخْذِي عْلَى وَلْدِي حْصَلْ**[1]

وقد أعاد العدو قصفه من جديد في منطقة أم الحين على السّاعة الرّابعة مساءً أمام الأنظار ليكونوا في نظر المستعمر عبرة لمن يعتبر، وكان من بينهم والدته التي انفطر قلبها وهي ترى ابنها ينزف أمامها و قالت بكل فخر: "على الأقل مات على وطنه".

والجدير بالذّكر أنّ عمليّات الاضطهاد التي قام بها العدو الفرنسي لم تقتصر على المجاهدين فحسب، بل شملت كلّ المواطنين، حيث تجمع المصادر الحيّة على أنّ عدد القتلى بمنطقة قالمة كان كبيرًا جدًّا.

شمل القتل والتّعذيب سكّان المدينة، والقرى، والأرياف، "والمسافرين المارّين بقالمة في القطار، والرحّل الذين كانوا ومازالوا حتّى اليوم ينزلون في أواخر الرّبيع بالمنطقة حيث يبقون بها حتّى أواخر الصّيف"[2]، و سنحاول استعراض بعض الأمثلة و النّماذج

"يقول صالح عميور أنّه سأل مدير المدرسة الفلاحيّة بقالمة عن القتل العشوائي، والوحشي والجنوني، فرد: "بأنّه انتقام لما فعله الجزائريّون في سطيف"، وكان المستدمر ولد ميشال Fils Michel ، و هو من الميليشا يدخل النّادي بباب سكيكدة كلّ ساعة ليختار مجموعة من الموقوفين لقتلهم، ويقول عباد صالح بن أحمد: أنّه كان يقوم بدفنهم بوادي المعيز وجسر طريق ميلزمو Millesimo –بلخير- و يذكر منهم رابح الشّاوي، و عبد العزيز الشّاوي، وبوادي المعيز قتل أيضًا عمار بن جدو الحلاق، و ولد علي بن عيسى بالمحجر رميًا بالرصّاص، ويقول إنّ ذلك تمّ أمام عينه و أحرقت جلودهم، و قام بدفن حوالي ثلاثين بالمحجر، كما فعل ذلك مع قتلى وادي المعيز وطريق عين العربي[3]، و تُجمع الشّهادات أنّ معظم القتلى دُفنوا بكاف البمبة حيث أنّه في يوم واحد كانت خمس شاحنات تنقل الموقوفين لقتلهم هناك، وقد تفنّن العدو في القتل فكان يسأل الذين أحضروا إلى مكان القتل في سخرية: "من يريد منكم العودة إلى أهله؟"، وعندما يرفع البعض منهم أيديهم يخرجونهم من بين الأعداد الحاضرة فيقتلونهم في الحين وقد تواصل القتل حتّى صدر العفو العام"[4].

---

[1]– **ميمتو**: أمّه، **تطل**: تلقي نظرة، **وخذي**: تقال للندبة و الفجيعة، **حصل**: وقع في مأزق.

[2]– اسماعيل سامعي، انتفاضة 8 مايو 1945 بقالمة و مناطقها، المرجع السابق، ص 92

[3]– شهادة عباد صالح بن أحمد، نقلاً عن كتاب: اسماعيل سامعي، انتفاضة 8 مايو 1945 بقالمة ومناطقها، ص95

[4]– شهادة ابراهيم بهلول، نقلاً عن كتاب: اسماعيل سامعي، انتفاضة 8 مايو 1945 بقالمة و مناطقها، ص 95

و في بيتي Petit –منطقة بومهرة– قام العدو بتعذيب المواطنين بالآلات المختلفة، والقتل ثمّ الحرق بالنّار، و بقر بطون الحوامل، وتفنّنوا في القتل من الشّنق حتّى الرّمي بالرّصاص." بالإضافة إلى الأفران المحرقة التي شُغِّلت في نواحي مدينة قالمة، ومازال الشّعب يذكر بألم وحسرة، كيف كانت تبتلع منهم مئات الجثث الطاهرة البريئة ..."[1]

لقد أصبح التقتيل بطرق عشوائيّة، بل "أصبحت أرواح النّاس كأرواح أدنى الحشرات تقتل بلا رحمة، وصار القتل هواية صيد؛ وفعلا أطلق المجرمون القتلة عليه اسم: الصّيد العربي L'a Hasse A L'arabe أي مطاردة من هو عربي."[2]

تعرّضت أرياف، وقرى منطقة قالمة إلى قمع وحشي شاركت فيه جميع قوّات العدو من ميليشيا وبوليس، وجندرمة، وجيش، وقوّات الجو، والبر، والمستدمرين –الكولون–، ورجال الإدارة، وكلّ التيّارات السياسيّة والنّقابية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، كما قامت هذه القوّات بنهب ممتلكات المواطنين الجزائريّين.

هكذا نلاحظ القمع الوحشي الذي سُلِّط على الأبرياء، من سكّان الأرياف، والمناطق الجبليّة الصّعبة، الذين كانوا يشكّلون الأغلبية السّاحقة من سكان منطقة قالمة، وقد تواصل هذا القمع عدّة شهور، فالمستدمرون تملّكهم هاجس الخوف، وشعور الانتقام لسمعة فرنسا، ونفّذوا المجزرة البشعة، والقمع الوحشي، و"لذا يمكن القول إنّ المسيرة السّلمية نجحت لأنّها استطاعت أن تجمع كبير عددٍ من السكّان ووحّدت مشاعرهم، وشحنت عواطفهم وأثارتها، ووجّهتهم الوجهة الصّحيحة، كما نجحت، في الوقت نفسه، مؤقّتًا المؤامرة المدبّرة التي دفعت بالمواطنين إلى الانتفاضة وهيّجتهم فوجد العدو المبرّر للانتقام وإقامة مجزرة حقيقيّة كما سبق ذكره"[3]

إنّ الوحشيّة الاستعماريّة لم تتغيّر كثيرًا خلال قرن كامل من السّيطرة والاضطهاد والاستغلال، ولم تتغيّر كذلك سلوكات الضبّاط الفرنسيين، وتصرّفاتهم إزاء الجزائريين...[4]

[1]– كتاب الشّهيد: الثّورة التحريرية الكبرى 54–62، مديرية المجاهدين لولاية عنابة، المرجع السّابق، ص 64

[2]– ابن العقون عبد الرحمن، الكفاح القومي السّياسي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، 322/2

[3]– المرجع نفسه، ص 102

[4]– كتاب الشّهيد: الثّورة التّحريرية الكبرى 54–62، مديرية المجاهدين لولاية عنابة، ص 65

**خامسًا/ الحزن و البكاء:**

عانَى الشّعب الجزائري على إثر الاحتلال الفرنسي ظُلمًا وقتلاً وتشريدًا، ممّا جعل الإحساس بالحزن والألم كبيرًا ، فعبّر المغنُّون عمّا أصاب شعبهم من قهر، وما لحق بالمجاهدين من مطاردة وتقتيل. تقول الأغنية:[1]

**يَا حُزْني عْلَى صَالحْ الطّبِي كِـــي جَانَا لِيشَارْ مجَبِّي[2]**

**الهَرْبَة لِيكْ يَا سِيدِي رَبِّـي وَ انَا مُجَـــاهدْ عَـالدِّينْ[3]**

كما ذكرت الأغنية الشّعبية المتاعب والظّروف الصّعبة، خاصة الطبيعيّة التي يواجهونها في سبيل تحرير الوطن، وإعلاء كلمة الحق، والدّين، والتصدّي للعدو، فينتقلون من مكان إلى آخر، مُتعرّضين للأهوال والمخاطر، هذه المشاهد حزّت في قلب المغنّي الشّعبي فجعلته يعبّر عن ذلك بقوله: [4]

**كِي جَبِّينَا عْلَى بْنِي صَالحْ و قَلْبِي مَا هُوشْ فَـــارَحْ[5]**

**يَا خُوتي طَـــاحَتْ لَنْـوَاوْ أوْ قُولُولي وِينْ رَايَحْ نْبَاتْ[6]**

**وِيـــــنْ رَاهُمْ الشَّعْبِيَّـــاتْ قُولُولي وِينْ رَايَـــحْ نْبَاتْ[7]**

كما ذكرت الأغنية الشّعبية الثّورية أيضًا البكاء على المجاهدين الذين توجّهوا إلى الحدود التونسيّة لجلب السّلاح، وقد عبروا الأسلاك الشّائكة، والحقول الملغّمة بالقنابل، التي أقامها العدو الفرنسي لعزل الجزائر عن تونس، و عدم تزوّد جيش التّحرير الوطني بالسّلاح و المؤونة. تقول الأغنية: [8]

**نَبْكِي بَالدَّمْعَة الهَمَّـالَة مَتْحيَّرْ قَلْبِـــي كَزْدَانْ[9]**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة.

[2]– **كي**: حينما، **جانا**: أتانا، **ليشار**: نقل حربي لكلمة le char الفرنسية و تعني الدبّابة، **مجبّي**: عابر للرّبى.

[3]– **الهربة**: الهروب أو الفرار و المقصود هنا اللّجوء إلى الله، **عالدّين**: من أجل الدّين.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[5]– **جبّينا**: طللنا من أطلّ، **ما هوش فارح**: ليس سعيدًا.

[6]– **خوتي**: إخوتي، **طاحت**: سقطت و المقصود هنا هطلت، **لنواو**: الأمطار، **قولولي**: قولوا لي أو أخبروني، **وين**: أين، **رايح نبات**: سأقضي ليلتي.

[7]– **وين راهم**: أين هم، **الشّعبيّات**: الشّعب الذي احتضن الثّورة.

[8]– أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس، المرجع السّابق، ص 36

[9]– **نبكي**: أبكي، **الهمّالة**: المنهمرة دموعها دون توقّف، **كزدان**: حزين.

**نَحْكِيلْكُمْ مَا صَارِي بِينَا المينَة أوزِيد السِّيلَانْ**[1]

في المرحلة التي عمّت فيها الثورة (1956-1958م) كامل التراب الوطني، وكثرت فيها هجمات جيش التحرير الوطني، وازداد تخوف العدو، وعجزت قواته عن النيل منها عمدت إلى اتخاذ تدابير وحشية تعصبية آثمة منها:

- اتّباع سياسة الأرض المحروقة وخاصّةً المناطق المحرّمة التي شملت كل المناطق الجبلية، وإقامة الأسلاك الشائكة المكهربة بالحدود الشّرقية والغربية وزرعها بالألغام.
- استعمال الأسلحة المحرّمة دوليًّا منها قنابل النابالم.

وأمام هذا الوضع الصّعب تأثّر الشّعب الجزائري بهذا القمع وراح المغنون يبكون شعرًا، ويعبّرون عن حزنهم العميق، وغضبهم الشديد من هذا الاستعمار الظالم. يقول مُبدع الأغنية:[2]

**يَاحُزْنِي عْلَى جْبَلْ دْبَاغْ والصَّفْرَا تْفَرَّغْ بَالصَّاعْ**[3]
**أبْكِي يَا سِي الحوسِينْ والجنْدِي أمْ قَالُو ضَاعْ**[4]

و يقول:[5]

**يَاحُزْنِي عَالدْبَاغْ الزِّينْ يَاحُزْنِي عَالدْبَاغْ الزِّينْ**[6]
**جُنُــودَكْ دَارُوا لالِينْ مَلْمِينَة وْزَاد السِّيــلانْ**[7]

---

[1]- **نحكيلكم**: أسرد عليكم، **ما صاري بينا**: ما يحدث لنا، **المينة**: مأخوذة من كلمة mine الفرنسيّة و تعني اللغم، اللغم، **زيد**: بالإضافة إلى، **السّيلان**: الأسلاك المكهربة.

[2]- منقولة عن طريق السّماع: عمر بولبازين، 68 سنة، تاملوكة

[3]- **الصّفرا**: يقصد بها الطّائرة الصّفراء التي سبق ذكرها في الفصل الأوّل – مبحث سلاح العدو-، **تفرّغ**: المقصود هنا هنا أنّها ترمي القنابل، **الصّاع**: مِكْيالٌ تُكالُ به الحبوبُ ونحْوُها ، وقَدّره أَهل الحجازِ قديمًا بأَرْبَعَة أمداد ، أي بما يساوي عشرين ومِئَةٌ وأَلف درهم وقَدَّره أَهْل العراقِ قديمًا بثمانية أَرطال.

[4]- **أبكي**: فعل أمر ابكِ، **سي**: تُلفظ من باب التّقدير و الاحترام، و تعني سيّد، **أم قالوا**: إنّهم قالوا.

[5]- منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[6]- **الزّين**: الجميل و البَهي.

[7]- **داروا**: بمعنى استخدموا، **لالين**: مأخوذة من كلمة ligne الفرنسية أي الخط و المقصود هنا الصّف ، **ملمينة**: من من أثر اللغم، فالمينة مأخوذة من كلمة mine الفرنسيّة و تعني اللغم، **زاد**: بمعنى أيضًا، **السّيلان**: الأسلاك المكهربة.

كما يقول:[1]

**نَبْكِـــي بَالدَّمْعَة المجْـرِيَّة وحَالي مَتْغَيَّرْ كَزْدَانْ[2]**

**وَالله يَا مَـــاجَنْ مَصْمَاصَة و دَاوْنَا رَبْعَة ريّـــاسْ[3]**

**سِي بَلْخِير وسِي الحوَّاسْ حَزْنُوا عْلِيهْ كُل النّاسْ**

يتحدّث المقطع الأوّل عن الطّائرة الصّفراء أو الطّائرة المقنبلة التي كانت تفرغ القنابل على المجاهدين في جبل دباغ دون رحمة، فا لأخبار تقول إنّهم ضاعوا أو استشهدوا.

ويواصل المغني بكاءه في المقطع الثّاني على المجاهدين الذين فرّوا إلى الحدود التّونسية وعبروا (السّيلان)، و هي الأسلاك الشائكة التي أقامها العدو على الحدود الرابطة بين الجزائر وتونس.

أمّا المقطع الثّالث فيصف فيه المغني حزنه العميق لما آلت إليه الأوضاع.

فالمغنّي هو واحد من أفراد الشّعب يتألم لآلامه، ويفرح لأفراحه، و يرغب في الاطّلاع على كلّ كبيرةٍ، وصغيرةٍ تحدث في الثّورة التّحريرية ليعرف قادتها، وأعلامها، والأحداث التي تقع من معارك، وكمائن، واشتباكات.

وقد حفل معجم الأغنية الشعبيّة الثّورية بمفردات الحزن، والأسى النّاجمة عن قلوبٍ جريحةٍ، ونفوسٍ كسيرةٍ جرّاء ما أحدثه فيها المستعمر من قمعٍ وتنكيلٍ، من بينها: نبكي، حزني، الدّمعة، كزدان، تبكي ...، بالإضافة إلى مفردات القمع والاضطهاد، مثل: المينة، السّيلان، ليشار، الطيّارة الصّفرا، الهانة، عريان، كتّانة، الدّم ...

إنّ المتأمّل في هذه المقاطع المليئة بالأسى، يُدرك لا محالة ما اقترفه المستعمر الغاشم من ضرر وألم في قلوب أبناء الجزائر ، كما يُدرك مدى ثبات الثوّار وتضحياتهم الجِسام بالغالي والنّفيس من أجل نيل الحريّة ورفع راية الاستقلال، ليعمّ الأمن والسّلام في ربوع هذا الوطن الحرّ الأبي.

ولاشكّ في أنّ الأغنية الشعبيّة الثّورية، كان لها دورٌ فعّال في إيقاظ حماس المواطنين، ونقل ما يكابدونه من عناء وبؤس بسبب السّياسة القمعيّة والقوانين التعسّفية المفروضة من طرف العدو،

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

[2]- **نبكي**: أبكي، **المجريّة**: المنسكبة أو المنهمرة، **متغيّر**: يقصد به الانتقال من حالة الطمأنينة إلى حالة الفزع والحزن، **كزدان**: حزين.

[3]- **ماجن مصماصة**: اسم منطقة بجبل ماونة ، **داونا**: أخذونا.

فكانت بذلك صورةً حيَّةً، ووثيقة تأريخية تناقلت على الألسنة، وفرضت وجودها، لما تحمله من حقائق.

## الفصل الثّالث: صورة العدو في الأغنية الثّورية

أولاً/ المستعمِر الفرنسي

ثانيًا/ العملاء (الحركة و القوميّة)

ثالثًا/ سلاح العدو

من الواضح أنّ النّصوص الشّعرية الشّعبية في ولاية قالمة، وفي غيرها اهتمّت بفرنسا، وما يتّصل بها، ومن المؤكّد أيضًا أنّ تناول العدو في الأشعار كان قديمًا في القصيدة العربية، وإذا تمّ ذلك مع الفتوحات الإسلامية، وقبلها في بعض حروب القبائل العربيّة، فإنها في فترة الثّورة التّحريرية مُلزمة بالانطلاق، منذ البداية، مع الثّورة، والتّفاعل مع أحداثها لأنّ الثّورة في مفهومها الواسع تغيير شامل لكلّ ما هو غير صالح، ووضع الجزائر في ظل الاحتلال كان يتطلب هذا التّغيير.

وقد تناولت الأغاني الثّورية الشّعبية صورة العدو ، إذ نجده يتخلّل معظمها، وذلك لما فيه من وقع و تأثير سلبي قوي في النّفوس، و تجسّد هذا العدو في فرنسا والذين تعاونوا معها من الخونة، ممّن ارتضوا بيع ضمائرهم بأبخس الأثمان.

ولكي يجابه هذا العدو أبناء الثّورة الأبرار فإنّه اعتمد شتّى الوسائل، واستعمل مختلف الأسلحة الحربيّة الثّقيلة منها والخفيفة.

## أولاً/ المستعمِر الفرنسي:

من البديهي أنّ فرنسا هي العدو المباشر للجزائر، فقد قامت الثّورة لتردّ على ظلمها، وبطشها وغطرستها، وتبيّن لها أنّ الشّعب الجزائري لا يرضخ أبدًا للاستعمار، ولا يعيش أبدًا تحت الاستعباد.

كان مبدع الأغنية الشّعبية يصوّر دائمًا ردّ الفعل الشّعبي الذي أثارته الوقائع السّياسية الهامّة، منذ دخول الفرنسيّين الجزائر عام 1830م، ممّا أصبح شاهدًا على مأساة الشّعب الحقيقيّة، وآثر المقاومة العنيفة من طرف القوى الوطنية، وفي قلبها نداء الشّاعر إلى النّضال المسلّح[1].

ومعنى هذا أنّ تناول فرنسا في النُّصوص التي بين أيدينا، وبالكيفية التي سنراها ليست غريبة على مبدع الأغنية الشّعبية، أو على النّص الشّعبي مادامت روح المقاومة أصيلة في الإنسان الجزائري، ومادامت شروط المقاومة مهيّأة ومتوفّرة، بل نجد حوافز هذه المقاومة متعدّدة، وفي كلّ يوم تبدو في صورة أو في أخرى. فقد "أحس المعمرون الفرنسيون أنّ هذه الثورة تختلف عن الانتفاضات التي سبقتها والقوّات الفرنسية المحلية لم تستطع القضاء عليها وبدأت السلطات

[1]- فلادميرسكورو بوغاتوف، دور الشعر الملحون في الكفاح الشّعبي ، المجاهد الأسبوعي، عدد 670، 1993، ص27

الفرنسية ترسل النجدات العسكرية من فرنسا إلى الجزائر الواحدة تلوى الأخرى إلى أن أوشك عدد هذه القوّات الفرنسية المرسلة من فرنسا إلى الجزائر يساوي عدة المستوطنين الفرنسيين بالجزائر"[1].

رغم هذا العدد الكبير لقوّات العدو إلاّ أنّها لم تستطع إخماد الثّورة وإسكات الشّعب الجزائري عن المطالبة بحقّه الشّرعي في نيل حريّته واستعادة أرضه.

## 1- سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر:

اتّبع الاستعمار الفرنسي في الجزائر عدّة سياسات تجرّدت جميعها من روح الإنسانيّة، وقد عمد إلى تطبيقها على شعبٍ أعزلٍ، لا ذنب له إلا أنّه طالب بحقّه الشّرعي، والمتمثّل في نيل حريّته المسلوبة ، وقد تعدّدت أشكال هذه السّياسات، نذكر ما يأتي:

### أ- سياسة الوعود الكاذبة:

من أبرز السّياسات التي انتهجتها فرنسا لنيل رغباتها الدّنيئة؛ سياسة الوعود الكاذبة، والتّاريخ أفضل شاهد على ذلك، حيث أقحمت فرنسا الشّعب الجزائري في خوض حربٍ ضدّ ألمانيا لا شأن له بها، إلاّ لأنّها وعدته بمنحه الحريّة في حالة انتصارها، ولما تمّ لها ذلك، تنكّرت له، بل وعملت على إبادته، وتنكّرت لحقوقه وجحدت كل مطالبه، وكان غرضها واضحًا جليًّا، ألا وهو إخضاع هذا الشّعب لهيمنتها، وسيطرتها ليبقى تحت حكمها، وإمْرَتِها مكتوف الأيدي، وهاهو الشّاعر **محمد العيد آل خليفة** يستنهض الشّعب ويدعوه إلى رفض الذّل والهوان، فيقول:[2]

**فَقُمْ يَاابْنَ البِلَادِ اليَوْمَ وَانهضْ بِلا مَهلٍ فَقَدْ طَالَ القُعُودُ**

**وَقُلْ يَا ابْنَ البِــلَادِ لِكُلِّ لِصٍّ تجَلَّى الصُّبْحُ وَانْتَبَهَ الرُّقُودُ**

وتبيّن في الأغنية الشّعبية في منطقة قالمة مدى وعي السكّان بما كانت تُحيكه فرنسا من خدعٍ ووعودٍ مكذوبةٍ. تقول الأغنية في هذا الصّدد:[3]

**أَخُوتِي فْرَنْسَا تُطْلَبْ في الهُدْنَة عَنْبَلْهَــا ذَرِّي تْسَقَّدْنَــا**[4]

**لِينَــا يَــــاسَرْ وَ رْقُدْنَــا وكِــي فْطَنَّا نَدُّوا الحرِّبَـة**[5]

---

[1]- إبراهيم العسكري، لمحات عن مسيرة الثّورة التّحريرية الجزائرية و دور القاعدة الشرقية، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، 1992م، ص102

[2]- ديوان محمد العيد آل خليفة، مكتب الدّراسات، المرجع السابق، ص 277

[3]- منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[4]- **أخوتي**: إخوتي، **عنبلها**: في ظنّها، **ذرّي**: أطفال، **تسقدنا**: تقضي علينا.

[5]- **لينا**: لنا، **ياسر**: كثيرًا و المقصود هنا مدّة طويلة، **كي**: عندما، **ندّوا**: ننال أو نأخذ.

في هذين البيتين رد على العدو الغاشم الذي يطلب الهدنة ، بأنّ محاولته هذه المرّة لن تجدي نفعًا، لاسيما بعد تسلّح الشّعب بالوعي واليقظة من رُقَاده الذي طال أمده من أجل استرجاع حريّته وانتزاع حقوقه عن طريق الثّورة، فالاتفاق لم يعد يجدي مع العدو خاصّةً فيما يتعلّق بالحريّة التي هي أغلى ما يملكه الإنسان .

**ب– سياسة الأحكام الجّائرة:**

إنّ فرنسا بدل أن تُحكِّم مبدأ الحق، والعدل، والمساواة التي هي من شعارات ثورتها، وتعترف بالخطإ الذي ارتكبته في حقّ الجزائر، وتعتذر عن جرائمها كما فعلت دول عديدة مع مستعمراتها السّابقة، بدل ذلك راحت تمارس السّياسة أقلّ ما يقال عنها أنها عدوانية، ولا نرى فيها إلا وجهًا من وجوه الاستعمار البغيض، ومن بين تلك السّياسات تسليط الأحكام الجّائرة على المواطنين الجزائريّين، إذ كانوا يخضعون إلى محاكمات صوريّة "لا يسمح للمتّهم خلالها بالدّفاع عن نفسه، فالأحكام جاهزة و التّنفيذ فوري إنّها المؤامرة المخطّطة والمدبّرة مُسبقًا.

و لقد بلغت الأحكام قساوة كبيرة، والقتل، والتّعذيب أشدّ فضاعة؛ في قالمة ونواحيها، فهذا المبعوث العام **ايف شاتينو** Yves Chataigneae عاد من قالمة مرعوبًا لملاحظته قتل المئات دون محاكمة، وقد شارك في القتل والتّعذيب كل الأوربيّين خاصةً الذين قُتل فرد أو أفراد من عائلتهم من قِبَل الجزائريّين الثّائرين، فمنذ 1848م لم تعرف الجزائر حتّى في أحلك أيّام تاريخها ضغطًا أكثر عنفًا مثلما عرفته أيّام 08 مايو 1945م إزاء شعبٍ أعزل"[1]، ففرنسا لم تكن عدوًّا هيِّنًا، ولم تنظر إلى الجزائريّين إلاّ بمنظارٍ أسود، لذا لم تتوانَ لحظةً في إصدار شتّى أنواع العقوبات حتّى على النّساء، والشّيوخ، والأطفال لاسيما بعد انتفاضة الثامن ماي، "وقد استمرّت عمليّات الإعدام، والتّعذيب، وإصدار الأحكام الجزائيّة الجّائرة، وتنفيذها على ما يبدو حتّى سنة 1946م، حيث صرّح السّيد **هنري** Henri في جمعيّة المندوبين الماليّين المنعقدة يوم: 1946/12/15م، قائلا: "إنّه من غير المعقول أن يستمر تنفيذ حكم الإعدام على أشخاص بعد ثمانية عشرة شهرًا من الحوادث"[2]

[1]– اسماعيل سامعي، انتفاضة 8 مايو 1945 بقالمة و مناطقها، المرجع السّابق، ص 96-97

[2]– المرجع نفسه، ص: 98

**ج- سياسة الخداع و الغدر:**

تكمن الخدعة في الاحتيال والمراوغة ، بما يظهر حيناً من الوسائل ، ويخفى حيناً آخر ؛ لتقليل الخسائر ، وانتزاع الانتصار بغالب التّقدير والظن ، وهو ما يجعل أهداف العدو تكسد وتفسد، وقد شرّع الإسلام الخدعة في الحرب، لأنّ من مقاصد الشّريعة المحافظة على المجتمع المسلم ، فإذا كانت مصلحة المجتمع المسلم تتوقّف على استخدام الخدعة فالأوْلَى استخدامها؛ لأنّ الحرب يُباح فيها ما لا يُباح في غيرها[1]،حيث يُباح القتل ، فمن باب أَوْلَى أن يُباح الخداع والكذب على الأعداء ، وتؤكّد ذلك مقولة: "**الحرب خدعة**"[2]

ولاستخدام الخدعة في الحرب عدّةُ شروط ؛ حتّى لا تكون منفلتةً عن الأخلاق الإسلاميّة العامّة، وهى تستخدم في الحرب للضّرورة ، رحمةً من الله تعالى بعباده الضّعفاء ، والضّرورة إنما تقدّر بقدرها، وتكمن هذه الشّروط في الآتي:

أوّلاً : وجود حالة الحرب.

ثانيًا : أن تكون الخدعة لها فائدة مرجوّة.

ثالثًا : أن لا تتضمّن الخدعة تأمين العدو.

رابعًا :أن لا تؤدّي الخدعة إلى ارتكاب محظور[3].

هذا ما جاء في اعتماد الخدع في الحرب، لكن هل العدو الفرنسي مخوّل للقيام بها في إطارها المشروع؟ الإجابة طبعًا لا، ذلك أنّ تواجده في الجزائر أصلاً يُعدُّ أمرًا غير مشروع، وإن كانت الخدعة للثوّار مطيّة الانتصار، فإنّها بالنّسبة للعدو نوع من أنواع المكر والخبث، فالأوْلَى له أن يباشر الثوّار و يواجههم في ساحة الوغى، لا أن يختبئ خلف الجدران، ينتظر المباغتة بكل جُبن.

[1]- محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق ، توزيع دار ابن حزم، 1417هـ-1996م، 1293/2

[2]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتّراث، 1407هـ-1986م، 183/06

[3]- خالد محمد عطوة زعرب، الخداع في الحرب، بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفقه المقارن،الجامعة الإسلامية ، عمادة الدراسات العليا، كلية الشريعة، قسم الفقه المقارن، غزة ، 1426هـ-2005م، ص 39

تقول الأغنية:[1]

**يَا الجنْدِي خُويَا مَا تْعَدِّيشْ عْلِيَّـــا تْشُوفَكْ فْرَانْسَا وَ مْعَـــاهَا القُومِيَّا**[2]

**يَا الجنْدِي خُويَا مَا تْعَدِّيشْ عَـــالغَرْقَة تْشُوفَكْ فْرَانْسَا تحْكمَـــكْ بَالغَدْرَة**[3]

**يَا الجنْدِي خُويَا مَا تْعَدِّيشْ عَالهَنْدِي تْشُوفَكْ فْرَانْسَا تضْرِبَكْ بَالبْلَانْدِي**[4]

**يَا الجنْدِي خُويَا مَا تْعَدِّيشْ عَـــالوَادْ تْشُوفَكْ فْرَانْسَا وَ القُومِـــي قَوَّادْ**[5]

**يَا الجنْدِي خُويَا مَا تْعَدِّيشْ عَـــالدَّارْ تْشُوفَكْ فْرَانْسَا وَ الرُّومِي غَـــدَّارْ**[6]

تردّدت في هذه المقطوعة صيغة النّداء الموجّهة إلى الجندي في بداية كل بيت بغرض لفت الانتباه، وهو نداءٌ مصحوبٌ بصيغة نهي غرضها التّحذير؛ تحذير الجندي من عبور عدّة أماكن لأنّ العدو الفرنسي يترصّد له فيها، وقد أعدّ العدّة لذلك (البلاندي).

وقد نُعتت فرنسا بالغدر مرّتين؛ في البيت الثّاني (تحكمك بالغدرة) وفي البيت الأخير (والرّومي غدّار)، وذلك لتأكيد صفة الغدر فيها، وهذا ما أُشير إليه عند الحديث عن وعودها الكاذبة، وتربّصها للفتك بالمجاهدين غيلةً، فالخداع والغدر من أبرز صفات أي عدو، إذ أنّ حرصه شديدٌ على مباغتة خصمه، والإيقاع به على حين غفلة.

وإذا تأمّلنا تلك الأماكن المحذّر عبورها، فإنّنا نلاحظ أنّها أماكن صعبة المسلك كالأوحال، والتّين الشّوكي، والوادي (الغرقة والهندي والواد)، وهي أماكن عبور المجاهدين عادةً، لأنّها مخفية عن الأعين، ويصعب على العدو عبورها، والتّحذير منها إشارة إلى أنّ فرنسا قد تفطّنت إليها فاتّخذتها مصيدة للثوّار، والسّبب الرئيسي في ذلك يعود إلى وشاية العملاء ( والقومي قوّاد)، أمّا في البيت الأوّل فقد حذّر هذا المواطنُ الجنديَّ من المرور به، و المرور بداره في البيت الأخير، لنستنتج من هذا أنّ المجاهدين كانوا دائمي التّردد على بعض ديار المواطنين للتّزود بالأكل، والشّرب، ونَيْل قسطٍ من الرّاحة.

---

[1]–منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة ، 63 سنة، قالمة.

[2]– **خويا**: أخي، **ما تعدّيش**: لا تعرّج أو لا تمر، **عليّا**: بي، **تشوفك**: تراك، **القوميّا**: الخونة.

[3]– **الغرقة**: الوحل، **تحكمك بالغدرة**: تقبض عليك غيلةً.

[4]– **الهندي**: التّين الشّوكي، **البلاندي**: وسيلة نقل مصفّحة حاملة لعساكر العدو.

[5]– **الواد**: الوادي، **القومي**: الخائن، **قوّاد**: واشٍ.

[6]– **الرّومي**: لقب أطلقه الجزائريّون على كل أجنبي دخيل

وفي مقاطع شبيهة يبدو أنّها مأخوذة من القصيدة نفسها: [1]

**يَا الجنْدِي خُويَا مَا تَمْشِيشْ وَحْدَكْ**[2]

**فْرَانْسَا الغَدَّارَة وَ السْلَاحْ تحْتَكْ**[3]

في هذين البيتين دعوة الجنود لأخذ احتياطاتهم اللازمة، والحذر من العدو الفرنسي المخادع.

وفي سياق تحذير الجنود من غدر العدو أيضًا:[4]

**خُويَا الحوَّاتِي مَا تجِينِيشْ عْلَى الوَادْ**[5]

**فْرَنْسَا الغَدَّارَة تخْدَمْ بَالقُوَّادْ**[6]

**خُويَا الحوَّاتِي مَا تجِينِيشْ في النْهَارْ**

**فْرَنْسَا الغَدَّارَة تضْرَبَكْ بَالرَّفَالْ**[7]

وُجِّهَ التّحذير هنا إلى الشّهيد المعروف بلقب "الحوّاتي"، وقد خُصَّ التّحذير بمكان و زمان هما: الوادي والنّهار، فالأوّل لكونه مسلك المجاهدين عادةً، وقد بات معروفًا لدى العدو بسبب وشاية الخونة، وهذا ما عبّر عنه البيت الثّاني، أمّا النّهار فلأنّ الرّؤية فيه واضحة وجليّة، واللّيل أدعى للقيام بالمهام السريّة لما فيه من هدوء وسِتر.

وما قيل أيضًا في غدر فرنسا: [8]

**فْرَانْسَا يَا الغَدَّارَة تَغْدَرْ فِينَا بَالطِّيَارَة**[9]

**احْنَايَا عْرَبْ مَانَاشْ نْصَارَى نْوَلِّيوْ مَالنَّاسْ الفَتَّانِينْ**[10]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة

[2]– **ما تمشيش وحدك**: لا تمشي لوحدك.

[3]– **السلاح تحتك**: السّلاح بحوزتك.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[5]– **الحوّاتي**: اسم شهيد، سيرد ذكره في الفصل الرّابع، **ما تجينيش**: لا تأتيني.

[6]– **تخدم بالقوّاد**: تستخدم الخونة.

[7]– **الرّافال**: نقل حرفي لكلمة rafale الفرنسية و تعني : سلاح يصدِر مجموعة من الطّلقات المتتالية.

[8]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي

[9]– **تغدر فينا بالطيّارة**: تغدرنا بالطّائرة.

[10]– **احنايا**: نحن، **ماناش**: لسنا، **نوليو**: نصبح، **مالنّاس**: من النّاس.

وما قيل أيضًا في هذا الصّدد:[1]

**يَـــاوْ شُوفْ الغَدَّارَة تَغْدَرْ فِينَـــا بَالطِّيَارَة**
**نُطْلَبْ رَبِّـــي لمِلِيحْ وَدْرَابُو فْرَنْسَا يْطِيحْ[2]**
**دَمْ لمالْطَـــا يْسِيحْ نَخْلَفْ ثَـارْ وَالْدِيَّا[3]**

تنمّ هذه الأغنية عن ألمٍ عميق خلّفه العدو الفرنسي في نفسية الجزائريّين، عدوٌّ سِمَته الأولى الغدر، لذا فالدّعوة إلى الله قائمة، لتنهزم فرنسا شرّ هزيمة، وينال كلّ مظلومٍ حقّه ويثأر لذويه من الضّحايا الأبرياء.

والمقطع الآتي يُبرز مدى تشجيع فرنسا المستعمِرة للغدر، ولاسيما من طرف أبناء الوطن الواحد[4]:

**يَا لخـــايْنَة تحَبْ الغَدَّارْ اللِّي يجِيبْ البِيعَة لَلْدَّارْ[5]**
**يَا خُيَّـــا خُـوتْ الثُّوَارْ وَ الجزَائِرْ عَـــادَتْ حَيَّة**
**يَالخايْنَة رَاحَـــتْ للرُّوسْ قَالَتْلُو يَا وَاحَدْ الرْخِيسْ**
**بَنْ بَلَّة عَنْدِي محبُوسْ وَ الجزَائِرْ عَـــادَتْ حَيَّة**

## 2- نعوت فرنسا في الأغنية الشّعبية:

حظيت فرنسا باهتمام كبير في الأغنية الشّعبية الثّورية، لما لها من أثرٍ بالغٍ في محنة الشّعب الجزائري، فصوّرها الشّاعر في لوحات متعدّدة عكست موقفه منها من جهةٍ، وكشفت عن مستوى هذا التّصوير من جهةٍ أخرى، ومن بين النّعوت التي أطلقتها الأغاني الشّعبية على العدو الفرنسي: "الرّومي، الخبيثة، شلاغم الحلوف، المهرية، الكُفرة، الحكومة الاستعمارية"[6].

تقول الأغنية:[7]

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[2]- **نطلب**: أطلب، **المليح**: صفة مستحسنة، **درابو**: نقل حرفي للكلمة الفرنسية drapeau و تعني العَلَم ، **يطيح**: **يطيح**: يسقط.

[3]- **لمالطا**: جنود من مالطا تعاونوا فرنسا ضدّ الجزائر ، **يسيح**: يسفك و يسيل، **نخلف ثار**: آخذ بثأر، **والديا**: والدَي.

[4]- منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة ، 63 سنة، قالمة

[5]- **الخاينة**: الخائنة و يقصد بها فرنسا، **اللي**: الذي، **يجيب البيعة**: يأتي بالوشاية.

[6]- عبد العزيز بومهرة، الحريّة و التضحية في الأغنية الشعبية، المرجع السابق، ص 13-14

[7]- منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

**طَــالُوا لِيَّــامْ عْلِيَّا الخبِيثَة وْمَادَارَتْ فِيَّا**[1]

وفي مقطعٍ آخر:[2]

**يَــا العَسْكَــرْ يَا لهوِيرْ يَا اللِّي وَلَّى عْلَى السِّفِيلْ**[3]

**أُخْرجُوا لجِيشْ التَّحْرِيرْ بَاشْ تَلْقَاوْ المجَاهِدِينْ**[4]

وكذلك:[5]

**يَــا الخــــاوَة لــحرَارْ رَاكُــمْ تْشُوفُوا فَالدَّمَارْ**[6]

**قْمِيــرْ خرْجَتْ لَلْدُوَّارْ ادَّاتْ أَنْسَا وَاوْلَادْ صْغَارْ**[7]

قد نعتقد أنّنا أمام غلوٍّ في التّعبير، أو مبالغة، ولكنّ الذي عاش مثل هذه الصّور عن قرب لا يراوده أي شكٍّ في صدق مُبدع الأغنية وواقعيته في هذا التّعبير.

كما نسبت الأغنية الثّورية للعساكر الفرنسيّين أبشع الصّفات، لتجرّدهم من القيم الإنسانية، فوصفتهم على سبيل المثال بالحيوانات:[8]

**نهَارْ حْكَمْنَــــا طْرِيقْ بُوشَقُّوفْ لميــــمَة تخَمَّمْ وَ تْشُوفْ**[9]

**تْلَاقَانَا القَاوْرِي خْشَمْ الحلُّوفْ في يَدُّو الشَفْــرَة المرْحِيَّة**[10]

---

[1]– **طالوا**: طالت، **ليّام**: الأيّام، **عليّا**: عَلَي، **الخبيثة**: صفة أطلقت على فرنسا، **و ما دارت فيّا**: و ما عملته بي.

[2]– منقولة عن طريق السّماع:عمار مصمودي، 57 سنة، هيليوبوليس.

[3]– **لهوير**: البغل و هو ابن الحمار و الفرس، و قد ذُكر من باب الذم و التّحقير، **يا اللي**: يا أيّها الذي، **ولّى**: بمعنى تهجّم، **السّفيل**: مأخوذة من الكلمة الفرنسية

[4]– **أخرجو لجيش التحرير**: أخرجوا إلى جيش التحرير، المغني يدعو العساكر الفرنيين إلى مواجهة الثوّار، **باش**: لكي، **تلقاو**: تلقوا

[5]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[6]–**الخاوة**: الإخوة، يتكلم عن الشعب الجزائري، **لحرار**: الأحرار، **راكم**: إنّكم، **تشوفوا**: ترون، **الدمّار**: الخراب الذي الذي أحدثه العدو الفرنسي.

[7]–**قمير**: الغول أو الوحش، و كان هذا الاسم شائعًا في القديم بين الأوساط الشعبيّة بالمنطقة ، **الدوّار**: الرّيف أو البادية، **ادّات**: أخذت و المقصود هنا اعتقلت، **أنسا**: نساء.

[8]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة، 77 سنة، قالمة.

[9]– **نهار**: يقصد به يوم، **حكمنا**: المقصود هنا اتّخذنا، **لمّيمة**: أمّي، **تخمّم و تشوف**: متحيّرة تفكّر

[10]– **تلاقانا**: التقى بنا، **القاوري**: لقب أطلقه الجزائريّون على كل أجنبي، **خشم**: أنف، **الحلّوف**: الخنزير، **يدّو**: يده، **الشّفرة**: السّاطور، **المرحية**: المصقولة.

فالمغني أطلق على فرنسا لفظة "خشم الحلوف" أي أنف الخنزير، من باب التّحقير والإذلال، لاسيما والخنزير معروف بقذارته وخبث مأكله.

كما نُعِتت فرنسا بكونها أسوء الأجناس على سطح الأرض:[1]

**فْرَانْسَـــا عُـــرَّةْ لجْنَـــاسْ و كِي حَكْمَتْ خَمْسَة رِيَّاسْ**[2]

**قَالَتْ ضُرْك الحرْب خْلَاصْ و دْزَايَـــرْ مَنْ بَكْرِي لِيَّـــا**[3]

و ممّا جاء في وصف تصرّفات فرنسا اللّا عقلانية:[4]

**الي حَـــابْ يَـقْدِي نُورِي يْشَـــارَكْنَا فَـــالوَطَنِيَّـــة**[5]

**دَافَعْ عْلَى الدْرَابُو المنْصُورْ تَـــاعْ الدَّوْلَة الاسْلَامِيَّة**[6]

**فْرَنْسَـــا جَنَّـــتْ وَ عْمَـــاتْ و عَادَتْ تْلَبَّسْ فَالْبَنَاتْ**[7]

**تْـــطَّلَعْ فِيـــهَم قْرِيـــطَاتْ وَ تْقُـــولْ الجزَائِـــرْ لِيَّا**[8]

بعد أن وجّه مبدع الأغنية دعوة إلى المواطنين للمشاركة في الثّورة، والدّفاع عن الهويّة الوطنيّة، نعت فرنسا بالجنون وفقدان البصيرة، لأنّها تقوم بأعمال لا يقبلها العقل ولا المنطق؛ تحاول عبثًا إطفاء نار الجهاد، فتعمد إلى شتّى السُّبُل، منها تجنيد الفتيات، و ما يدعو إلى السّخرية أكثر زعمها أنّ الجزائر ملكها، و هو زعمٌ كاذبٌ لا أساس له منّ الصّحة.

وتقول الأغنية:[9]

**شُـــوفُو شُـــوفُو يَا لَعْرَبْ فْرَانْسَا حْمَاتْ بْلَادْ الرَّبْ**[10]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي

[2]– **عرّة لجناس**: جنس منحط حقير، **كي**: عندما، **حكمت**: المقصود هنا قبضت، **ريّاس**: رؤساء.

[3]– **ضرك**: الآن، **خلاص**: انتهى أمرها، **دزاير**: تحريف للفظة الجزائر، **من بكري**: منذ القِدم، **ليّا**: لي.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[5]– **الّي**: الذي و هنا بمعنى مَن (اسم موصول)، **حاب**: يحب أو يريد، **يقدي**: يوقد أو يضيئ، **فالوطنية**: في الوطنيّة.

[6]– **الدرابو**: العلم، **تاع**: تستخدم للملكية بمعنى لِ.

[7]– **عادت**: بمعنى أصبحت.

[8]– **تطلّع فيهم**: بمعنى تُجنِّدهن، **قريطات**: المقصود هنا صغيرات السّن، و مفردها بالعاميّة قرطة أي صغيرة الحجم، **ليّا**: **ليّا**: لي.

[9]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[10]– **شوفوا**: انظروا، **حمات بلاد الرّب**: بمعنى منعت غيرها من استعمالها.

**مَـــا تَعْطِينَا عُودْ حْطَبْ حَتَّـــى تَعْمَلْ فِيـــنَا مْزِيَّة**[1]

يستشهد الشّاعر بأبناء العرب على ما ترتكبه فرنسا من جرائم في حقّ أبناء الجزائر، ويضرب لهم مثلاً على ذلك، مفاده أنّ فرنسا تحرم المواطنين حتّى من أبسط الأمور (عود حطب)، وإن منحته فهو معروفٌ تقدّمه لهم، و تمنّ به عليهم.

تقول الأغنية أيضًا:[2]

**إِي لَـا لَـا لَـا إِي لَـا لَـا لَـا** [3]

**إِي لَـا لَـا لَـا و يحْيَا بَنْ بَلَّة**[4]

**دْرَابُونَـا كِـي جَبَّى جَبَّى عْلَى بُوحُبَّ**[5]

**لَفْرَنْسِيسْ في غُلْبَة مَـــاتُو بَـــالعَلَّة**[6]

**إِي لَـا لَـا لَـا إِي لَـا لَـا لَـا**

**إِي لَـا لَـا لَـا و يحيَـا بَنْ بَلَّة**

**دْرَابُـــونَا هَـــزُّوهْ فَـالبُوطُو حَطُّوهْ**[7]

**لَفْرَنْسِيسْ شَـــافُوهْ مَـــاتُـو بَـــالعَلَّة**[8]

تصوّر الأغنية مدى حسرة العدو، وغَيْضه الشّديد عندما استقلّت الجزائر، ورُفع علمها عاليًا، وكوّنت جمهورية مستقلّة برئاسة الرّئيس الرّاحل أحمد بن بلّة.

وممّا قيل في أطماع فرنسا ورغبتها في الاستيلاء على ممتلكات الجزائريين وثرواتهم: [9]

**يَاوْ قُلْنَا رُوحِي قِيلِينَا يَـا فْرَانْسَا رُوحِي قِيلِينَا**[10]

---

[1]– **مزيّة:** معروف.

[2]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[3]– **إِي لَا لَا لَا:** لازمة يردّدها المغنّي من باب الإيقاع الموسيقي و تحقيق التّناغم بين الأبيات.

[4]– **بن بلة:** هو أحمد بن بلّة رئيس الجزائر السّابق.

[5]– **درابونا:** علمنا، **كي:** عندما، **جبّى:** بمعنى أطلّ، طلع، **بو حبَّ:** اسم مكان.

[6]– **لفرنسيس:** الفرنسيّون ، **غلبة:** مشقّة و عناء ، **بالعلّة:** الدّاء.

[7]– **هزّوه:** رفعوه، **البوطو:** العمود، **حطّوه:** وضعوه

[8]– **شافوه:** رأوه، **العَلّة:** العِلّة أو الدّاء.

[9]– منقولة عن طريق السّماع: وسيلة بوقرن، 57 سنة، جبالة لخميسي.

[10]– **ياو: ، روحي:** اذهبي، **قيلينا:** دعينا و شأننا.

**يَاوْدَّقْلَة وَ الشِّيـنَة مَا بْقَاتْلَكْ فِيهُمْ طَمْعِيَّة**[1]

فالشّعب الجزائري سئم من طمع العدو الفرنسي اللامتناهي، و نهبها لثرواته بغير وجه حق.

ومردّ هذه الأوصاف إلى سلوك فرنسا في الجزائر وإلى من يتعامل معها من العملاء ويؤازرها، فالهجاء الذي وجّهه الشّاعر الشّعبي لفرنسا لم يكن في الحقيقة اعتباطًا، بل وجدها تسلك سبيل من تميّز بالأوصاف التي ذكرناها.

## 3- نماذج من العدو الفرنسي:

إنّ الشّخصيات السياسيّة التي ساهمت في قمع الثّورة كثيرة، ولا يسعنا إلا ذكر بعضها ممّن تردّدت أسماؤهم في الأغنية الشّعبية بمنطقة قالمة، وعلى رأسهم الجنيرال ديغول،"هكذا كان سكّان منطقة البحث ينطقون اسم الجنرال "شارل ديغول" واسمه بالفرنسيّة charles de gaulle حيث كانوا ينطقون اللقب فقط.

تولّى الإشراف على المقاومة الفرنسية ضد ألمانيا سنة 1940م، كما تولّى مناصب أخرى منها محافظ مؤقت للجزائر ثم باريس بين (1944-1946)، ثم تولّى رئاسة الجمهورية الفرنسية سنة 1959م، وانتُخب للمرة الثانية سنة 1965م.

هذا الرّجل معروف بعدائه للجزائريين، وقد ارتبط اسمه بمرادفات الاستعمار، والظلم، والتسلّط تبعًا للسّياسة الجهنميّة التي مارسها ضد الجزائر. وهو صاحب مشروع قسنطينة[2] وسلم الشّجعان سنة 1958م.

وقد"كانت فرنسا تتظاهر باهتمامها بالجزائر والعمل على رقيها وتحضرها وإخراجها من التخلف، ومرة أخرى تميل إلى المراوغة والإغراء بسبب تماطلها في إعطاء حق الجزائريين، لكن الوعي الوطني حال دون تحقيق أهدافها الاستعمارية، وقد عبّر الشّعب الجزائري برفضه للسّياسة الدّيغولية المعادية له، في المواعيد الانتخابية"[3]، وكان العدوّ الفرنسي يسوق السّكان إلى صناديق الانتخاب

---

[1]- **الدقلة**: نوع من التّمور، **الشينة**: البرتقال، ما **بقاتلك فيهم**: لم يعد لك فيهما (التمر و البرتقال)، **طمعيّة**: طمع.

[2]- **مشروع قسنطينة**: خطاب ألقاه ديغول بتاريخ 1958/10/03 بمدينة قسنطينة، لإغراء الجزائريين حيث وعدهم بإصلاحات شاملة منها: توزيع المساكن لتحسين ظروف المعيشة، و توفير مناصب الشغل، و رفع أجور الجزائريين إلى مستوى أجور العمال في فرنسا، و فتح المدارس، ...إلخ.

[3]- شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثّورية بين فترتي الثورة و الاستقلال (1954-1962) منطقة وادي الشولي – نموذجًا-جمع ودراسة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كليّة الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: الثقافة الشعبية، تلمسان، 2004-2005م، ص 272

للتّصويت على مشاريعه، ويقابل رفضهم بالسّجن والتّعذيب، كما كانت الجماهير الشّعبية على علم بأنّ الانتخاب ليس له جدوى، ولا منفعة بالنّسبة للثّورة التي فجّرها كل أفراد الشّعب.
ولعلّ التّركيز على شخصية "ديغول" على اعتبار أنّها قضت أطول فترة في الحكم أثناء الثّورة الجزائرية، كما شهدت مفاوضات "إيفيان"، و استقلال الجزائر.

وديغول شخصية فرنسية ورد ذكرها في الأغنية الشّعبية بولاية قالمة إبان الثّورة التّحريرية وأخذت نصيبها من الاستهزاء والتّحقير والسّخرية، وقد تعرّض للشتم بسبب سياسته التي أضرّت بالشّعب الجزائري، حيث" تُشير المصادر الفرنسية إلى أن الأشهر السّابقة لشهر ماي 1945م ، شهدت استمرار اضطهاد الجزائريين، عن طريق الإدارة الفيشية[1]، التي عيّنها النظام الديغولي بارتجال لإدارة شؤون الجزائر[2]، و من أبرز الأمثلة على مواصلة الاضطهاد، ما كان يقوم به المحافظ أشياري المدعم من ديغول نفسه الذي حاول قمع وبطش الجزائريين في مدينة قالمة، ومنعهم من التظاهر منعًا باتًّا"[3].

لم تكن الحركة الدّيغولية راضية عمّا يجري في الجزائر، خاصّةً ما تعلقّ بتطور مطالب الجزائريين، والمرحلة المتقدّمة للوعي والنّضج الذي بلغته الحركة الوطنية، رغم ما تعرّضت له من قمع، وتنكيل، وتضييق ومحاصرة وإذا كان ديغول وأنصاره، قد حاولوا في المرحلة الأولى– المرحلة السريّة- دغدغة عواطف الجزائريين، والتّذكير بأنهم فرنسيين، قصد استمالتهم، وجعلهم ورقة إضافية يقاومون بها سلطة الماريشال بيتان، إلا أنّ هذه اللغة شهدت تغيّرًا عميقًا، خاصّةً بعد تولّي الديغولية مقاليد

[1]- **الإدارة الفيشيّة**: الإدارة العسكرية في فرنسا بالألمانية (Militärverwaltung in Frankreich)وتسمى عند الفرنسيين الاحتلال الألماني ، هي أحداث تاريخية حدثت عام 1942 بعد دخول الجيش الألماني لفرنسا ، وتكوين حكومة فرنسية حليفة لألمانيا النازية في فترة الحرب العالمية الثانية ، وأشهر سياسات الحكومة الألمانية العسكرية هي مطاردة اليهود ونقلهم إلى معسكرات الإعتقال في بولندا وغيرها ، أنهى التواجد العسكري الألمانية سنة 1944م بعد دخول الجيش الأمريكي لفرنسا ، وأعلن شارل ديغول حل حكومة فرنسا الفيشية.
الموقع: http://www.wikiwand.com

[2]- غولدزيغر(آني راي) ، جذور حرب الجزائر1940-1945، ترجمة: وردة لبنان، دار القصبة، الجزائر، 2005م، ص 332

2- المرجع نفسه، ص 351

السّلطة، التي كانت الجزائر مقرًّا لها، واعتمد ديغول على ثلاث قواعد متكاملة لمواجهة المطالب الجزائرية هي :أولًا الوعود، ثانيًا الوعيد، ثالثا البحث عن بديل للحركة الوطنية[1].

وقد صوّرت الأغنية الشّعبية النّماذج الفرنسيّة بكل تفاصيلها وتجلّى في الأغنية مدى الكره، والمقت، والعداوة لفرنسا، وثقة الجزائريّين بأنّ الجزائر لهم، وليست لسواهم وأنّ مقولة ديغول بأنّ الجزائر فرنسية اعتقاد خاطئ ولا أساس له من الصّحة، وأنّ هذا الأمر لن يصير أبدًا.

تقول الأغنية:[2]

**دِيغُولْ كِي جَانَا محْسَاسْ دَوْخَنَّا بَعْض مَن النَّاسْ[3]**

**جَـــابَنَّا مْعَاهْ لَاصَـــاصْ و لبَّسْ غِيـــرْ القُومِيَّـة[4]**

نُعت ديغول بالثرثرة لكثرة كلامه دون فائدة، فكل ما يتلفّظ به بعيدٌ كلّ البُعد عن آمال الجزائريين وتطلّعاتهم، فما من مستمعٍ له إلّا أتباعه من العملاء. و في موضع شبيه:[5]

**دِيغُولْ كِي جَانَا لَلْمَحْسَاسَة وْ دَا قَطْعَـة مَن النَّـــاس[6]**

**لَبَّسْهَـا كُلْهَـا رَجْعِيَّـــة[7]**

وتقول الأغنية في المعنى نفسه:[8]

**خُويَا أَوْ عَامْ الهُولْ وَ الحاذَقْ وَلَّا مَهْبُولْ[9]**

**جَانَا مِسْتَرْ دِيغُولْ و لَبَّسْ غِيرْ القُومِيَّة[10]**

---

[1]– لزهر بديدة، الحركة الديغولية في الجزائر (1940-1945) من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 1430-1431 هـ- 2009-2010م، ص 232

[2]– منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس ، 63 سنة، هيليوبوليس.

[3]– **محساس:** كثير الثرثرة و اللغو.

[4]– **جابنّا:** أحضر لنا، **معاه:** معه، **لبّس:** بمعنى جنّد، **القوميّة:** الخونة.

[5]– منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس ، 63 سنة، هيليوبوليس.

[6]– **المحساسة:** الثرثرة، **دا:** أخذ.

[7]– **لبّسها:** بمعنى جنّدها، **رجعية:** قومية أو خونة

[8]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[9]– **أو:** المقصود بها إنّه، **ولاّ:** رجع.

[10]– **مستر:** ترجمة حرفية للكلمة الانجليزية mister و تعني سيّد.

وفي مقطعٍ آخر يطلب الجزائريّون من ديغول الرجوع إلى رشده وصوابه، والكف عن ما يتلفّظ به من تُرَّهات، فالجزائر لن تكون فرنسية، وأبناؤها سيضحّون بالنّفس والنّفيس من أجل استردادها:[1]

**دِيغُولْ رَبِّي يَهْدِيكْ الجَزَائِرْ رَاهِي خَاطِيكْ**[2]

**وْلَادْهَا طَلْبُوا التَّضْحيَّة**[3]

والاستهزاء بالجنرال ديغول أخذ قسطًا وافرًا في الأغنية الشّعبية وكثرة القرارات التي يصدرها دائمًا والاجتماعات التي يقوم بها لا تخيف الجزائريين، وهم مستغربون منه:[4]

**قَـالهَا آذَا عَـامْ الهُولْ وَ العَـاقَلْ وَلَّا مَهْبُولْ**[5]

**شُوفُو مِينِيسْتَرْ دُوغُولْ كَثَّـرْ غِيرْ الجمْعيَّة**[6]

ويقول مبدع الأغنية أيضًا:[7]

**جِيشْ الثُّوَارْ وَ احْنَـا محينَا الاسْتِعْمَـارْ**

**في جْبَـلْ اللُّوحْ قَمِيـرَة تَبْكِي وَ تْنُوحْ**[8]

**قَلْبهَا مجْرُوحْ عَبْـد العزِيـزْ كْوَاهَا كِيَّة**

**اتّحَادْنَـا الكُلْ اتحَادْنَا طَفْلَة وَ طْفَلْ**

**دِيـغُولْ هْبَلْ و عَـادْ يجَاهِي بَالمَالِيَّة**[9]

**في جْبَلْ لَايَاتِي في الجبَلْ كَايْنَة حَيَاتِي**[10]

**يَـا وِينْ تْبَـاتِي الغُرْبَـة وَ الميـزِيـتريَّة**[11]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[2]– **راهي خاطيك**: ليست لك.

[3]– **ولادها**: أبناءها.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

[5]– **آذا**: هذا.

[6]– **شوفوا**: انظروا إلى، **مينيستر**: ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية ministre و تعني وزير ، **كثّر**: أكثر، **غير**: سوى.

[7]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[8]– **قميرة**: قمير من نعوت فرنسا.

[9]– **يجاهي بالماليّة**: يعطي الأموال من أجل كسب القبول و الموافقة، يطمع الجزائريين

[10]– **لاياتي**: اسم جبل، **كاينة**: توجد.

[11]– **وين**: أين، **تباتي**: تقضين ليلتك، **الميزيرية**: مأخوذة من الكلمة الفرنسيّة misère و تعني البؤس.

تُشيد هذه الأغنية الثّوريّة بما حقّقه أبطال الثّورة على العدو الفرنسي، إذ تمّ محوه من أرض الجزائر، هذا ما دفع فرنسا إلى النّواح وذرف الدّموع، فصورة العدو هنا هي صورة أشبه بامرأة بائسة مكسورة الجّناح، فقدت حلمها المزيّف، واكتوت بنار الهزيمة و الذُّل.

وقد تمّ ذِكر الجنرال ديغول، و نعته بالجنون لأنّه يبدّد أموالًا طائلةً للنّيل من الثّورة، وهو بذلك يجهل، أو يتجاهل بمعنى أدق، أنّ نجاح الثّورة مرهون بصدق المبادئ التي قامت عليها.

وفي البيتين الأخيرين ذُكر الجبل بصورَتَيْن؛ الصّورة الأولى أنّه كان معقلًا للثّورة، واعتُبر حياةً لأنّ الله سخّره حصنًا منيعًا للمجاهدين، فحيوا فيه ومنه انبعثت الحياة من جديد لكافة أبناء الوطن بعد الاستقلال، والصّورة الثّانية تكمن في كونه محلّ غربةٍ، وضنكٍ للثوّار لأنّهم عاشوا بعيدين عن أهلهم وذويهم، وتحمّلوا فيه المصاعب، والأهوال.

ومن النّماذج الفرنسية التي جاء ذكرها أيضًا في الأغاني الثّورية بمنطقة قالمة: قوميلي وهو أحد العساكر الفرنسيّين ذوي الأصل الأوربي، تقول فيه الأغنية:[1]

**يَا قُومِيلِي يَـــا الغَـدَّارْ شَاشَكْ سْبَـقْ عَالبِيبَانْ**[2]

**وَ الفَلَّاقْ رَاهُو غَدَّارْ مَا يْصَايَدْ غِيرْ في القُومِيَّا**[3]

وهكذا فإنّ فرنسا اعتُبرت عدوةً للجزائريّين منذ أن وطأت قدميها أرض الجزائر عنوةً، تقول الأغنية:[4]

**دَرْنَا مَجْلَسْ وَ تْلَمِّيـــنَا لْقِينَا فْرَانْسَا عْدُوَّة لِينَا**[5]

ومن الطّبيعي أن يكون الشّعور نحو هذا العدو المقت والكراهية، وهذا ما عبّرت عنه الأغنية الشّعبية:[6]

**الضَّيْف لِي جَـانَا طْرَحْنَـــالُو لَفْرَاشْ**[7]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: ابراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

[2]– **شاشك**: الشّاش هو العمامة، **عالبيبان**: على الأبواب. و عبارة شاشك سبق عالبيبان تعني أنّنا قد علِمنا بقدومك بقدومك و اكتشفنا أمرك.

[3]– **الفلاّق**: لقب أطلقه المستعمر على كل مجاهد، و جمعه فلاّقة، **راهو**: إنّه، **ما يصايد**: لا يصطاد، **غير**: إلا، **القوميّة**: الخونة.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: الحسين فراحتية ، 81 سنة، وادي الشحم.

[5]– **درنا**: المقصود هنا عقدنا، **تلمّينا**: اجتمعنا، **لقينا**: وجدنا، **لينا**: لنا.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: ليليا هميسي، 23 سنة، هيليبوليس

[7]– **جانا**: جاءنا و المقصود هنا زارنا، **طرحنالو لفراش**: أفرشنا له الفراش من زرابي ليجلس عليها.

**كِي سْمَــعْ بَفْرَنْسَا القَهْوَة مَا شْرَبْهَاشْ**[1]

هذا الضّيف الذي أقبل ، وطُرِح له الفراش ، ووضِعت له القهوة، ما إن ذُكِرت له فرنسا حتّى عبَسَ، وأبى شُرب القهوة، وفي هذا إشارة إلى المقت، والكره الشّديدَيْن الذَيْن يكنّهما كل جزائري للعدو الفرنسي.

ونلاحظ من النّاحية الفنّية تمكّن لغة الأغنية الشّعبية من إيصال المعاني وتمثيلها في صورٍ مرئيّة نستطيع من خلالها إدراكها –المعاني–، ففي قوله "طرحنالو لفراش" وذِكر القهوة كناية عن صفة الكرم، والتّرحاب بالضّيف رغم الفقر المدقع الذي عاشه أبناء الجزائر آنذاك، وربط صورة فرنسا بعدم شرب ذلك الضّيف للقهوة دليل على الوقع السّلبي الذي أحدثته فرنسا في نفسيّته، ونفسيّة كل مواطن جزائري.

**ثانيًا/ العملاء (الحركة و القوميّة):**

نجد إلى جانب العدو الفرنسي الفئة الأخرى التي ركّز عليها مُبدع الأغنية الشّعبية اهتمامه أكثر من غيرها، يمثّلها نموذج العميل ؛ وهو الجزائري الذي انحرف عن الثّورة وانضمّ إلى صفّ فرنسا لأسباب يذكرها الشّاعر الشّعبي في معانٍ مختلفةٍ، وهي أسبابٌ لا أساس لها إذ لا شيء يُبرّر خيانة المرء لأهله ووطنه.

لقد "كان يوم الفاتح من نوفمبر 1954م يوم شؤم على العملاء والمشككين، لأنهم ربطوا مصيرهم بمصير المحتل على حساب وطنيّتهم وأهلهم وانتمائهم العربي الإسلامي، لذلك كان فزعهم أكثر من فزع المعمّرين ،وبالتّأكيد للفرنسيّين والأوروبيّين عمومًا أوطان أصلية يستطيعون العودة إليها في كل وقت ،ومتى استدعت الحاجة لذلك، ولكن الجزائريّين الذين تنكّروا لوطنهم بالعمالة لن يجدوا وطنًا بديلًا ، وستلاحقهم لعنات ضحاياهم المعذّبين وتفرض عليهم خيار الهجرة المذلة تحت وطأة الإحباط والندم ،وسيصبحون هدفًا للتّمييز العنصري دون أن يشفع لهم ما قدّموه من عمالة مجّانية"[2]

إذن لم يكن هناك حياد في صفوف الثّورة التّحريرية ، بل فئتين واحدة مع الثّورة، والأخرى ضدّها ، تعرّضت نصوص الأغاني الشّعبية "إلى أعمال هؤلاء العملاء ومواقفهم الدّنيئة وأطلقت عليهم عدّة صفات حسب مناطق الوطن ، وكانت الخيانة تتمثّل في إفشاء ونقل سر الثّورة ، إلى

[1]– **كي**: عندما، **ما شربهاش**: امتنع عن شربها.

[2]– هلايلي محمد الصغير، شاهد على الثورة في الأوراس، دار القدس العربي، 2012 م، ص 97

العدو أو الانحياز إليه ، والتجنّد في صفوفه فباع هؤلاء ضمائرهم ، ودينهم وتنكّروا لنداء نوفمبر"[1].

الخيانة أمرٌ منبوذٌ في كلّ الشّعوب، وقد ذكرها الله عزّ وجل في قوله : ﴿**وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ**﴾[2]، فهي "جريمة لا تُغتفر حيث ما وُجِدت وتُدينها وتمقتها كلّ النّفوس الأبيّة والشّريفة"[3]

لذا فالخائن شخص منبوذ، لا كرامة له، ذلك أنّ "خيانة الوطن جريمةٌ كبرى لا تُغتفر أبدًا فكلّنا نعرف أنّ الخيانة ليست لها درجات، بل هي انحدار وانحطاط دون الخط الأدنى للإخلاص . والعقاب على من يخون الوطن قديم قِدَم البشرية في كلّ الشّرائع السّماوية والشّرائع الوضعيّة القديمة والحديثة، فالخونة لا يُنْظَر لهم بعين من الاحترام والتّقدير بل يُنظر إليهم بعين من الاستهجان والاستخفاف وبسوء الأخلاق وانحطاطها حتى من قِبَل الذين يعملون لصالحهم ويأتمرون بأوامرهم "[4].

وكان تمركز العملاء في أماكن حسّاسة لها أثرٌ سلبي على تحرّك السّكان وأفراد النّظام من جنود ومسبّلين، حيث خلق ذلك وضعية اجتماعية صعبة خاصةً من ناحية التّموين ممّا يؤدّي أحيانًا إلى حتمية الاشتباك مع قوّات العدو في نقاط مختلفة من المنطقة[5] .

إلا أنّ الزّحف متواصل مهما طغت ريح الخيانة، فأصداء النّصر تدوّي في كل مكان من أرضنا العربية الثّائرة مهما تراكمت جحافل الخونة ، ومهما تعاونت قوّات الشرّ والطّغيان على إخفاء يوم النّصر الذي لا شكّ فيه[6]

---

[1]- شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثّورية بين فترتي الثورة و الاستقلال (1954-1962) منطقة وادي الشولي – نموذجًا-جمع ودراسة ، المرجع السّابق، ص 167

[2]- سورة المائدة، الآية: 13

[3]- بوعلام شريفي، مجلة أول نوفمبر، 2009، العدد 173، ص 16-17

[4]- ياسمين الشيباني، هل باتت خيانة الأوطان وجهة نظر؟! ، منبر القدس، العدد 7421 ، ابريل 2013

[5]- حسين بن أحمد شعور، مجلة أول نوفمبر، 2008، العدد 172، ص 52

[6]- محمد الأخضر عبد القادر السّائحي، نوفمبر ...الصوت و الصدى،مديرية الدراسات التاريخية و إحياء تراث الجزائر، ص 128

## 1- النُّعوت التي ذُكِر بها العُملاء:

حظي العُملاء في الأغاني الشّعبية القالميّة بجملة من النّعوت المستهجنة والصّفات القبيحة، بما يتلاءم وفِعالهم الدّنيئة، فتعرّضت تلك الأغاني إلى أعمال هؤلاء العملاء وموافقهم الدّنيئة، وأطلقت عليهم عدّة تسميات حسب مناطق الوطن، فمنهم من يسميهم بالحرْكَى[1] ، والقُوميّة[2]، والخبثاء ، والعُملاء ، والخوَنة . تقول الأغنية:[3]

**جَاني الحوَّاتي كُوسْتِيـــمْ وجَلَّابَة جَـــا البَيُوعْ مَنْ طَلْحَة لْعَنَّابَة[4]**

**جَاني الحوَّاتي حَـــالُو مَتْغَيَّـــرْ اللَّبْسَة رَقْطَة وَ الكَرْتُوشْ أمْخَيَّرْ[5]**

**جَاني الحوَّاتي لابَسْ اَقْمَجَّة زِيتي ألحَقْ البَـــايُوعْ مَنْ هُوَّارَة لْبِيتِي[6]**

فكما نلاحظ البيوع صفة أُطلِقت على الخائن، لأنّه ارتضى بيع وطنه وإخوانه للعدو.

وتقول الأغنية:[7]

**يَا الحرْكَة يَا العَسَّاسَة نجمَة وَ هْلَالْ في لَبْيَاسَة[8]**

نُعتَ الخونة بالحركة، وقد استعمل شاعر الثّورة مفدي زكريا لفظة الحركي في إلياذته، حيث قال:[9]

**هُمُو فِي البِلادِ شَهَادَة زُورٍ فَوَيْلُ الجَزَائِرِ مِنْ كَيْدِ حَرْكِي[10]**

---

[1]- **الحركى** : مأخوذة من كلمة harki وهو الخائن .

[2]- **القُومي** : مأخوذة من لفظ goumier وهو الخائن من الجزائريين الذين التحقوا بصفوف العدو الفرنسى.

[3] - منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار ، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[4]- **جاني**: جاءني، **كوستيم**: نقل حرفي للكلمة الفرنسية Costume و تعني بدلة، **جلاّبة**: جلاّبية و هي لباس تقليدي شتوي ، **جا**: جاء، **البيوع**: الخائن الذي باع وطنه، **طلحة**: اسم قرية في ولاية عنّابة.

[5]- **حالو متغيّر**: أي تغيّرت حالته من الهدوء و الرّاحة إلى التوتّر و الانزعاج، **اللبسة رقطة**: أي لباس عسكري لونه أرقط، **الكرتوش**: حبّات الرصّاص، **أمخيّر**: منتقى بعناية.

[6] - **لابس**: مرتدٍ، **قمجّة**: قميص، **زيتي**: لونه كلون الزيت، **ألحق**: لاحق، **بيتي**: بومهرة حاليا.

[7]- منقولة عن طريق السّماع: الحسين فراحتية، 81 سنة، وادي الشحم.

[8]- **الحركة**: الخونة، **العسّاسة**: الحرّاس المراقبين لتحركات المجاهدين، **لبياسة**: نقل حرفي للكلمة الفرنسية pièce وتعني وتعني السّلاح.

[9]- مفدي زكريّا، إلياذة الجزائر، المرجع السابق، ص 100

[10]- كلمة الحركي: اصطلاح على الطّابور العميل الذي اصطنعته السلطة الاستعمارية لضرب الثورة من خلف بيد المرتزقة، من أبناء البلاد، و قد كثر هذا النّوع بعد الاستقلال، و الأنكى من ذلك أنّه اندسّ بين المثقّفين المستعمرة ضمائرهم و أفكارهم و استغل بعضهم حسن نوايا الأحرار، و لكن إلى حين، فالباطل له ساعة، و الحق إلى السّاعة.

كما نُعِت هؤلاء بالعسّاسة، بمعنى أنّهم كثيري المراقبة للجنود والتّنصت عليهم لنقل أخبارهم إلى العدو.

وفي مقطع آخر:[1]

**أَحْنَا طَالْبِيــنْ الحُرِيَّة عْمُرْنَا مَا كُنَّا فْرَانْسِيسْ**[2]

**إِذَا كُنْــت حُرْ ظْرِيفْ اَسْتَعْرَفْ أَنْتَ يَا رْخِيسْ**[3]

يُذم الخائن، ويوصف بالحقير أو الذّليل في جملة شرطيّة مفادها؛ إذا كنت حُرًّا أبِيًّا فعليك الاعتراف بكوننا لسنا من أتباع فرنسا، والغرض هنا التّحقير والحط من قيمة العميل.

كما تصفهم الأغنية بالدّياثة[4]، وهي صفة مذمومة ، بل هي من أقبح ما يُنعت به الرّجال، ذلك لأنّ الخائن سلّم في أعراض أخواته من الجزائريّات، فلا كرامة له ولا شرف. تقول الأغنية:[5]

**يَــا حُزْنِي عَالمجَاهِدِينْ وَ الخَبِيثَة سَرْكْلَتْ بَالْفِينْ**[6]

**قَالهُمْ اُضْرِبُو وَاشْ تْشُوفُو رَاهُمْ قُومِيَّــا طَحَّــانِينْ**[7]

جاء شرح كلمة الدّيوث في معجم الوسيط: الدَيُوث من الرّجال : قوّاد على أهله[8]، وكلمة قوّاد باللهجة الجزائرية تعني الخائن الذي ينقل الأخبار، فالعلاقة قائمة بين المفردات (خائن، وقوّاد، وديوث)، و كلّها تصّب في مجرى وحقل دلالي واحد.

سعت فرنسا جاهدةً للنّيل من الثوّار والتنكيل بهم، معتمدةً في ذلك كلّ الوسائل والطّرق، وقد كان العملاء الوشاة من أبرز سبلها في تحقيق أغراضها الدّنيئة، وقد عملت جاهدة لحماية

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: هنية بوترعة، 68 سنة، وادي الشحم.

[2]– **أحنا**: نحن، **طالبين**: مطالبين، **عمرنا ما كنّا فرانسيس**: أي لم نكن فرنسيين ولا مرة في حياتنا.

[3]– **حر**: المقصود بها أبيٌّ، **استعرف**: اعترِف، **رخيس**: ذليل أو حقير.

[4]– الدّيوث هو مصطلح أخذ شهرته من تعريفه الشرعي في الإسلام ويتصور كثيرون أنه يكافئ القواد وهو ليس كذلك كذلك فالقواد هو من يدير عمل العاهرة سواء كانت قريبة له أم لا أما الديوث فهو شرعا من يرضى الفجور في أهله حتى لو لم يكن هذا الفجور زنا وقال ابن منظور : [ الديوث هو الذي لا يغار على أهله ] لسان العرب 456/4

[5]– منقولة عن طريق السّماع: إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

[6]– **عالمجاهدين**: على المجاهدين، **سركلت**: مأخوذة من كلمة cercle الفرنسية و تعني الدّائرة، و سركلت بمعنى أحاطت، **بالفين**: بأَلْفَيْن.

[7]– **قالهم**: قال لهم، **واش**: ماذا، **تشوفوا**: تروا، و المقصود من عبارة (واش تشوفوا؟) ماذا تنتظرون؟، **راهم**: إنّهم، **قوميّة**: خونة، **طحّانين**: جمع مفرده طحّان و هو الدّيوث الذي يسمح بهتك عِرضه و شرفه.

[8]– إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، المرجع السّابق، باب الدّال، ص 306

هذه الفئة الخائنة ومحاولة استمالتها بتلبية أطماعها. فكثيرًا ما نُعت العملاء بالطّمع والسّعي وراء المال، لأنّ من أسباب انضمام فئة العملاء إلى صفّ المستعمِر، أنهم يبحثون عن رغد العيش وطيبه، ومنها البحث عن المرتّب، أي الأجر المسْعِف على الثّراء، تقول الأغنية في ذلك:[1]

**القُومِـــي تْقَطَّعْ صُبَّاطُو عَلَى جَالْ الصبَّة وَ القَاطُو**[2]

كما تقول فيهم:[3]

**يَالقُومِيَّة لَعْمَـــى يَعْمِيكُـمْ وَافْرَنْسَا مَا تْدُومْ اعْلِيكُمْ**[4]

**تَبَّعْتُوا المرْقَة وَ اللُّوبْيَة خَلَّفْتُـــوا الوَطَنْ وَ الحرِيَّة**[5]

فضّل هؤلاء العملاء الفُتات الذي ترميه إليهم فرنسا من أكلٍ ومبالغ زهيدة على نصرة الوطن وتحقيق الحريّة.

إنّ النّص إل جانب تحديده لموقف الشّاعر من هذه الفئة المنضمّة إلى العدو تناول الأسباب التي دفعت هؤلاء إلى الانضمام إلى فرنسا، وهي أسباب تبدو في مجملها مستقلّة من البيئة ، ومن الظّروف التي كان يعيشها الإنسان الجزائري ، وهي ظروف كانت قاسية في واقع الأمر، خاصةً ما يتّصل بالحاجة.

وهكذا انساق هؤلاء العملاء مع حاجاتهم، ورغباتهم التي ليست أساسيّة وتخلوّا عن الأهم الذي هو الكفاح في سبيل التحرّر والانعتاق، والحق أن هذه النّظرة تبدو هنا ضيّقة لأنّ المسألة هنا صراع بين اتجاهين سياسيّين، هما الاتجاه الوطني التّحريري الذي يدعو فيه أصحابه إلى الكفاح المسلّح حتّى الاستقلال، واتّجاه الدّاعين إلى الاندماج كما هو معروف عن الحركة الوطنية الجزائرية[6]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة ، 63 سنة، قالمة

[2]– **القومي**: الخائن، **تقطّع**: تمزّق، **صبّاطو**: حذاءه، **على جال**: من أجل، **الصبّة**: مأخوذة من كلمة soupe الفرنسية و تعني الحساء، **القاطو**: مأخوذة من كلمة gâteaux الفرنسيّة و تعني الكعك.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: هنية بوترعة، 68 سنة، وادي الشحم.

[4]– **ما تدوم عليكم**: لن تدوم لكم.

[5]– **تبّعتوا**: لاحقتم، **المرقة**: المرق أو الحساء، **خلّفتوا**: المقصود هنا استغنيتم.

[6]– العربي دحو، الشّعر الشّعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس من 1954 إلى 1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ج1، ص 118.

غير أنّ الشّاعر الشّعبي لا يثير التّفاصيل، كما لم يبحث عن جواهر المشكلة، أو القضيّة، وإنّما اكتفى بنعت هذا النّموذج بـ"القومي" أو "الخائن" بما راقه، و يمكن اعتبار نظرته هذه ممّا يتّصل بالهجاء السّياسي المعروف في القصيدة الشعبيّة الجزائريّة، تقول الأغنية:[1]

**شُوفُوا شُوفُوا يَالُولَادْ صْحَابْ الجبْهَة وَ القِيَّادْ[2]**

**هُومَا لِخَانُوا البْلَادْ[3]**

و كانت القوّات الفرنسيّة تبعث مسؤولًا إلى الأرياف والقُرى ليدعوا الشّعب للانضمام إلى صفّها مقابل مبلغ من المال، تقول الأغنية:[4]

**القُبْطَانْ قَالي أَرْوَاحْ نَعْطِيكْ المَالْ و تَرْتَاحْ[5]**

**خِيرْ مَا تُقْعَدْ فَلَّاحْ[6]**

تظنُّ فرنسا أنّ شعبنا غير قادرٍ على تحمّل المسؤولية، فكانت تحاول إغراءه بقليلٍ من المال لينضمّ إليها، فقد نسيت أنّ الشّعب يدفع نفسه ثمنًا للحريّة، ففرنسا أثناء تواجدها في بلادنا استغلّت ضعف الشّعب واعتبرته عبدًا لها، تأمره فيُطيع وينفذّ، غير أنّه أقنع فرنسا بكونه حرٌّ ينشد الحريّة، والسّلام، ويأبى أن يُهان أو تُداس كرامته، وبرهن لها أنه قادرٌ على تحمّل المسؤوليّة، إلا أنّها تمكّنت من إغراء ذوي النّفوس الضّعيفة، من زمرة العملاء، تقول فيهم الأغنية:[7]

**يَـــا لْقُومِيَّـــة يَالْذَمِيَّـــة يَالِّي بَعْتُو دِيْنكُمْ عْلَى ثْلَاثْمْيَة[8]**

**اَحْنَـــا مَا ابْغِينَاشْ المَالِيَّة وَ ابْغِينَا عِيـــشَةْ الحُرِيَّـــة[9]**

**الجنْدِي يضْرَبْ عْلَى الدَّينْ وَ القُومِي يضْرَبْ عْلَى الشَّهْرِيَّة[10]**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[2]– **شوفوا**: انظروا، **لولاد**: الأولاد و يقصد بهم أبناء الجزائر، **صحاب**: أصحاب ، **القيّاد**: القادة.

[3]– **هوما**: هم، **لِخانوا**: الذين خانوا.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[5]– **قالي**: قال لي، **أرواح**: تعالى، **نعطيك**: أعطيك.

[6]– **خير ما تقعد فلاح**: أي خيرٌ من أن تظلّ فلاحًا.

[7]– منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 95 سنة، قالمة.

[8]– **القوميّة**: الخونة، **الذميّة**: المذمومين ، **يالّي**: يا أيّها الذين، **بعتو**: بعتم، **على ثلاثمية**: مقابل ثلاثمئة سونتيم.

[9]– **احنا**: نحن، **ما بغيناش**: لم نبغِ، **الماليّة**: المال، **ابغينا**: ابتغينا أو أردنا.

[10]– **يضرب على الدّين**: أي يقاتل من أجل الدّين، **يضرب على الشّهرية**: يقاتل من أجل الرّاتب الشّهري.

نلاحظ أنّ الفارق بين المجاهدين و العملاء كبيرٌ جدًّا؛ فالطّرف الأوّل فضّل الحريّة والعيشة الأبيّة على المال، لاسيما أنّه يدافع عن الدّين، أمّا الطّرف الثّاني فقد ركن إلى الخنوع والخضوع، وارتضى عيشة الذلّ والهوان، فباع دينه ووطنه مقابل مبلغٍ زهيدٍ، قُدِّر من باب التّمثيل بثلاث مئة سنتيم.

ويوجّه المغنّي نداءً للعملاء يذمهم فيه، فيقول:[1]

**شمَّامِينْ الشَمَّة شَرَّابِيــنْ الجُوبْ اطْلعُوا لمَاوْنَة تَلْقَاوْ الحبْ يْذُوبْ**[2]

**الحقُوا الجُنْدِيَّا يَا بَارْدِينْ لَقْلُوبْ**[3]

**انْتُومَـا يَا القُومِيَّـــة انْتُومَا ظُلَّامْ اشْهَدْتُوا بَالْبَاطَلْ و قْتَلْتُوا أُولَادْ حْرَامْ**[4]

**هُمَّـا جُنْدِيَّا طَلْعُوا مَنْهُمْ حُكَّامْ**[5]

ينعت صاحب المقطع العملاء بالمقرفين لتعاطيهم التّبغ، وشُرب الجوب، ويأمرهم بصعود جبل ماونة ليروا بأنفسهم حبّات الرّصاص وهي تذوب، وفي هذا كناية عن شراسة المعركة بين المجاهدين، والأعداء، وما حقّقوه من بطولات.

كما ينعتهم بباردي القلوب كناية عن صفة الجّفاء، وفي قوله "الحقوا الجنديا" أسلوب إنشائي طلبي غرضه غير حقيقي، فهو لا ينتظر منهم الالتحاق بصفوف المجاهدين، لكّنه وجّه إليهم هذا الأمر بغرض السّخرية من جُبنهم وحقارتهم.

وينتعتهم أيضًا بالظّلم "انتوما ظلاّم" ، واتّباع شهادة الباطل "اشهدتوا بالباطل"، ومشاركتهم في سفك دماء الأبرياء ظُلمًا و بُهتانًا.

وفي البيت الأخير يُشيد بالمجاهدين الأبطال، فهم تولّوا مناصب الحُكم العالية، دلالة على مكانتهم الرّفيعة.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة، 77 سنة، قالمة.

[2]– **شمّامين الشمّة**: تتعاطون التبغ، **الجوب**: السّيجارة، **اطلعوا**: اصعدوا، **تلقاو**: المقصود هنا ترون، **الحب**: حبّات الرّصاص.

[3]– **الحقوا الجنديّا**: التحقوا بصفوف الجنود، **باردين لقلوب**: بمعنى باردي الأعصاب.

[4]– **انتوما**: أنتم، **القوميّة**: الخونة، **اشهدتوا**: شهدتم، **قتلتوا**: قتلتم.

[5]–**همّا**: هم، **طلعوا**: المقصود هنا تخرّج، أي منهم من تولّى مناصبًا عالية.

كما قيل في العميل :[1]

**يَا الحَرْكِي يَا اللِّي غَادِي اتْسَرْكَلْ احْرَق القَدْرَة وْزِيدْ الطَّاجِينْ**[2]

نلمح في هذا البيت سخريةً و استهزاءً بالعميل، الذي يقضي طوال وقته في التسكّع هنا وهناك يلهث خلف أذيال العدو "يا اللّي غادي اتسركل"، وفي عجز البيت أسلوب إنشائي طلبي، جاء بصيغة الأمر "احرق القدرة و زيد الطّاجين"، والغرض منه غير حقيقي، وإنّما التّحقير من شأن العميل، والسّخرية منه، إذ نُسبَ إليه فعل الحرق، هذا الفعل الذي يحمل معاني الدّمار والهدم، وإشعال فتيل الفتنة والحرب، ومع ذلك فهو لا يثير الرّعب في نفوس المواطنين، بل له أن يحرق القدر وليَزِدْ عليه الطّاجين، كنايةً عن لا مبالاة الشّعب الجزائري بما يقوم به.

و يجدُر القول إنّ هؤلاء العُملاء لم يقتصر مقتهم من طرف أبناء الوطن فحسب، بل امتدّ للعدو أيضًا، ونتلمّس ذلك من خلال معاملته لهم، فهم في نظره من حثالة القوم، ويستحقّون التّعنيف، يقول مبدع الأغنية: [3]

**يَـــا خُوتِي اسْمعُو لِيَّا يَا خُـــوتِي اسْمعُو لِيَّا**[4]
**نَشِيـــدِي علَى القُوميَّـا عطَـــاتُو فِيـــزِيَا بَلْمَتْفَر**[5]
**و قَـــالَتْلُو بَرَّا رُوح تْقَوَّدْ شُوفْ الجُنْدِي وَاينْ يُرْقُدْ**[6]
**و صْبَـــاحْ بَـــكَّرْ ليَّا يَا خُـــوتِي اسْمعُـو لِيَّا**[7]
**نَشِيـــدِي علَى القُوميَّـا**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 95 سنة، قالمة.

[2]– **الحركي**: الخائن، **اللي**: الذي، **غادي**: هناك، **اتسركل**: مأخوذة من الكلمة الفرنسية cercle أي الدّائرة، ومعنى اتسركل تطوف و تجول، **القدرة**: القدر، **و زيد**: المقصود بها وكذلك، **الطّاجين**: الطّاجن يُصنع من الطّين ويُنضج فوقه الرّغيف.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: عمر بولبازين، 68 سنة، تاملوكة

[4]– **خوتي**: إخوتي، **اسمعوا**: استمعوا، **ليّا**: لي

[5]– **القوميّا**: الخونة، **عطاتو**: منحته، **فيزيا**: تحريف للمصطلح الفرنسي fesil بمعنى البندقية، **المفلتر**: رشّاش ألماني به ثقوب.

[6]– **قالتلو**: قالت له، **برّا**: الخارج، و برّا هنا أمر بالخروج، **روح**: اذهب ، **تقوّد**: قم بعملية الخيانة، **شوف**: انظر، **واين**: **واين**: أين.

[7]– **و صباح بكّر ليّا**: تعالى إليَّ في الصّباح الباكر.

يوجّه صاحب المقطع نداءه إلى إخوانه المجاهدين ليأخذوا الحيطة والحذر من العدو المتربّص بهم، ولاسيما بعد وشاية العميل بهم، فالضّمير في "قالتلو" هو ضمير المفرد الغائب، والعائد على فرنسا، فيذكر أنّها توجّه أوامرها إلى أتباعها من العملاء، لكن بعبارة نابيّة "برّا رُوح تقوَّد"، التي نلمس من خلالها ذل العميل و هوانه حتّى أمام العدو.

وتتحدّث الأبيات بشكل عام عن أحد العُملاء الذين كانت لهم علاقة بفرنسا ، هذه الأخيرة التي شجّعته على خيانة إخوانه بالتّصنت عليهم ونقل أسرارهم ، ويبدو من عبارة "عطاتو فيزيا بلمتفر" أنّ فرنسا كانت تزوّد العملاء بالسّلاح وهم يؤدّون عملية البحث عن مخازن الجنود، فالفيزية نوع من السّلاح التّقليدي المعْتمَد آنذاك.

إذن فالعملاء كانوا طرفًا فعّالاً في مساندة العدو، والقضاء على الثّورة، وهو أمرٌ يُحسب عليهم، تقول الأغنية:[1]

**قُلّي يَا الطَّاهَرْ عَنَّابْ يَلّي وَاقَفْ فِي البَابْ**[2]

**اليُطْنَى وَمْعَاهْ لَكْلاَبْ البِيعَةَ طَلْعَتْ لعَشْتِي**[3]

**سَرْجَانْ وَقَاعَدْ مَتَكِي لَبْرَانَةَ فِي يَدُو وتَبْكِي**[4]

تصف الأغنية تمكنّ العساكر الفرنسيّين من اكتشاف تمركز أحد المجاهدين، واقتحام معقله وهم مرفوقين بكلابهم، وقد نالوا مرادهم بفضل ما قدّمه لهم العميل من وشاية.

وممّا ورد في ذِكر العملاء أيضًا: [5]

**شُوفْ تْزَايَرْ كِي تَعْمَرْ وَ تْوَلّي دَوْلَة عَرْبِيَّة**[6]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[2]– **قلّي**: قل لي، **الطّاهر عنّاب**: هو الطاهر فلفولي ، **يلّي**: يا أيّها الذي، فعبارة (يلي واقف في الباب) أي يا من يقف على الباب.

[3]– **اليطنى**: رتبة عسكرية تعني ملازم أوّل و هي ترجمة لكلمة lieutenant الفرنسيّة ، **معاه لكلاب**: برفقته الكلاب، **البيعة**: لفظة دارجة وهي عكس البَيْعة في العربية الفصحى و تعني الخيانة. ، **طلعت**: المقصود هنا وصلت أو بلغت، **عشتي**: مكان تواجدي أو إقامتي.

[4]– **سرجان**: رتبة عسكريّة بمعنى رقيب، و هي ترجمة حرفية لكلمة sergent الفرنسيّة، **متّكي**: متّكِئ، **لبرانة**: نوع من الأسلحة.

[5]– منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[6]– **شوف**: انظر، **تزاير**: تحريف للفظ الجزائر، **كي**: لما، **تعمر**: بمعنى أنّها أصبحت آهلة بالسكّان و العمران ، **تولّي**: تصير.

**لا تْشَيَّنْ و لَا تَشْوِي وَ الخبِيثْ وْ لَا تْحَنْ عْلِيهْ[1]**
**بَــايَعْ دِينُو و نَـــافِيهْ مَـــا عَنْدُو حَتَّى حُرِيَّــة[2]**
**قَــدَّاهْ نْـــفَكَّرْ في الجزَائِــرْ لِعَــادَتْ حَيَّة[3]**
**يَـــا دَمْ شُبَّـــانْ يُقْطَرْ مَــتْبَزَّعْ فـــي كُــلْ ثْنِيَّة[4]**
**يَـــا خُوتي مَــانَاشْ خُيَّانْ وَ نموتُــو غِيــرْ شْوِيَّة[5]**

تحدث المغني عن الخونة الذين باعوا أرضهم ودينهم، وهو يتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى أن لا يحن على هؤلاء، فهم بلا شرف ولا نخوة، فقد هان عليهم وطنهم وسلّموا فيه، ولم يهتموا بدماء الشّهداء المتناثرة في كل أنحاء الوطن، وذلك في قوله: "يا دم شبان يقطر متبزّع في كل ثنية"

وفي الأخير يفتخر بأدائه الجهادي اتجاه وطنه، ودفاعه عنه والوفاء له، فهو يفضل الموت في كلّ ثانية على أن يخون وطنه، وذلك في قوله: "يا خوتي ماناش خيان و نموتوا غير شوية".

توفّر في هذه الأغنية معجمان، هما:معجم الوطن: (الجزائر، الشّعب، الجهاد، دولة، الشبّان، عربية)، حيث تحدّث المغني في هذا المعجم عن بلده الجزائر التي كانت خاضعة لوطأة المستعمر الحقير، وشعبها الذي يجاهد في سبيل استرجاع أرضه، ودولته التي سُلِبَت منه.

والمعجم الثّاني هو معجم العملاء: (الخبيث، بايع دينو، خيّان)، حيث وصفهم بالخبث، لأنهم باعوا أرضهم بأرخص ثمنٍ، ، فأنفسهم الخبيثة سوّلت لهم خيانة وطنهم.

وقد اقتُرنت وشاية هؤلاء العُملاء في الأغنية الشّعبية بجملة من أبطال الثّورة المجيدة، نذكر منها بعض النّماذج على سبيل التّمثيل لا الحصر:[6]

**كِي دَزُّونَا بْلَارَافْ قَالُونَّا وَ تْكُونُوا خْفَافْ[7]**

---

[1]– **لا تشيّن**: لا تشي، مأخوذة من الوشاية، **لا تشوي**: لا تبع إخوانك من المجاهدين للعدو ، **الخبيث**: الالمقصود به الخائن، **لا تحن عليه**: بمعنى لا تشفق عليه ولا تأخذك به رأفة.

[2]– **بايع**: بائع، **دينو**: دينه، **نافيه**: من النّفي، **ما عندو**: ليست عنده.

[3]– **قدّاه**: كم، **نفكّر**: أفكّر، **لِعادت**: التي عادت.

[4]– **متبزّع**: متزامٍ ، **ثنيّة**: ناحية.

[5]– **خوتي**: إخوتي، **ماناش**: لسنا، **خيّان**: خونة، **نموتو**: نَمُت، **غير**: إلاّ، **شويّة**: قليلاً.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[7]– **كي**: عندما، **دزّونا**: دفعونا ، **لاراف**: أي إخراج عساكر العدو للمواطنين من منازلهم و حشدهم للتفتيش أو إعطاء بعض الأوامر و التّوجيهات، **قالونّا**: قالوا لنا ، **خفاف**: جمع خفيف بمعنى سريع التحرّك و المقصود هنا مطالبتهم بسرعة الانقياد.

**البِيعَة جَاتْ فَالكَافْ بَطَاطَا رَايَسْ الجنْدِيَّا**[1]

فبعد وشاية أحد الخونة للمجاهدين قام جيش العدو بعملية تفتيش في كاف بوشبوطة ببوجدرة بلدية لخزارة ناحية "ماونة" فوقع اشتباك بين قوّات العدو وفوجين من جيش التّحرير متكوّنان من 29 مجاهدًا بقيادة **محمد لخضر صوالة** المدعو **بطاطا** و **عبد الحميد سريدي** محافظ سياسي بالقسم الأوّل بناحية "ماونة"، فقُتل عدد من العساكر وجُرح عدد آخر، بينما استشهد أربعة مجاهدين هم: **عبد الحميد سريدي** ، و **الخذير بليح** المدعو **ولد الهاني** و**العيد سحاوي** و**علي قدوم**، كما أُسر: **محمد لخضر صوالة** "**بطاطا**" و**محمد نايلي بن زرتي**، وقُتل كذلك 25 مواطنًا في كاف (غار)، وكان ذلك في 1958/04/17م[2]

و تقول الأغنية في بطلٍ آخر تعرّض إلى الغدر و الخيانة:[3]

**يَـــا صَـــالحَ يَـــا بُو خَرُّوبَة وَ البِيـــــعَة جَـــاتَكْ مَزْرُوبَـــــة**[4]

**الأُمَّـــــة مَنَّـــكْ مَرْعُوبَـــة القْنَـــــابَلْ تَشْعَـــلْ بَـــــالنَّـــارْ**[5]

**خَاوَتْنَا يَا لَعْرَبْ بَرْكَاوْ مَلْبِيعَاتْ خُرْجُو المنْصُورِينْ ادِّيرُونَا فَالشِّيعَاتْ**[6]

تروي هذه الأبيات قصّة البيعة التي تعرّض لها المجاهد **بو خرّوبة**، الذي كان يُحدِث الهلع والفزع في نفوس الأعداء، ونلحظ ذلك من خلال عبارة "الأمّة منّك مرعوبة" وهي كناية عن الشّجاعة الكبيرة التي كان يتحلّى بها.

وفي البيت الأخير يوجّه صاحب المقطع نداءه إلى زمرة الخونة من العرب، ويدعوهم إلى الكفِّ عن الخيانة لأنّها فعلٌ بذيء وشنيع، لا يجدر أن يكون بين الإخوة، والمقصود بالأخوّة هنا كونهم أبناء العروبة "خاوتنا يا لعرب" .

---

[1]- **البيعة**: الخيانة، **جات**: جاءت، **فالكاف**: في الكهف، **بطاطا**: محمد لخضر صوالة ولد سنة 1937م بكاف الرّيح، واستشهد سنة 1958م، **رايس**: رئيس، **الجنديّا**: الجنود.

[2]- حرب التحرير الوطني عبر ولاية قالمة، نوفمبر 1954- 19 مارس 1962 ، أوت 1997، ج2

[3]- منقولة عن طريق السّماع: عائشة زدادرة، 78 سنة، بلخير.

[4]- ولد في 26 أفريل 1924 بعين حساينية، ابن محمد و مريم بوخروبة، و هو من المجاهدين الذين تعرّضوا للخيانة، **البيعة**: الخيانة، **جاتك**: جاءتك، **مزروبة**: مستعجلة.

[5]- **تشعل**: تلتهب.

[6]- **خاوتنا**: إخواننا، **بركاو**: كفُّوا، **ملبيعات**: من الخيانة، **اديرونّا**: تُحْدِثون لنا، **الشّيعات**: الإشاعات.

ولم تقتصر الخيانة على المجاهدين بل طالت حتّى الشخصيات السّياسية:[1]

**نهـــارْ الحَـــدْ كِي جَانَا طْفَيَّـــلْ مَسْعَدْ**[2]

**بَنْ بَلَّـــة أحمَـــدْ يَقْـرَا عَالجنُـــودْ أحْرَارْ**[3]

**تجمْعُوا لجنَـــاسْ كِي حَكْمُولْنَا رَبْعَة رِيَّاسْ**[4]

**ونَارْ احمَدْ بَنْ بَـلَّة آيْ مَا تَطْفَـاشْ خْلاصْ**[5]

وممّا قيل في توعّد المجاهدين للعُملاء:[6]

**القُومِي حَابَكْ مَسْلَانُو مَا يجَاهَدْ غِيرْ في خُيَّانُو**[7]

**مَشَافَشْ نهَارُو قُدَّامُو يحصَلْ ويْضَـالْ بِينْ يَدِّيَا**[8]

و في مقطع شبيه:[9]

**القُومِي ضَـابَطْ مَسْلَانُو يجَـــاهَدْ غِيـــرْ في خُيَّـــانُو**[10]

**مَا شَـافَشْ النْهَـارْ قُدَّامُو يحصَلْ نهَارْ وَ يْظَلْ بِيـنْ يَدِيَّا**[11]

تجهد هذه الفئة نفسها في بطش إخوانها المجاهدين مقابل مبلغٍ من المال، وقد توعّدهم جيش التّحرير الوطني بأنه سيأتي يومٌ ما ويقع العميل بين أيديهم، وسينال عقابه، فهم يجاهدون من أجل الحريّة و ليس من أجل المال.

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

[2]– **نهار لحد:** يوم الأحد، **كي:** لما، **جانا:** أتانا، **مسعد:** من السّعد أي أنّه طفل يجلب الحظ.

[3]– **يقرا:** يقرأ، **عالجنود:** على الجنود.

[4]– **لجناس:** الأجناس، **حكمولنا:** أمسكوا لنا، و المقصود هنا اعتقلوا، **ربعة:** أربعة، **ريّاس:** رؤساء و المقصود هنا قادة. قادة.

[5]– **آي:** هنا بمعنى إنّها، **ما تطفاش:** لا تنطفئ، **خلاص:** أبدًا.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: يمينة عياد ، 60 سنة، بوحشانة.

[7]– منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية، 56 سنة، بلخير.

[8]– **القومي:** الخائن، **حابك مسلانو:** بمعنى أنّه يلفّ حزامًا حول خصره ، **غير:** سوى، **خيّانو:** إخوانه.

[9]– **ما شافش:** لم يرَ، **قدّامو:** أمامه، **يحصل نهار:** بمعنى سيأتي يومٌ و يقع في شرَك أعماله، **و يضال:** و يغدو، **بين يديّا:** بمعنى بَيْن يديَّ.

[10]– **ضابط مسلانو:** يلفّ حزامًا حول خصره.

[11]– يضال و يظل لهما نفس المعنى فقط الاختلاف في النّطق

## 2- نماذج من العُملاء:

من بين هؤلاء العُملاء الذين باعوا وطنهم **بشكر أحمد** المذكور في الأغنية، فبعد خيانة والده وأخيه قام المجاهدون بقتلهما، ممّا أدّى ذلك إلى مقته وسخطه، فأراد الانتقام لمقتلهما وفعلًا أصبح من أكبر العملاء في منطقة ماونة، وبعد الاستقلال حاول الفرار إلى فرنسا فلحقه المجاهدون وقتلوه. تقول الأغنية:[1]

**يَاخُـــوتي بشْكَرْ أحمَدْ كِي قَبَّلْ لماَوْنَـة و صَدْ**[2]
**قَـــالهمْ مَا نخَلِّي حَدْ نَبْدَا فِـــي موَالِيَّـــا**[3]
**يَاخُـــوتي لِشَـارْ محَدَّرْ وَ النوِّي رَاكَبْ مَتْقَدَّرْ**[4]
**يَا خُـوتي رَبِّـــي لِقَدَّرْ يَتْحَلَّفْ غِيرْ فَالجنْدِيَّا**[5]
**القُومِي لي يحَبْ الغْدَارْ وْلي يْبِيعْ وَطْنُوا جْهَارْ**[6]
**وَ ايجِيبْ البِيعَاتْ كْبَارْ وَيْهَزْ عْلِيـــهْ المَـالِيَّة**[7]

في البيتين الأوّلين تهديد ووعيد العميل **بشكر** لكلّ المجهادين، فهو يهدّدهم بالإبادة الجماعيّة، وأنّ أوّل من سينال منهم، هم أقاربه وذويه، وهذا يدلّ على الحقد الشّديد الذي يكنّه **بشكر** للثوّار. وفي البيتين الثّالث والرّابع يباشر **بشكر** بتنفيذ ما توعّد به، وتبدأ الدبّابات بالمسير في اتّجاه الجنود، الذين قصر عليهم **بشكر** تهديداته "يتحلّف غير فالجنديًّا".

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: عائشة زدادرة، 78 سنة، بلخير.

[2]- **خوتي**: إخوتي، **كي**: لما، **قبّل**: أقبل أو أتى ، **صد**: راح.

[3]- **قالهم**: قال لهم، **ما نخلّي حد**: بمعنى لن أترك أحدًا على قيد الحياة، **نبدا**: أبدأ، و المقصود هنا: أشرع في سفك دماء أهلي أوّلاً ، **مواليّا**: أهلي.

[4]- **لشار**: ترجمة حرفية لكلمةle char الفرنسية و تعني الدبّابة، **محدّر**: المقصود هنا مُقبِل، **النوّي**: اسم رجل، **متقدّر**: أي له قدرة المواجهة لما يعتمده من وسائل حربيّة.

[5]- **لِقدّر**: الذي يتحكّم في القَدَر، **يتحلّف**: يتوعّد و ضمير الغائب هنا يعود على الخائن بشكر، **غير** : سوى، **الجنديّا**: الجنود.

[6]- **القومي**: الخائن، **لي**: الذي، **جهار**: علانيةً.

[7]- **ايجيب**: يأتي بـ، أو يحضر، **يهز عليه الماليّة**: يقبض أموالا مقابل خيانته.

أمّا في البيتين الأخيرين فوردت فيهما نعوت للعملاء بشكل عام، ألا وهي؛ حبُّ الغدر "لي يحب الغدار"، وخيانة الوطن علانية، وعلى مرئى ومسمع العامّة "يبيع وطنو جهار"، وقيامه بأعمال شنيعة يروح ضحيّتها أعداد كبيرة من المجاهدين والفدائيّين "و ايجيب بيعات كبار"، وكذلك نعته بالطّمع، وحبّه للمال مهما كانت وسائل تجميعه "و يهز عليه الماليّة"، وهي صفات سبق لنا ذكرها.

و يقول مبدع الأغنية:[1]

**قُومِي فرِيطِيسْ كِي سَرْكَلْ فِي قُرْبِـــي دِيـــسْ**[2]

**شُـــوفُـــوا الرْخِيـــسْ وَ بَـــايَعْ دِينُوا لَلْكُفَارْ**[3]

تحدّث مبدع الأغنية عن العميل الذي خان وطنه على حساب دينه، وهو يُدعى **فريطيس**، كان كثير الحركة داخل البيوت الجزائرية المبنيّة بالطّين والدّيس ، وذلك لنقل أخبار الثوّار من أجل مبلغٍ زهيدٍ من المال. إنّ لفظة **فريطيس** في حدّ ذاتها مدعاة إلى السّخرية، وقد وردت بصيغة التّصغير لاسم الفاعل "فرطاس" بمعنى أصلع الرّأس، والتّصغير هنا جاء من باب السّخرية، والاستهزاء، زيادةً على نعت هذا العميل بـ"الرخيس" أي الذّليل الذي لا وزن له، ولا قيمة.

وتتجلّى المعاني نفسها في مقطعٍ شبيه:[4]

**قُومِـــي لَفْرِيـــطَسْ كِسَرْكَلْ عْلَى قُرْبِي دِيسْ**

**شُوفُـــوا الرْخِيـــسْ بَـــايَعْ دِينُو بَالشَّهْرِيَّة**[5]

**اللَّـــــه ينْصَـــرْ**

**كَـــامْيُو وِيشَـــارْ و الموزِينَا تَشْعَلْ بَالنَّارْ**[6]

**اللَّـــهْ ينْصَـــرْ**

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

[2]– **قومي**: الخائن، **فريطيس**: لقب ذلك الخائن، **كي**: لما، **سركل**: دار أو لفّ، **قربي**: كوخ، **ديس**: نَباتٌ مِنْ فَصيلَةِ النَّجْلِيَّاتِ ، مُعَمِّرٌ ، يَكْثُرُ في المناطِقِ الرَّطْبَةِ والمائِيَّةِ ، تُصْنَعُ مِنْ أَلْيافِهِ الحُصُرُ. معجم المعاني الجامع و معجم الوسيط، الموقع: http://www.almaany.com/home.php

[3]– **شوفوا الرخيس**: انظروا إلى الحقير، **بايع**: بائع، **دينو**: دينه.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[5]– **الشهريّة**: الرّاتب الشّهري.

[6]– **كاميو**: نقل حرفي لكلمة camion الفرنسية و تعني الشّاحنة، **يشار**: الدبّابة، **الموزينا**: نقل حرفي للكلمة الفرنسية mozin و هي نوع من الأسلحة ، **تشعل**: تلتهب.

**شُوفُــوا أَرْخِيــسْ بَــايَعْ دِينُـو مْعَ القُومِيَّة**

وذُكِر خائنٌ آخر يُدعى سي نعمان:[1]

**يَـا سِي نُعْمَانْ يَا سِي نُعْمَانْ يَــا لِّي مَتْخَبِّــي بِينْ الكِيفَـانْ[2]**

**خَبَّرْ الشَّافْ و زَادْ القُبْطَانْ و دَارْ العَسْكَرْ عْلِينَا كِيمَا الذَبَّانْ[3]**

يذكر صاحب المقطع وشاية نعمان بالمجاهدين من خلال سلسلة من الأفعال المتتالية؛ الاختباء "تخبّي بين الكيفان"، وإخبار القادة الفرنسيّين على اختلاف مراتبهم "خبّر الشّاف وزاد القبطان"، وفي هذه الأفعال المتلاحقة إشارة إلى نشاط **سي نعمان** وعمله الدّؤوب في خدمة العدو ولنيل رضاه، وقد شبّه تجمع القوّات بالذباب كناية عن الكثرة.

وهذه إحدى الأغاني الأكثر شهرة في بلدية تاملوكة التي تغنت بجريمة أحد خونة الثورة، وهو زحزاح:[4]

**قِــصَــة زَحْــــزَاحْ لِسَكَّرْ ودَا المَفْتَاحْ[5]**

**و جَابنَّا لِشَارْ ذَبَاحْ[6]**

**قَتَّـــالْ الخَــاوَا هْـــــرَبْ و رَاحْ[7]**

**زحزاح** ذلك الاسم المشهور والمعروف بالخيانة، فهو أحد العملاء المعروفين في منطقة الشّاوية حيث قام بإعداد وليمة للعشاء قدّم خلالها أشهى المأكولات للمجاهدين (كسكس، شخشوخة، لحم...) وغيرها من المأكولات الشّعبية المتعارف عليها في المنطقة، وذلك في أثناء وجودهم بالمركز ككل مساء، وبينما هم يتحدّثون نصب لهم كمينًا لم يكن يخطر ببالهم، حيث قام بوشايتهم للعدو – العسكر– هذا الأخير الذي قام بمحاصرة المكان وقتل كل من هناك، نذكر منهم **سعيد الصغير، بوجمعة الصغير، اسماعيل الصغير،محمد عباد ، محمود عباد،** وهم من عائلة واحدة (أبناء عم).[8]

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة زدادرة، 78 سنة، بلخير.

[2]– **سي نعمان:** أحد الخونة، **يالي متخبّي بين الكيفان:** يا من يختبئ بين الكهوف.

[3]– **الشّاف:** نقل حرفي لكلمة chef الفرنسية و تعني رئيس ، **كيما:** مثل، **الذبان:** الذباب.

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي، 57 سنة، هيليوبوليس.

[5]– **لي:** الذي، **سكّر:** لفظة شاوية بمعنى أغلق، **دا:** أخذ.

[6]– **جابنّا:** أحضر لنا، **ليشار:** الدبّابة، **ذبّاح:** على وزن فعّال و هي صيغة مبالغة للفعل ذبح.

[7]– **الخاوا:** الإخوة، **راح:** ذهب و المقصود هنا فرّ.

[8]– منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

## 3- مصير العُملاء:

إنّ مصير كلّ عميل الهلاك سواء في الدّنيا أو الآخرة، وحتّى لو استطاع العيش فإنّ حياته تعيسة، لأنّ صيْحَة الضّحايا ستظلّ تتبعه، وتُثقل كاهله أنّى ذهب، وحيثما كان، فزمن الثّورة وإن طال ماضٍ، والخسران الأكبر للعميل، يقول مبدع الأغنية في ذلك:[1]

**يَا نَاسْ قُومُوا بَالوَاجَبْ و هَاذْ الشّي رَاهُو عَاقَبْ**[2]

**و مَا تَطَّفَرْ غِيرْ في القُومِيَّة**[3]

ويؤّكد مبدع الأغنية بأنّ للعميل عذابًا شديدًا في الآخرة نتيجة خيانته للدّين والوطن، فيقول:

**الحرْكِي يَا الغَارَقْ فَالجبَالْ هُمَّا فَالجنَّة وانْتَ فَالنَّارْ**[4]

**يَا لحرْكِي يَالغَارَقْ فَالجبَالْ بعْت الجنَّة واشْترِيت النَّارْ**

**رَاهُ اللّيلْ وَ الحـالْ يْصَبَّحْ او خَايْفَة الاتْمُوتُو كُفَّارْ**[5] "[6]

فهذا العميل تنكّر للثّورة المجيدة، ورضخ لسياسة الإغراء من طرف المستعمر، غير آبهٍ بما ينتظره من حساب، لذا فمآله جهنّم وبئس المصير، جزاء غدره وتنكّره للدّين والوطن.

و في البيت الأخير تُعلِم المغنية بأنّ المدّة الزّمنية للكفاح المسلّح محدودة ، والنّصر لا محالة قادم.

## 4- ما قيل في زوجة العميل:

حملت زوجات العملاء نصيبهن من أوزار أزواجهنّ ، وذلك لِما لحقهنّ من نعوت قبيحة ومستهجنة في كثيرٍ من الأغاني الشّعبية ، ويجدر بنا القول إنّ زوجات العملاء لم يخضعن جميعهن لنفس المقياس، فهناك كثيرات لم يرتضين فِعال أزواجهن، بل ومنهنّ من شارك في العمليات الثّورية والفدائيّة، وهذا يُذكّرنا بآسيا زوجة فرعون الطّاغية، التي آمنت بالله وحده، وسلّمت بدين الحق.

نذكر بعض ما جاء في ذِكر زوجة العميل:[7]

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 95 سنة، قالمة.

[2]- **هاذ**: هذا، **الشّي**: الشيء و المقصود به هذا الأمر، **راهو**: إنّه، **عاقب**: ماضٍ.

[3]- **ما تطفّر غير في القوميّة**: بمعنى لن يقع في المأزق إلا الخونة.

[4]- **الحركي**: القومي، **فالجبال**: في الجبال، **همّا**: هم، **فالجنّة**: في الجنّة، **فالنّار**: في النّار.

[5]- **راهُ**: إنّه، **الا تموتو**: إلا أن تموتون.

[6]- شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثّورية بين فترتي الثورة و الاستقلال (1954-1962) منطقة وادي الشولي – نموذجًا-جمع ودراسة، المرجع السّابق، ص 169

[7]- منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

**مَا تَبْكِيــشْ يَالميـــمَة مَاتَبْكِيشْ عْلَى ابْنَكْ شَهِيدْ**[1]

**تَبْكِـــي مَرْتْ القُومِـي اللّي بَـــاعْ دِينُـــو للرُّومِـي**[2]

ورد في البيت الأوّل أسلوب إنشائي طلبي، جاء بصيغة النّهي، وهو نهي أمّ الشّهيد عن البكاء على ابنها، لأنّه ضحّى بحياته في سبيل الله، ونصرةً للحق، بل لها أن تستبدل دموعها بالبهجة والسّرور لِمَا ينتظره من نعيم، فهو عند الله حيٌّ يُرزَق، مصداقًا لقوله عزّ و جل: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)**﴾[3]

وفي البيت الثّاني تحديدٌ لمن هي أوْلى بالبكاء والعويل؛ زوجة العميل لأنّه جلب لها ولنفسه العار لأنّه تجرّد من هويّته الوطنيّة، و باع دينه بثمنٍ بخسٍ للعدو.

ووردت مفاضلة بين زوجة العميل، وزوجة الجندي في إحدى الأغاني الشّعبية، فقوبِلت الأولى بالذمّ والقدح، في حين قوبِلت الثّانية بالثّناء والمدح. تقول الأغنية: [4]

**يَا مَرْتْ الجنْدِي أَيْ تْطُلْ عَ الطَّاقَة يَا مَرْتْ القُومِـي تطْلَبْ فَالصَّدَاقَة**[5]

**يَا مَرْتْ القُومِي لَابْسَـــة المَالَاسْ يَا مَرْتْ الجنْدِي تحَوَّسْ في لَعْرَاسْ**[6]

**يَا مَرْتْ القُومِي لَابْسَة السِّيمِيجَاتْ يَا مَرْتْ الجنْدِي هَازَّة المطْرَيَاتْ**[7]

في البيت الأوّل تبدو زوجة الجندي سيدةً في عزّ دارها، تطلُّ على النّافذة، لترى زوجة العميل ترتدي أثمالاً باليةً، وتطوف في الأزقّة رافعةً يدها للصّدقة.

---

[1]– **ما تبكيش**: لا تبكي، **لمّيمة**: أمّي.

[2]– **مرت**: زوجة، **القومي**: الخائن، **اللي**: الذي، **دينو**: دينه، **الرّومي**: لقب أطلقه الجزائريّون على الأجانب وقد خُصّ به المستعمر الفرنسي..

[3]– سورة آل عمران، الآيات 169-171

[4]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة ، 63 سنة، قالمة

[5]– **مرت**: زوجة، **أي**: بمعنى إنّها، **ع الطّاقة**: على النّافذة، **القومي**: الخائن، **ف الصّداقة**: في الصّدقة.

[6]– **الملاس**: نوع من القماش البسيط، **تحوّس**: تتجوّل، **لعراس**: الأعراس أو الأفراح و المناسبات.

[7]– **السّيميجات**: مأخوذة من الكلمة الفرنسيّة chemise و تعني قميص، **هازّة**: حاملة، **المطريات**: تحريف لكلمة لكلمة Mitrailleuse الفرنسية و تعني رشّاش.

وفي البيت الثّاني تذكر الأغنية أنّ زوجة العميل، وهي تلبس نوعًا بسيطًا من القماش، كنايةً عن فقرها أو شحّها، في حين تجول زوجة الجندي في الأعراس، دلالة على سيرتها العطِرة، فلولاها لما عُزِمت في تلك الأفراح والمناسبات.

أمّا في البيت الأخير فباب المفاضلة واضح؛ فبينما ترتدي زوجة العميل نوعًا من القماش لا ندري قيمته، لكنّ الرّاجح أنّ المقصود به كونه قماشًا مشترى ممّا يقدّمه المستعمر للعميل من مالٍ زهيدٍ، في حين تسهم زوجة الجندي في العمليّة الثّورية حاملةً بيدها أخطر أنواع الأسلحة، دلالةً على شجاعتها وإقدامها.

وعلى عكس الزواج بالعميل الذي يشكّل وصمة عار، فإنّ رغبة النّساء كانت شديدة في الزّواج بالجندي لأنّه بطل مشّرف لوطنه، تقول إحداهن: [1]

**أَيُمَّــا مَنَزَّوَزْشِ مَانَدِّيشْ مَنْ الدُّوَارْ نَسَّنَى تَسْقَلْ دْزَايَرْ نَدِّي وَاحَدْ مْنَ الثُّوَّارْ**[2]

ومن النّعوت القبيحة والألفاظ المقذعة التي وُجّهت إلى زوجات العُملاء:[3]

**يَا نْسَــا القُومِيَّة يَــا عَرْبِي النِّيبَانْ كِــي تْرُوحْ فْرَانْسَــا وَ تْضَالُو رَعْيَانْ**[4]

فالخطاب هنا موجّه إلى زوجات العُملاء، وقد نُعِتوا بعبارة "عربي النّيبان" أي ذوات الأنياب الذّهبية، وهي كناية عن المكانة المرموقة الحاليّة، التي ستتحوّل بعد الاستقلال إلى طبقة دونيّة (رعيان).

---

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[2]– **أيُمّا**: أمّي، **منتزوجش**: لا أتزوّج، **من الدوّار**: من الرّيف، أي لا أريد الزّواج من عامّة النّاس الذين يقبعون في الرّيف عادةً، **نسنّى**: أنتظر، **تسقل**: تستقل، **دزاير**: تحريف لكلمة الجزائر، **ندّي**: آخذ و المقصود هنا أتزوج.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة

[4]– **نسا القوميّة**: زوجات الخونة، **عَرْبْ**: مجموعة و **عربي النيبان**: أي أنيابهن من ذهب، **كي**: عندما، **تضالوا**: تغدون، **رعيان**: رعاة غنم.

**ثالثًا/ سلاح العدو:***

السّلاح هو تلك الوسيلة المعتمدة لمجابهة الخصم، وقد اختلفت، وتعدّدت أشكالها، وطرق استعمالها بحسب المكان، والزّمان، وقد استعملت فرنسا كل ما يمكنها استعماله من أسلحة فتّاكة، لتقضي بها على الثّورة المشتعل فتيلها منذ الفاتح من نوفمبر 1954م.

ذُكِرت أسلحة العدو الفرنسي بمختلف أشكالها في عدّة أغانٍ شعبيّة، والهدف من ذلك إبراز مدى القمع الذي تمارسه فرنسا على شعبٍ مجرّدٍ من أبسط أنواع الأسلحة —في أغلبه–من جهة، ومن جهةٍ أخرى تبيان مدى مواجهة الجنود الأبطال لمثل هذه الأسلحة الحربيّة الفتّاكة.

ذكرت الأغنية الشّعبية الوسائل الحربيّة التي كان يستخدمها العدو، وأبرزت خطورتها، منها الطّائرات، والدبّابات ، والمصفّحات ، والّشاحنات، وبعض الأسلحة كالمدافع والرشّاشات الخفيفة والثّقيلة ، الفردية والجماعية، باعتبارها وسائل مدمّرة يصعب على جيش التّحرير الوطني مقاومتها بسهولة ، حيث تخلّف الخراب وفي مقدمتها الطائرات .

**1– الطّائرة:**

وهي من الأسلحة التي يملكها العدو الفرنسي، ويطلق عليها "الرّوبلان"[1] الذي يعني الطّائرة، وقد شاع هذا اللّفظ في الاستعمال الشّعبي تحت عدّة تسميات، منها: الصّفرا ،والخبيثة، وأم الجنحين.

واستعمل العدو الفرنسي أنواعًا عديدةً من الطّائرات المتطوّرة، المباح منها والممنوع، وكانت الطائرات ترعب الرّجال والنّساء، فهي تقصف قُراهم، ومداشرهم، كما تقوم بجولات استطلاعية، وتشارك مع بقية الوسائل الأخرى لشدّ الحصار على جيش التّحرير.

وهناك أنواع كثيرة من الطّائرات الحربية[2] ، استخدمها العدو في أثناء الثّورة التّحريرية لقصف مواقع المجاهدين

---

* – ينظر إلى الملحق رقم 03، ص 225

[1] – **الرّوبلان:** و هو تحريف للفظ الفرنسي Aeroplane و الذي يعني الطائرة.

[2] – **أنواع الطرائرات** :

1. طائرة الطراد: و هي الطائرة التي تطارد العدو .
2. الطائرة النفاثة: التي تنفث اللهب.
3. الطائرة النافورية: التي تسير سريعة بقوة الإندفاع الذاتي.
4. الطائرة القانصة: التي تقنص الطائرات المعادية
5. طائرة الانقضاض: التي تنقض على جيش العدو إلى أن تدانيه و تقذفه بنيرانها عن كثب.

ومراكزهم ، والسكّان العزّل على حدٍّ سواء ، فالطائرة لا تفرّق بين أيّ شيءٍ أثناء الغارة الجويّة ، ونادرًا ما كانت تحدث النجاة من قصفها العشوائي.

وأمّا عن المهام العسكرية للسّلاح الجوّي، فمتعدّدة؛ فهناك الطائرة المقنبلة ، والمراقبة، وناقلة العساكر، والكاشفة أي تلك التي تسلّط أضواءها لمراقبة مكان ما ، وأطلق عليها السكّان أسماءً تتماشى ومهامها، وذكروا ألوانها وخطورتها. تقول الأغنية:[1]

**لَافْيُو تَضْرَبْ وَالرَّصَاصْ اِيطِيرْ هَـــذَا انهَـــارْ الطَّـــائرْ**[2]

هذا مشهد من المعركة ، حيث صار الرصّاص يتطاير من كلّ الجهات بفعل قصف الطّائرة المباغتة للمجاهدين الذين يتعذّر عليهم إسقاطها ؛ لأنهم منشغلون بقتال العساكر وجهًا لوجهٍ، ثم إنهم لا يملكون السّلاح المناسب في غالب الأحيان للردّ على هجماتها.

وأحيانًا أخرى ، تشارك عدّة طائرات في المعركة مع بقية الوسائل الأخرى كالدبّابات ، فهي تتابع من الجو كل ما يجري على ساحة المعركة ، قصد الاستطلاع ثم المطاردة بواسطة القصف.

تقول الأغنية:[3]

**غَطِّي اعْقَابَكْ يَا عُكَاشَة سَبْع طَيَّارَاتْ فَالسْمَا يَضْرِبُو**[4]

تحذّر الأغنية المجاهدين حتّى لا يقعوا ضحيةً للطّائرات ، فتنصحهم من خلال أغنيتها بإزالة أثر السّير والتنقّل منفردين ، أو على شكل مجموعةٍ متكوّنةٍ من اثنين أو ثلاثة أشخاص، والتنكّر والتّحايل اتجاه الطيّارين كأن يتظاهر المجاهدون بأنهم رعاة . وتعدّ الطائرة الصّفراء[5] في مقدّمة تلك الطائرات الحربيّة على اعتبار أنها لا تطاق، فهي من أخطر الأنواع في مطاردة المجاهدين، لذا نجدها ترد بكثرة في الأغنية الشّعبية الثّورية.

تقول الأغنية:[6]

---

6.القلعة الطائرة: و هي طائرة كبيرة، تحمل قذائف ثقيلة تقذف بها العدو و منها المقنبلات ب26، ب29، ب 56.

الطائرة الإستطلاعية ت6 (T6) طائرة البنانة (banane) و هي هليكوبتر (مروحية) على شكل موزة .

7. طائرة لامولان – طائرة لابان (la banne)

[1]– منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[2]– **لافيو**: نقل حرفي لكلمة l'avion الفرنسية و تعني الطّائرة ، **ايطير**: يتطاير.

[3]– منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[4]– **اعقابك**: من الأعقاب، المقصود بعبارة **غطّي اعقابك**: احمِ ظهرك، **فالسما**: في السّماء، **يضربو**: تطلق القنابل.

[5] – **الطائرة الصّفراء**: طائرة حربية ذات اللون الأصفر التي كانت تطارد المجاهدين و تقصف مواقعهم بعد العمليات الاستطلاعية.

[6]– منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

**يَـــا الطَيَّـــارَة الصَّفْرَا أَحْبِســـي مَـــا تْبَرْدِيشْ[1]**
**عَنْدِي فَـــرْد أُوخَـــيْ و لَمِّيمَة عَاقَرْ مَا تَضْنِيشْ[2]**

وفي مثالٍ آخر: [3]

**الطَيَّـــــارَة الصَّفْـــرَا و تْحَوَّمْ عْلَى جِيشْ الكُفْرَة[4]**

وكان للطّيران الفرنسي تاريخٌ أسودٌ مع الجماهير الشّعبية، إذ عاث في الأرض فسادًا، من خلال قصفه وحرقه أثناء الغارات، تطبيقًا لسياسة الأرض المحروقة، ولا يزال إلى يومنا هذا عشرات المجاهدين من كبار معطوبي حرب التّحرير اللذين تعرّضوا للتّشويه، والحرق جرّاء ذلك القصف.
تقول الأغنية:[5]

**الطَيَّارَاتْ مْقَحْقِحِينْ وجُنُودَكْ دَارُو لَالِينْ[6]**

وعندما تهتم الأغنية الثّورية بالوسائل، والعتاد العسكري الذي كان يستخدمه العدو فالسّبب فيما نعتقد يعود إلى فعالية هذه الوسائل، وإلى خطرها من جهة، وإلى غرابتها عن سكّان المنطقة من جهة أخرى.
ومن بين الطّائرات الحربيّة أيضًا الهليكوبتر[7]. تقول الأغنية:[8]

**زَادْ بَدْلُـــوا الكُـــــوبْتِيـــرْ تْحَـــطْ فـــــي كُـلْ ثْنِيَّـة[9]**

**قَالهَا بَلْخِيرْ وَ الله مَا تَدِّينِي حَيْ لُو كَـــانْ مَـــارُحْتْ ضْحَيَّة[10]**

---

[1] – **احبسي**: توقّفي، **ما تبرديش**: لا تضربي أو توقّفي عن القصف.
[2] – **فرد أوخي**: أخي الوحيد، **لميمة**: أمي، **ما تضنيش**: لا تنجب الأطفال.
[3] – منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.
[4] – **تحوَّم**: تحُوم أو تحلّق.
[5] – منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي، 75 سنة، قالمة.
[6] – **مقحقحين**: بمعنى أنّ الطّائرات متواجدة بكثرة ، **داروا لالين**: اتّخذوا صفّا واحدًا أو اصطفّوا، فكلمة لالين مأخوذة من كلمة ligne بمعنى الخط.
[7] – **الهليكوبتر**: طائرة مروحية التي تعمل على نقل جنرالات و مسؤولي العدو الفرنسي.
[8] – منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي، 75 سنة، قالمة.
[9] – **زاد بدلوا الكوبتير**: بمعنى أنّ الاستعمار لم يكتفِ باستخدام الطّائرات بل زاد عليها طائرات الهيليكوبتر أو المروحيّات، **ثنيّة**: ناحية.
[10] – **قالها**: قال لها، **ما تدّيني حي**: بمعنى لن تنالي منّي حيًّا، **لو كان ما رحت ضحيّة**: بمعنى إلاّ لو متتُّ شهيدًا.

ذكرنا في مقدّمة هذا الفصل كيف أنّ مبدعي الأغنية ذكروا أسلحة العدو لتبيان مدى شجاعة الثوّار في مواجهتها، وهذا المقطع خير دليل على ذلك، فالمجاهد بلخير يتحدّى طائرة الهليكوبتر، ويتصدّى لها بكلّ شجاعة، مُعلنًا أنّها لن تنال منه حيًّا.

لا يرد لفظ الطّائرة صريحًا في بعض المقاطع، و إنّما كنايةً، كما هو البيت الأول من هذا المقطع:[1]

**كِي جَاتْ أُمْ الجنْحِينْ و اتْبِيكِي عَالمجَاهِدِينْ**[2]

**و هُمَّا ثْنِيـــنْ ثْنِيـــنْ و خَرْجُوا لَلْحَرْب جْهَارْ**[3]

يصف المغني هذه المعركة[4] التي خاضها المجاهدون ضدّ الجيش الفرنسي، فذكر العتاد الحربي الذي استعمله العدو المتمثل في الطائرة المكنَّى عنها بـ"أم الجنحين" أي أمُّ الجناحين، ولفظة أمُّ في هذا السياق تعني صاحبة، و لفظة "اتبيكي" تدل على أنها من نوع طائرات الاستكشاف والمطاردة.

من بين معارك ثورة التّحرير "معركة جبل دباغ" في الخامس من ماي 1958م، واعتمدنا ذكر هذه المعركة[5] بالذّات لذكر الطّائرة فيها بكثرة.

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[2]- **كي**: عندما، **جات**: جاءت، **أم الجنحين**: ذات الجناحين، كناية عن الطّائرة، **اتبيكي**: تهبط و تصعد في الهواء للانقضاض، فهي مأخوذة من الفعل الفرنسي piquer أي تنقضّ ، **عالمجاهدين**: على المجاهدين.

[3]- **همّا**: هم، **ثنين ثنين**: مثنى مثنى، **جهار**: علانيةً.

[4]- في 24 جانفي 1958 بدأت قوافل جيش العدو تأتي إلى ناحية ماونة من عنابة وسكيكدة، وسوق أهراس ، وقسنطينة زيادةً على الجيوش الموجودة في قالمة و المراكز المجاورة، و تقدّر بحوالي عشرة آلاف جندي، معززة بالطائرات من نوع الكشافة؛ اثنان ت 6،و أربعة هليكوبتر، و ثمانية عشر (18) من طائرات مروحية، و اثنان (02) من نوع لبلول ، وطائرتان ب 26، أمّا جيش التحرير فكان متكوّنًا من كتيبة القسم الأول (القابل) لناحية ماونة متكونة من ثلاث فرق تحتوي ستة و تسعين (96) مجاهدًا، كل فرقة مزوّدة ببندقيتين رشاشة، المجموع خمسة من نوع MG 42 ألمان- قارة أمريكة ورشاشات من نوع ماط 49 فرنسية – بريطة إيطالية- و تشيكية، وكان مع كتيبة جيش التحرير لناحية ماونة خمسون (50) مجاهدًا من قافلة أتت من الولاية الثالثة ذاهبة إل تونس، فيهم فوج بالسلاح و الباقي دون سلاح – و مسؤولي الفرق هم :

1) علي زغدودي مسؤول فرقة وقائد الكتيبة 2) محمد بوالزيت المدعو محمد القارة 3) محمد لخضر صوالة المدعو بطاطا.

[5]- إثر عملية قام بها جيش العدو في جبل دباغ ناحية بوعريبد وقع اشتباك فرقتين من جيش التّحرير متكونة من 62 مجاهدًا؛ الأولى تتكوّن من ثمانية عشرة مجاهدًا من ناحية دباغ بقيادة "ابراهيم مدور" و الثانية متكوّنة من 44 مجاهدًا من ناحية ماونة بقيادة "حوسين نوري" المدعو القرفي ودامت المعركة يومًا كاملاً، قتل خلالها حوالي ستون عسكريًّا

تقول الأغنية:[1]

**الطَّيَّارَة اللِّي جَاتْ وَ تحُومْ عَـالزْرَبْ أُضْرَبْ يَا مُحَمَّدْ يَـــا بَـــارَدْ القَلْبْ**[2]

**الطيارة اللي جات و تحوم عَـالكَافْ أُضْرَبْ يَا عْلِي وَعْـــلَاشْ تْخَـــافْ**[3]

**الطيارة اللي جات و تحوم عَـالقَرْمُودْ شَـــافْهَا بْرَاهِيمْ رَايَـــــسْ الجنُـــودْ**[4]

**الطيارة اللي جات و تحوم عَالجِيشْ وَخْذِي عْلَى بْرَاهِيمْ مْطَيَّشْ فَالحشِيشْ**[5]

تكرّرت لفظة الطّائرة في كل بيت للتّأكيد على الوقع الرّهيب الذي تثيره في نفوس المواطنين، فهي تطوف فوق كلّ الأمكنة للكشف عن مخابئ الجنود وأماكن وجودهم، لذا فالمغنّي حريصٌ على تنبيههم، وحثّهم على المواجهة، ذلك في قوله: "أضرب يا محمد"،"أضرب يا علي"، وقد استنهضهم بعبارات حادّة حتّى يستفز مشاعرهم "يا بارد القلب"،"وعلاش تخاف"، فالعبارة الأخيرة جاءت بأسلوب إنشائي طلبي صيغته الاستفهام، الغرض منه الحث على الثّبات.كما ذكر المغنّي الشّهيد إبراهيم مدور، وشجاعته في المواجهة، وإقدامه دون خوفٍ أو تردّدٍ، لينتهي به المطاف شهيدًا نتيجة قصف الطّائرة.وإجمالاً فإنّ هذا النص يشير إلى الخناق الشّديد الذي يمارسه العدو على المجاهدين جوًّا، فالطّائرات تحوم على القرى، للقيام بعملية المراقبة، والمطاردة، والقصف.

## 2- ليشار[6]:

استعان العدو بالدّبابات ، والمصفّحات في المعارك لملاحقة الثوّار وقصفهم ، كما كان يستخدمها في حصار، وتطويق القُرى، والمداشر، وحتى داخل المدن لضرب جيوب المقاومة وزرع الرّعب في أوساط السكّان، لكن الأغنية الشّعبية تؤكّد، وتنوّه بعزيمة المجاهدين في التصدّي للعدو الفرنسي، ووسائله الجهنّمية، التي سلّطها عليهم كسلاح "ليشار"، وهي كلمة فرنسية (echar) تعني الدبّابة. تقول الأغنية:[7]

---

وجرح حوالي عشرين آخرين ،واستشهد أحد عشر مجاهدًا من بينهم "إبراهيم مدور" مسؤول فرقة بناحية دباغ واثنان وثلاثين مجاهدا من ناحية ماونة.

[1]- منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[2]- **الطيّارة اللي جات:** الطّائرة التي قدِمت، **عالزرب:** على السّياج.

[3]- **عالكاف:** على الكهف، **وعلاش:** لماذا.

[4]- **عالقرمود:** القرميد و المقصود أصقفة المنازل، **شافها:** رآها، **رايس:** رئيس.

[5]- **عالجيش:** على الجيش، **وخذي:** تقال للندبة أو الفجيعة، **مطيّش:** مُرمى، **فالحشيش:** في الأعشاب.

[6]- **ليشار:** نقل حرفي للكلمة الفرنسيّة le char أي الدبّابة.

[7]- منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

**لِشَـــارْ جَـــانَـــا مْـزَدَّحْ سِي بَلْخِيـرْ يَضْرَبْ وَ يْرَتَّحْ**[1]

**قَـالهَا طِيرِي يَا فْرَنْسَا طِيرِي وَ بْرَبِّـــي نَدِّي لالجِيـرِي**[2]

لابدّ من مجابهة العدو أينما كان، في الجبال، والمدن، والقرى، والمداشر، وحتّى في المعتقلات والمحتشدات، فكانت الدبّابات من أبرز وأشهر تلك الوسائل على مستوى البر. تقول الأغنية:[3]

**لِشَـــارْ جَانَا مْثَـــوَّرْ الغْبَارْ سِي بْرَاهِيمْ بَالرَّفَـــالْ كْوَاهْ**[4]

**الطَّيَّـــارَة تْـــدُورْ عَالفِلَّـة شَافَتْ بَرْهُومْ حَسْبَتُّو بَنْ بَلَّة**[5]

فالطّائرات تراقب، وتقصف من السّماء، والدبّابات تلاحق، وتقذف في الأرض أي في ميدان المعركة، وهذا يدلّ على اشتداد المعركة، واشتراك الأسلحة المختلفة فيها. تقول الأغنية:[6]

**لِيشَـارْ مْجَبِّي جَـابُوهْ مْعَبِّي**[7]

**و**تقول الأغنية في وصف هذا السّلاح الخطير كغيره من الوسائل الحربية التي استعملها العدو الفرنسي في حربه ضد الجزائريين:[8]

**لِشَارْ جَا يْزَفَّتْ و يمْشِي و يَهْفَقْ الهرْبَة يَامُومْنِينْ**[9]

تصوّر الأغنية في هذه البيت مدى سرعة القذيفة التي يطلقها ليشار من مسافات متفاوتة حيث لاتسمع إلا صفيرها، يسير في الأماكن الوعرة، ويحدث خسائر فادحة سواءً أكانت بشريّة أم ماديّة،كالمباني وغيرها، وقد استعان العدو الفرنسي بهذا السّلاح الفتّاك أثناء محاربة المجاهدين.

---

[1] – **مزدّح**: مليئ بالخرتوش، **يرتّح**: يأخذ قسطًا من الرّاحة، إشارةً إلى كثرة الطّلقات التي كان بلخير يوجّهها لتلك الدبّابة.

[2] – **قالها**: قال لها، **طيري**: من الطّيران، والمقصود هنا انسحبي عن أرض الجزائر، **ندّي**: أنال و المقصود هنا أستعيد، **لالجيري**: نقل حرفي للكلمة الفرنسية Algérie أي الجزائر.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

[4] – **مثوّر الغبار**: مثير للغبار، **الرّافال**: نقل حرفي لكلمة rafale الفرنسية و تعني سلاح يُصدر مجموعة طلقات متتالية ، **كواه**: من الكَيْ

[5] – **تدور**: تلف حول، **الفلّة**: شجر ورد الفل، **حسبتّو**: ظنّته.

[6] – منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

[7] – **مجبّي**: ذاهب، **معبّي**: مملوء بالعساكر.

[8] – منقولة عن طريق السّماع: عائشة زدادرة، 78 سنة، بلخير.

[9] – **جا**: جاء، **يزفّت**: يُصدِر صوتًا، مأخوذة من الزّفيف ، **يهفق**: يهتزّ ، **الهربة**: الهروب أو الفرار.

تقول الأغنية في هذا الصّدد:[1]

**فْرَنْسَـا جَـابَتْ لِيشَـارْ و شَقَّـتْ بِيهْ الـدُوَّارْ[2]**

**و تْسَقْسِي وِينْ الثُوَّارْ وِيـــنْ البُـــولِيسِيَّة[3]**

كان جيش العدو يستعمل لِيشار في محاصرة القرى، والمداشر ، وتطويقها ، بحثًا عن الثوّار، فقد لقي المجاهدون صعوبةً كبيرةً أمام دبّابات العدو التي بإمكانها حرق كل ما يعترض طريقها.

وعن الخسائر الفادحة التي يخلفها ليشار. تقول الأغنية:[4]

**أَذَاكْ فِـي وَادْ العَـارْ فَرْصُونَا بْلَانْدِي ولِشَارْ[5]**

**رَاهُمْ شُبَّـانْ صْغَـارْ شَعْلُـو فِيـهَمْ بَالنَّـــارْ[6]**

## 3- السّيلان:

لم يكتف العدو الفرنسي بوسائل التّعذيب التي استعملها ضدّ الشّعب الأعزل من قنابل وطائرات، بل عمد أيضًا إلى غرس الأسلاك المكهربة، راح ضحيتها كثير من المجاهدين والمواطنين العزّل، ويذكر مبدع الأغنية هذه الأسلاك التي جعلت قدمَيْ هذا المجاهد تنزف دمًا. يقول:[7]

**خْرُجْتْ مْنَ السِّيلاَنْ نَتْلَبَّدْ وَ الدَّمْ عْلَى رَجْلِي مْكَبَّدْ[8]**

ونتيجة الصّعاب التي تعرّض لها المجاهدون، فإنّ فكرة عبور تلك الأسلاك الشّائكة، والمكهربة، تثير الحزن في قلوبهم، ولاسيما بعد أن خسروا رفقاءهم أثناء عبورهم لها.

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي، 57 سنة، هيليوبوليس.

[2]- **جابت**: أحضرت أو أتت به، **شقّت**: شقّ الطّريق أي قطعها، و المقصود بعبارة شقّت بيه الدوّار أي دخلت به، **الدوّار**: الرّيف.

[3]- **تسقسي**: تسأل، **وين**: أين، **البوليسيّة**: مأخوذة من كلمة police الفرنسية و تعني الشّرطة.

[4]- منقولة عن طريق السّماع: عمار خطاطبة، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[5]- **أذاك**: ذاك، **فرصونا**: استعجلونا، **بلاندي**: نقل حرفي لكلمة blindé الفرنسية، وهي آلة مصفّحة تحمل عساكر العدو، لشار: نقل حرفي لكلمة le char الفرنسية و تعني المدفعيّة أو الدبّابة.

[6]- **راهم**: إنّهم، **شعلوا**: أشعلوا.

[7]- منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، قالمة.

[8]- **السّيلان**: الأسلاك المكهربة، **نتلبّد**: أستَتِر، **مكبّد**: الدّم الفاتر، يجمد فيصير شكله مثل شكل الكبد.

ونتيجة الصّعاب التي تعرّض لها المجاهدون، فإنّ فكرة عبور تلك الأسلاك الشّائكة، والمكهربة، تثير الحزن في قلوبهم، ولاسيما بعد أن خسروا رفقاءهم أثناء عبورهم لها.

تقول الأغنية في ذلك:[1]

**قَلْبِـــي مَتْغَيَّرْ كَـــزْدَانْ كِي حْكَمْنَا طْرِيقْ السِّيلَانْ**[2]

كما تصف الأغنية حجم المخاطر النّاتجة عن عبور السّيلان:[3]

**نْهَـــارْ حْكَمْنَا طْرِيقْ بُوشَقُّوفْ لَمِّيـــمَة تْخَمَّمْ وَ تْشُـــوفْ**[4]

**تْلَاقَانَا القَاوْرِي خْشَمْ الحَلُّوفْ في يَـــدُّو الشَّفْـرَة المرْحِيَّـــة**[5]

**جَاتُوا المشَـارَة تمْشِي وَ تْمَرْكِي المِينَا وْزَادْهَا السِّيـلَانْ مْسَرْكَلْ**[6]

**الشُبَّانْ مَـــا عَنْدَكْ مْنِينْ تْعَـدِّي يَـــا رَبِّـــي و أَنْتَ المعِيـنْ**[7]

تعبّر هذه الصرخة المدوّية عن معاناة الشّعب الجزائري الثّائر، وتحمّله مشاق الثّورة أثناء عبوره طريق السّيلان الذي كان يُشَكّل عقبةً كبيرةً في العبور من منطقة إلى أخرى.

ويبدو واضحًا من هذه الأبيات أنّ الشّعب عانَى الويلات من جراء استبعاد العدو الفرنسي عن أرضه المقدسة، وثباته في وجهه، فكانت الأغنية الشّعبية خير معبّرٍ عن جوهر مقاومة الرّوح الصليبية، واستطاعت تخطّي وسائل الاحتلال التي تعمل جاهدةً على إخماد الثّورة، وكبح عزيمة الشّعب.

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

[2] – **متغيّر**: أي متغيّر حاله،**كزدان**:حزين، **كي**: عندما، **حكمنا**: اتّخذنا، أو قصدنا.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 95 سنة، قالمة.

[4] – **نهار حكمنا طريق بوشقّوف**: أي يوم قصدنا طريق بوشقّوف، **لمّيمة**: أمّي، **تخمم و تشوف**: بمعنى أنّها تفكّر في مصير ابنها و الحسرة تعصر قلبها.

[5] – **تلاقانا**: التقى بنا، **القاوري**: لقب أطلقه الجزائريّون على كل أجنبي، **خشم**: أنف، **الحلّوف**: الخنزير، **يدّو**: يده، **الشّفرة**: السّاطور، **المرحيّة**: المصقولة.

[6] – **جاتو**: جاءته، **المشارة**: بالفرنسية mushara و هي طائرة طوّافة ، **تمركي**: منقولة حرفيًّا من الفعل MARQUER بالفرنسية و يعني تسجل، **المينا**: مأخوذة من كلمة la mine الفرنسية و تعني لغم، **و زادها**: وبالإضافة لها، **السّيلان مسركل**: أي أنّ الأسلاك الشّائكة كانت محيطة من كل الجهات.

[7] – **ما عندك منين تعدّي**: بمعنى ليس لديك أيّ منفذ لتعبر من خلاله.

## 4- الحديد و النّار:

كثيرًا ما تُعبّر الأغنية الشّعبية عن العتاد الحربي للعدو بكلمتي الحديد، والنّار ، كنايةً عن السّلاح الثقيل والخفيف، سواءً على مستوى البر أو الجو أو البحر ، يعتمد عليه المستعمر لقهر الشّعوب واستغلالها، وتجريدها من أرضها وخيراتها بقوّتيْ الحديد والنار.

تقول الأغنية في ذلك:[1]

**الحدِيـــدْ انْـــدَارْ لَلْكُفَّــارْ وَالْبْسُوا لَخْضَرْ يَا ابْنَاتْ الوَطَنْ**[2]

**النَّــارْ تَقْدِي وَ التْسَرْكِيلَة انَا اَبَلَّحْسَــنْ زَيَّــرْ التَّحْزِيــمَة**[3]

جاء في البيت الأوّل تخصيص الحديد للكَفَرَة، و هذا الحديد سيتحوّل يوم القيامة إلى أغلالٍ تكبّلهم، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[4]. والغلالة: ما يُلبس بين الثوبين، فالشّعار: لما يلبس تحت الثّوب، والدّثار: لما يلبس فوقه، والغلالة: لما يلبس بينهما. وقد تستعار الغلالة للدّرع كما يستعار الدّرع لها، و الدّرع من حديد، في حين يلبس أبناء الجزائر الأخضر، وفي هذا إشارة إلى أهل الجنّة، لأنّ لباسهم أخضر، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[5]

أمّا في البيت الثّاني فقد ذُكرت النّار المتأجّج لهيبها، و ما لحق بالمجاهدين من حصار وتطويق من طرف الجّيش الفرنسي في قوله "اتسركيلة"، وهم حاملين بأيديهم مختلف الأسلحة الخفيفة، كالبنادق والرشّاشات، يطلقون بها النّار، لتكون لهم يوم القيامة نارًا تلتهم أجسادهم، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا**﴾[6]

إنّ الأسلحة المذكورة في الأغاني الشّعبية عددها كبير، وقد تعرّضنا إلى بعضها ضمن مقاطع في فصول ومباحث أخرى، لذا ارتأينا الاكتفاء بهذا القدر على سبيل التمثيل لا الحصر، ناهيك عن أنّ كثرة العدد والعدّة التي تعدُّ في حدّ ذاتها أكبر سلاحٍ، فمن المعروف تاريخيًّا أنّ فرنسا كانت

---

[1]- منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة، 77 سنة، قالمة.

[2]- **اندار**: صُنِع.

[3]- **تقدي**: تشتعل أو تلتهب ، **زيّر**: أي شُد، **التّحزيمة**: الحزام.

[4]- سورة سبأ، الآية 33

[5]- سورة الكهف، الآية 31

[6]- سورة فاطر، الآية 36

تحشد كلّ قوّتها، وتتحرّك بقوافل كبيرة لتنفيذ المهام العسكرية ، أو إمداد القوّات بالسّلاح، والمؤونة أو لحصار السكّان .

تقول الأغنية:[1]

**فْرَانْسَا جَابَتْ لالْتِيرِي وَ تِيرِي يَالخنّـة تِيرِي**[2]

**وَالله مَا تَدِّي لالجِيرِي وْلَادْهَا طَلْبُوا التَّضْحِيَّة**[3]

فرغم كلّ تلك العدّة الحربية فإنّ الشّعب الجزائري ظلّ ثابتًا، لا يتزعزع.

[1]– منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس ، 63 سنة، هيليوبوليس.

[2]– **جابت**: أحضرت، **لالتيري**: نوع من المدفعية، **تيري**: ارم أو اقذِف، **الخنّة**: هذه الكلمة نادرة الاستعمال في اللهجة القالمية إذ لم نعثر عليها إلاّ في هذا البيت، و بالعودة إلى قاموس المعاني: الخنّة نوعٌ من الغُنَّة في الكلام يرجع إلى الخياشيم " في صوت هذا الخطيب خُنَّة واضحة." ، والخُنَانُ : داءٌ يأْخذ في الأنف ، وهو نحو الزُّكام، و نُرجّح المعنى الثّاني على اعتبار أنّ المقصود بالكلام فرنسا، و بالتّالي نُعِتت بالدّاء ذمًّا و تحقيرًا، و الله أعلم.

[3]– **تدّي**: تأخذ و تنال، **لالجيري**: الجزائر، **ولادها**: أبناؤها.

## الفصل الرّابع: البطولة و الفداء في الأغنية الثّورية

أوّلاً/ أبطال الثّورة

ثانيًا/ المعارك الثّورية

ثالثًا/ العتاد الحربي

لم تكن الثّورة الجزائريّة وليدة فلسفةٍ فكريّةٍ سابقةٍ أو مصاحبةٍ لها، إنّما كانت ثورة شعبيّة نابعة من قناعاتٍ إنسانيّة عفويّة، كالدّفاع عن شرف الأرض، والطّموح إلى الحريّة والكرامة، ولذلك فقد تغنّى مبدعو الأغنية الشّعبية بأحداث الثّورة الممجّدة، ورسموا هالةً من القداسة حول بعض صُنّاعها، تمجيدًا لأعمالهم البطولية.

هؤلاء الرّجال والنّساء الشّجعان، لم يتردّدوا لحظةً في حمل السّلاح وصعود الجبال متحدّين بذلك جيشًا جرّارًا، وعدّة كبيرة أعدّها العدو الفرنسي الغاشم.

قال الله عز وجل ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾[1]

## أوّلاً/ أبطال الثّورة

لم يسعنا في هذا المبحث ذِكر كل من شاركوا في الأعمال البطوليّة بالمنطقة، ذلك لكثرة عددهم، فاكتفينا بذكر بعضهم على سبيل التّمثيل لا الحصر، ولاسيما مَن تردّدت أسماؤهم بكثرة في الأغاني الشّعبية الثّورية.

### 1- الشّهيد مبروك عبدي

#### أ- نشأته وحسّه الوطني:

ولد **مبروك عبدي** بن **بشير** خلال سنة 1924م بمشتة "**دوار المدودة**" بلدية عين العربي الكائنة بولاية قالمة، وهو من أسرةٍ متواضعة، عند بلوغه السّابعة وضعه أبوه في الكُتّاب ليتعلّم القرآن الكريم إلى أن بلغ سن الخامسة عشرة ، وقد كان مولعًا بمطالعة كتب التّاريخ، ومتابعة الأحداث السيّاسية.

وعند أحداث 08 ماي 1945م كان عمره 21 سنة، وقد تأثّر بتلك المجازر التي قام بها المعمّرون والجيش الفرنسي بقالمة وضواحيها، الأمر الذي أيقظ حسّه الوطني، وجعله ينخرط في حزب حركة **الانتصار للحريّات الدّيمقراطية** سنة 1947م، و في فترة وجيزة أصبح عنصرًا بارزًا

[1]- سورة الحج، الآيتين 39-40

من بين مناضلي الحزب، وعُيِّن مسؤولًا على ناحية **شنيور** بلدية عين العربي، وواصل نضاله في الحزب حتّى انفجار ثورة أول نوفمبر 1954[1].

**ب– نضاله في الثّورة التّحريرية:**

كان من المكوّنين لتحضير الثّورة، ومن المناضلين الأوائل الذين اتّصلوا بـ: **عبد السلام بخوش** المدعو "**السّاسي القسنطيني**" المسؤول عن ناحية "**السمندو**"، واتّصل أوّل مرّة بقسم "**ماونة**" في مارس 1955م، وعند ذهابه إلى "**عين العربي**" أُلقِيَ عليه القبض من طرف رجال الدّرك الفرنسي ثم أُفْرِجَ عنه، وعند إلقاء القبض على المسمّى **مخ العين عيسى**، وأثناء استنطاقه صرّح بأن **عبدي مبروك بن بشير** هو المسؤول المعيّن من طرف الثّوار، ومكلّف بجمع المال وتنظيم المواطنين تحت لواء جبهة التّحرير ، وهذه الأغنية تدل على جمع المال باعتبارها مصادر رزق الثّورة، التي تُجمع من عند الشّعب[2] . تقول الأغنية:[3]

**سِـــي مَبْرُوكْ يَاخُـوتِي أَنْتَ حُوَّاسْ فِي النَّاحْيَة**[4]

**جِيبْ السْلَاحْ وَالمَالِيَّة خَدَّامْ النِّظَامْ بَالسِّرِيَّة**[5]

فلمّا صرّح **مخ العين** بذلك ألقوا القبض عليه ثانيةً، ولكنّه تمكن من الفرار، ومن الأغاني التي دلّت على ملاحقة الاستعمار الحثيثة لهذا البطل:[6]

**سِي مَبْرُوكْ جَايْ عَاقَبْ عْلَى جْنَانْ وَ الجِّيـــــشْ يْتَبَّـــعْ فِيـــهْ**[7]

**جَـــــاتُوا الخَبِيـــثَة مَنْ هِييهْ رَبِّـــــــي لِيَعْلَـــمْ بِيـــهْ**[8]

[1] – نشرة صادرة عن مديرية المجاهدين.

[2] – كتاب شهادات جمعية الثقافة و التاريخ للمعارك الكبرى للثورة التّحريرية لولاية قالمة، طبعة جويلية 2004، ص34.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[4] – **خوتي**: إخوتي، **حوّاس**: متجوّل.

[5] – **جيب**: أحضِر، **الماليّة**: المال.

[6] – منقولة عن طريق السّماع: إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

[7] – **جاي**: آتٍ، **عاقب**: مختاز ، **جنان**: بستان، **يتبّع فيه**: يلاحقه.

[8] – **جاتو**: جاءته، **الخبيثة**: لقب نُعِتت به فرنسا، **هييه**: هناك، **ليعلم**: الذي يعلم، **بيه**: به.

فالتّضحيات والبطولات التي قام بها، وثباته في وجه العدو جعلت فرنسا تتبعه أينما حلَّ، وأينما وُجِدَ، ولم يزده ذلك إلا عزيمةً، و إصرارًا على استرداد كرامته، وكرامة وطنه من خلال مشاركته في الثّورات التي لم ينطفئ لهيبها منذ أن وطأت أقدام الغزاة هذه الأرض الطيبة.

**ج– استشهاده:**

في 12 ديسمبر 1955م تمَّ نصب كمين مشترك بين فوج متكوِّن من اثني عشرة مجاهدًا بقيادة **عرفة** المدعو "**الطاهر لسود**"من المنطقة الأولى "**الأوراس**" قسم "**سدراتة**"، وفوج ثانٍ متكوّن من ستة مجاهدين من المنطقة الثّانية قسم "**ماونة**" بقيادة **عبدي مبروك**، وهذا بطلب منه نظرًا لنقص العدد الكافي من المجاهدين، والأسلحة الحربيّة للقيام بهذا الكمين، وقد وقع –الكمين– بالمكان المسمّى "**قرقار الصّيد**"، لقافلة عسكريّة عائدة من مدينة قالمة لتمويل كتيبة من الجيش الفرنسي المتمركزة بقرية "**عين العربي**"، وحين وصلت القافلة إلى مكان الكمين في حدود السّاعة الثّالثة والرُّبع، وكانت متكوّنة من ثلاث شاحنات، ودبّابة مصفّحة، واثنين جيب[1]، وبدأت المعركة بين الطّرفين، دامت حوالي ساعة، وأسفرت نحو ثلاثة وثلاثين قتيلًا في صفوف العدو من بينهم ضابطان برتبة نقيب، وأربعة أسرى واغتنام ستة وثلاثون من الأسلحة الخفيفة المختلفة، أمّا عن خسائر جيش التّحرير، فقد استشهد مجاهدان من قسم "**ماونة**" هما **عبدي مبروك وعفيفي براهيم**، وبالنّسبة لقسم "**سدراتة**" استشهد **مستوري يونس** بـ"**قرقار الصيد**"بلدية لخزارة ناحية ماونة. تقول الأغنية:[2]

**العَسْكر لِي جَانَــا مْسَرْكَلْ سِي مَبْرُوكْ يَاخُويَا كُونُو رَجَّالَا**[3]

**العَسْكر لِي جَانَــا بَالجْنَانْ سِي مَبْرُوكْ كُونُـوا شُجْعَـــانْ**[4]

تصوّر لنا الأغنية بطولة **عبدي مبروك** في هذه المعركة بمشاركة **غربي عرفة** ، حيث تحقّق الانتصار على قوّات الاحتلال بالرّغم من أنّ عدد هذه القوّات لا يحصى، فشجاعة الثوّار وخبرتهم بأساليب

[1] – **جيب**: ترجمة حرفيّة لكلمة Gipe الفرنسيّة، و تعني سيّارة عسكريّة صغيرة مختصّة بحمل العساكر، و تتوفّر على أربعة مقاعد.

[2] – منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[3] – **لي**: الذي، **جانا**: أتانا أو جاءنا، **مسركل**: المحيط، هذه اللفظة مأخوذة من cercle **الفرنسية و تعني دائرة أو حلقة**، **خويا**: أخي، **رَجَّالا**: رِجالاً.

[4] – **الجنان**: البستان.

الحرب قد قضت على هذه الجيوش الجرّارة و هزمتها هزيمةً ساحقة[1]، وممّا ذُكر في استشهاد هذا البطل:[2]

**رُوحْ الشَّـــــــايَبْ رُوحْ وْلِيدَكْ مَبْرُوكْ دَايَمْ اللّهْ**[3]

**وْ رَاهُو فِي الجْنَانْ مْلَوَّحْ لَا أُمُّـــــو و لَا بَـابَـــاهْ**[4]

**و لَا حَتَّى حَـــدْ مْعَـاهْ**[5]

و يصوّر مقطع آخر الحالة المزرية التي كان عليها عبدي مبروك عند استشهاده:[6]

**أُصْبرِي يَالَمِّيـــمَة وَاشْ دِّيرِي وْلِيدَكْ مَبْرُوكْ دْمُومَاتْ تَتْقَاطَرْ عْلِيهْ**[7]

أي انّه استشهد و نزف منه دم كثير.

## 2- الشّهيد مصطفى سريدي

### أ- نشأته و تعليمه:

ولد **مصطفى سريدي** يوم 06 ماي 1931م بقالمة، وهو **بن الهاشمي** و**سريدي مريم**، نشأ في عائلةٍ متواضعةٍ، وقد أُغْتِيل أبوه في إثر حوادث 08 ماي 1945م، تابع دراسته في مدرسة "**ألمبير**" المعروفة بـ"**محمد عبده**" حاليًّا حتّى حصوله على الشّهادة الابتدائية، ثم انتقل إلى المدرسة التّقنية بعنّابة وتحصل على الشّهادة المهنية في النّجارة، وأدّى الخدمة العسكريّة سنة 1951م ، بعدها فتح محلًّا للنّجارة في شارع "**الأمير عبد القادر**" سنة 1953م، و في نفس السّنة انخرط في حركة **الانتصار للحريّات الديمقراطية**، وواصل نضاله حتى التحق بالثّورة التّحريرية، وممّا عُرِفَ عنه أنّه أبيٌّ لا يحتمل الذّل ولا المهانة:[8]

---

[1] – كتاب شهادات جمعية الثقافة و التاريخ للمعارك الكبرى للثورة التحريرية لولاية قالمة ، المرجع السّابق، ص 36

[2] – منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[3] – **روح**: اذهب، **الشّايب**: العجوز و يُقصد به الوالد، **وليدك**: ولدك، **دايم اللاّه**: الله الدّائم و هي عبارة تقال في العزاء.

[4] – **راهو**: إنّه، **ملوَّح**: مرمى، **أمّو**: أمه، **باباه**: والده.

[5] – **حد**: أحد، **معاه**: معه.

[6] – منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[7] – **لميمة**: أمّي، **واش**: ماذا، **ديري**: تفعلي، و عبارة واش ديري بمعنى ليس بوسعك فعل شيء، **وليدك**: ولدك، **دمومات**: دِماء.

[8] – منقولة عن طريق السّماع ، رمضان لاحق ، 68 سنة ، لخزارة

**تْكَلَّمْ مُصْطْفَى رَاجَلْ فْحَلْ مَــا يحْمَلْـــــــشْ الـذُّلْ**[1]

**ب– نضاله في الثّورة التّحريرية:**

في أثناء شهر نوفمبر 1955م بدأ **مصطفى** الاتّصال بالشّهيد **محمود بوعاتي** مسؤول قسم دباغ، وبدأ النّضال في النّظام الثّوري.

وبعد ضمّ قسم ماونة و مدينة قالمة إلى النّاحية الثّالثة وضمّ قسم مليلة إلى النّاحية الثّانية في ديسمبر 1955م عيَّن **مصطفى بن عودة** مسؤول النّاحية الثالثة، و**مصطفى سريدي** مسؤولًا على مدينة قالمة و كلّفه بتنظيم المناضلين، فقام بتكوين فوجٍ من الشُّبَّان للقيام بالأعمال الفدائية، كما كوّن شبكة مكلّفة بجمع الأخبار عن نشاط رجال الأمن، وكوّن أيضًا خليّة لجمع الاشتراكات والتبرّعات لإعانة الثّورة ، وفي شهر فيفري 1956م أُلْقِيَ عليه القبض من طرف الشّرطة وبقي أربعة أيامٍ في التّحقيق، ثم أُطلق سراحه، وخرج من مدينة قالمة، ورحل إلى عنّابة، وعند استقراره بها كوّن خليةً أولى متكوّنة من **حمزة بن شريف** و**إبراهيم الخياط** وغيرهم، وكانت مهمّتها تنظيم العمليّات الفدائيّة، والاستخبارات حول نشاطات رجال الأمن والمناضلين المشبوهين.

وفي مارس 1956م إثر اجتماع برئاسة **مصطفى بن عودة** قُرِّرِ التحاق **مصطفى سريدي** بجيش التّحرير في قسم ماونة، وفي جوان من السّنة نفسها عُيِّنَ مسؤولًا على قسم ماونة .

أمّا عن أعماله الثّورية فهي كثيرة، تمثّل جُلُّها في نصب كمائن للعدوّ والإطاحة به في أكثر من موقعٍ، وفي الإشادة ببطولاته:[2]

**يَا حُزْنِي عْلَى مُصْطْفَى ضْرَبْ المدْفَــعْ وَالكُــورْ**[3]
**وَ الموتْ عْلِيــنَا بَالـدُّورْ وَ الرُّومِي شْلَاغَمْ الحلُّوفْ**[4]
**خَلَّانِي و خْلَالِي عَرْشِي مَا بْقَـــــالي بَـاهْ نْعَشِّي**[5]

---

[1] – **فحل**: شهم، **ما يحملش**: لا يتحمّل أو لا يطيق.

[2] – منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة، 77 سنة، قالمة.

[3] – **الكور**: خرطوش من الوزن الثقيل.

[4] – **بالدُّور**: بالدَّوْر، **الرّومي**: لقب أطلقه الجزائريّون على الأجانب و بالأخص المستعمر الفرنسي، **شلاغم**: شنب، **الحلّوف**: الخنزير.

[5] – **خلاّني**: تركني، **خلاّلي**: ترك لي، **ما بقالي**: لم يتبقَ لي، **باه**: لكي، **نتعشّى**: أتناول وجبة العشاء.

وكذلك:[1]

**وِيـــنْ مُصْطْفَى سْرَيْـدِي مَـنْ ضَرْبُـــوا يخْشَـــانْ**[2]

**ج– استشهاده:**

استشهد **مصطفى سريدي** إثر اشتباكٍ وقع بين فرقةٍ من جيش التّحرير بقيادته، وفرقةٍ من جيش العدوّ المتمركز بـ"**بوحشانة**"، وبالتّحديد في "**وادي فتوح**" بلدية "**لخزارة**" أنذاك، حيث خرجت القوّات الفرنسيّة لنهب مواشي مواطني الجّهة، وأسفرت هذه المعركة عن قتل حوالي 20 جنديًّا وجرح 06 جنود في صفوف العدو، كما تمّ استشهاد **مصطفى سريدي** وذلك يوم 26 أكتوبر 1956م. تقول الأغنية:[3]

**يَـا حَسْرَة عْلَـى مُصْطْفَى خَلُّوني طَايَحْ في الكَافْ**[4]

**وْأَنَا مَقْسُومْ عْلَى الأنْصَافْ خَلُّونِي قَـــاعَدْ حَـابَسْ**[5]

**عَطْشَـــانْ وريقِي يَـابَـــسْ**[6]

تُبيّن هذه الأغنية أنّ البطل **مصطفى سريدي** كان يعاني من إصاباتٍ خطيرةٍ قبل استشهاده، وممّا ضاعف آلامه رؤيته للأعداء وهم يفتكون بأبناء عرشه وهو عاجزٌ عن الحركة. وبعد موته ظلّت روحه الطّاهرة تناشد الأخذ بثأره، وثأر كل جزائريٍّ ضحّى بنفسه، وقدّم أعزّ ما لديه نصرةً للدّين والوطن. تقول الأغنية:[7]

**يـخْلَفْ الثَّـــــارْ نْتَاعْ مُصْطْفَى مَاصَارْ**[8]

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

[2] – **وين**: أين، **من ضربو**: مِن ضَرْبِهِ، **يخشان**: ضرب عنيف.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[4] – **خلّوني**: تركوني، **طايح**: ساقط و المقصود هنا مرمى، **الكاف**: الكهف.

[5] – **قاعد حابس**: بمعنى بِلا حِراك.

[6] – **ريقي**: من الرّيق، **يابس**: بمعنى جاف من شدّة العطش.

[7] – منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

[8] – **يخلف الثّار**: يأخذ بالثّأر، **نتاع**: للملكيّة العائدة لمصطفى، بمعنى ثأر مصطفى، **ما صار**: ما حدث.

## 3- الشّهيد علي زغدودي المدعو "بلخير":

### أ- نبذة عن حياته:

ولد الشّهيد **علي زغدودي** المدعو "**بلخير**" يوم 26 ديسمبر سنة 1932م، في منطقة "**ماونة**" بولاية قالمة، وهو ابن **مبارك و الزهرة بوشعير**، ترعرع في عائلة فقيرة معوزة.

وفي عام 1956م تمّ تعيينه مسؤولًا عن قسم ماونة، وفي نفس السّنة ذهب إلى تونس للعلاج.

### ب- أعماله الثّورية و استشهاده:

كان متشبّعًا بروح الفداء، وهو يؤمن في قرارة نفسه بأنّ الثورة تعبير عن إرادة شعبٍ مصمّمٍ على افتكاك الحريّة، والاستقلال. تقول الأغنية عن روحه الفدائيّة:[1]

**طُحْنَا في حُفْرَة الزَّانَا ثمَّه وَ العَسْكَرْ سَرْكَانَا**[2]

**سِي بَلْخِيرْ هُوَ بَابَانَا كِي صَدْ عْلِينَا وخَلَّانَا**[3]

كما تميّز هذا البطل بشجاعته الفذّة وإقدامه، فكانت أعماله الثّورية كثيرة في وجه الأعداء، فكانوا يحتسبون له ألف حساب، ولاسيما أنّه خلّف في قلوبهم الرّعب والذّعر، ومن الأغاني التي نصّت بذلك:[4]

**بَلْخِيرْ شَافْ الثُوَّارْ كِي هَزُّو الغُشْ وَ الدَمَّارْ**[5]

**في الكُفْرَة عَامَلْ بَاتَوارْ وْ هَذَا تَارِيخْ الجنْدِيَّا**[6]

وفي موضعٍ آخرٍ:[7]

**فَالكُفْرَة عَامَلْ بَاطْوَارْ شُوفُوا تَارِيخْ الجنْدِيَّا وَ الله لي لاَهِي الله**[8]

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

[2] – **طحنا**: سقطنا، **الزّانا**: نوع من الشجر ، **ثمّة**: هناك، **سركانا**: تحريف للفظ الفرنسي (encerclement)، وهو يعني التطويق والمحاصرة.

[3] – **سي**: بمعنى سيّد، **بابانا**: والدنا، **كي**: عندما، **صد**: ذهب ومات، **خلاّنا**: تركنا.

[4] – منقولة عن طريق السّماع: لحسن فراحتية ، 81 سنة، وادي الشحم

[5] – **شاف**: شاهد، **هزّو الغش و الدمّار**: بمعنى شعر بالغضب الشّديد.

[6] – **الكفرة**: الكفّار، **عامل**: اسم فاعل لعمِل بمعنى جعل منهم، **باتوار**: لفظ فرنسي يعني مجزرة (battoir)، **الجنديّا**: الجنود.

[7] – منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة.

[8] – **الله لي لاهي الله**: بمعنى الله الذي لا إله إلاّ هو.

**هَاذَاكْ خُويَا مَـازُوزْ ، ليسْقَطْ فِيهُمْ لَزُّوزْ، وَاذَاكْ عَسْكَرْ لَعْـزُوزْ**[1]

**كِـي حَضْـرَتْ في وَادْ حْلِيَّـة نَـــــاقَلْ المِيـــنَة وَ يْسُـودِي**[2]

وفي موضعٍ آخرٍ:[3]

**دْزَايَـــرْ دَوْلَة عَرْبِيَّـة فْرَنْسَا جَـابَتْ القوَّة**[4]

**بَلْخِيـــرْ مَنْهَا يَتْنوَا يَاْو هَذِي ضْنَـايَة حَوَّا**[5]

**بَالطْرَانطْ سَالَتْ لَعْفَارْ**[6]

وفي موضعٍ آخرٍ:[7]

**بَلْخِيـــــرْ أبْلَاصَ الجُنُودْ وَ مْعَـــاهْ الرَّبْ المَعْبُودْ**[8]

**لي اسْتَشْهَدْ رَاهُو مَسْعُودْ وَ البَـاقِي يجِيبْ الحرِيَّـــة**[9]

**دْزَايَـــــرْ دَوْلَـــة عَرْبِيَّـة**

**جِيـــــــــشْ الثُـــــوَّار وَ مْعَاهُمْ هَـانَتْ لَعْمَارْ**[10]

**اللَّـــــــــهْ يَـنْصُـــــرْ**

**يَا لخَـــــاوَا ايجِي وَ يْقَدَّمْ وَ سْلَاحُو في جَنْبُو يَعْدَمْ**[11]

**يَـــــــا الخَـــــاوَا**

---

[1] – **ها**: للتنبيه، **خويا**: أخي، **مازوز**: أصغر الإخوة، **ليسقط فيهم**: الذي يسقط منهم، **لزّوز**: الاثنان، **لعزوز**: العجوز كنية فرنسا لأنّ معظم سكّانها كبار في السّن.

[2] – **كي**: حينما، **واد حلية**: منطقة في بن سميح (لخزارة)، **ناقَل**: ناقِل، **المينة**: ترجمة حرفية لكلمة mine الفرنسيّة و و تعني اللّغم، **يسودي**: ترجمة حرفية لكلمة soudé الفرنسية و تعني يلحم.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة

[4] – **دزاير**: تحريف للفظة الجزائر، **جابت**: أحضرت، **القوّة**: أي القوّات الفرنسيّة بما تحمله من أسلحة و عتاد حربي.

[5] – **يتنوا**: يتشاءم أو يتذمّر، **هذي**: هذه، **ياو**: هنا بمعنى إنّ، **ضناية**: نسل، **حوّا**: أمّنا حوّاء.

[6] –**الطرانط**: أي الرقم ثلاثون بالفرنسية trente و المقصود بها رشّاش رقم 30 ، **لعفار**: بمعنى الدّماء

[7] – منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين

[8] – **أبلاصَ**: مأخوذة من كلمة place و تعني المكان، أي حدّد لكل جندي مكانه المناسب.

[9] – **لي**: مَن اسم موصول، **راهو**: إنّه، **يجيب الحريّة**: يأتي بالحريّة.

[10] – **لعمار**: الأعمار، و عبارة هانت لعمار بمعنى تهون أرواحهم من أجل نيل الحريّة و نصرة الدّين.

[11] – **لخاوا**: الإخوة، **يجي**: يأتي، **يقدّم**: يتقدّم ، **سلاحو**: سلاحه، **جنبو**: جانبه، **يعدَم**: يُعدِم، و عبارة سلاحو في جنبو يعدم كناية عن حسن استعماله للسّلاح، فطلقاته لا تذهب هدرًا.

**جِيـــــــشْ التَّـحْرِيـــــرْ مْعَ فْرَنْسَا اطْلَبْنَا لَاقِيـرْ**[1]

**يَـــــــــا الخَـــــاوَا**

**اللَّـــــــــهْ يَـا رَبِّـــي وَ القُوَّة تَلْحَـقْ وَ تجِـــي**[2]

**يَـــــــا الخَـــــاوَا**

**العَسْكَرْ مْكُومْبي لَبْلاَصَة تَدْوِي دَوْيَانْ يَا الخَـــاوَا**[3]

ومن أهم البطولات التي قام بها الشّهيد هو عزمه على الكفاح والتحدّي الصّارخ للمظالم الاستعمارية حيث تقول الأغنية أيضًا:[4]

**في الكَافْ آيْ بَلْخِيرْ ، مَبْـلَاسِي في الكَافْ و يرَافَالي بالعَشْرِينْ**[5]

**الله أيْ جَاتْ الطَّيَّارَة ، أُمْ الجنْحِينْ و مَـــــا فَرْزَتْشْ المجَاهِدِينْ**[6]

**يُمُّـــــــا ذْرَارِي صْغَيْـــرِيـــنْ في صفَـــــاتْهُمْ مُنْتَظْمِيـــنْ**[7]

**أيْ كِـــــي حْكَمْ فِيـــهْ وشَالَاهْ أحْمَدْ رَبِّـــــــي جَاتْ أحْذَاهْ**[8]

**أَيْ قَـــالُوا بَدَّلْ سِـــــي حمَّادِي مَـــــاوْشِي هَذَاكْ أكْـــلَاهْ**[9]

**قَـــالُـوا أوْ أنْطَيْـــــحُوهَـــا وَ نْزِيـــــدُوا نْغِيبُـــوا بَحْدَاهْ**[10]

---

[1] -**لاقير**: مأخوذة من كلمة la guerre الفرنسية و تعني الحرب

[2] – **تلحق و تجي**: بمعنى تتلاحق باستمرار، دونما توقّف.

[3] – **مكومبي**: مُقيم و قابع، و هي مأخوذة من كلمة camping الفرنسية و تعني مُخَيَّم، **لبلاصة**: مأخوذة من كلمة la place و تعني المكان، **تدْوي**: تدوّي، **دويان**: دَويٌّ.

[4] – منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين

[5] – **الكاف**: الكهف، **مبلاسي**: متّخذًا مكانه، و كلمة مبلاسي مأخوذة من كلمة place الفرنسية و تعني المكان ، **يرافالي**: يطلق من الرّصاص بشكل متتالي و عشوائي، **بالعشرين**: كناية عن كثرة الطّلقات. و رافال ترجمة حرفية لكلمة rafale و تعني طائرة مدفعية.

[6] – **أي**: هنا بمعنى لقد، **جات**: جاءت، **أم الجنحين**: كناية عن الطّائرة الحربية الفرنسية، **ما فرزتش**: أي لم تحدّد مواقعهم.

[7] – **يُمّا**: أمّي، **ذراري**: أطفال، **صغيرين**: صغار.

[8] – **كي**: عندما، **حكم فيه**: مسكه، **شالاه**: بمعنى أطلق عليه الرّصاص ، **جات**: أتت، **أحذاه**: بجانبه، و المقصود بعبارة أحمد ربّي جات أحذاه أي احمد الله على أنّ الرّصاصة لم تصبه و إنّما مرّت بجانبه.

[9] – **بدّل**: غيّر، **ماوشي**: ليس، **أكلاه**: بمعنى قضى عليه

[10] – **نطيحوها**: نُسقِطها و الضمير المتّصل يعود على الطّائرة، **و نزيدوا نغيبوا بحداه**: بمعنى و نستشهد معه.

شارك في معركة "**أم النسور**"[1] الشّهيرة بجبل ماونة يَوْمَيْ 24 و 25 جانفي 1958م، فتولّى قيادة كتيبة جيش التّحرير للقسم الأول لناحية ماونة[2]، وقد استطاعت هذه الكتيبة أن تتصدّى لقوّة العدو رغم الفارق الموجود بين عدد الجيشين، وألحقت به خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، واستمرّت المعركة إلى غاية حلول الظّلام، حيث انسحبت قوّات الكتيبة من المعركة عبر مسالكٍ مختلفةٍ بعد أن أدّت واجبها، وسجّلت أروع صفحات البطولة والشّجاعة، ودحضت مزاعم العدوّ في ادّعائه القضاء على الثّورة بالمنطقة، وأسفرت هذه المعركة عن مقتل أربعة وأربعين جنديّ، من بينهم **زغدودي علي** و**الحوّاس سقوالي**، وذلك يوم 25 جانفي 1958م، أمّا الخسائر في صفوف العدو فقد بلغ عدد القتلى و الجّرحى منهم بالمئات[3]، ويعتبر الشّهيد **بلخير** من أوائل القادة الثوريّين الذين سقطوا في ميدان الشّرف في وقت مبكّر من اندلا ع شرارة الكفاح المسلّح.

وعن استشهاده تقول الأغنية:[4]

**يَا نهَـــارْ خَبْرُونَا بَلَارَافْ وشُبَّانُوا تْكُونُو خْفَــافْ**[5]

**يَا الحطَّة رَاهِي في الكَافْ بَلْخِيـرْ رَايــسْ الجنْدِيَّا**[6]

وفي موضع آخر:[7]

**يَا انْعَامْ اسْتَشْهَدْ ، بَلْخِيرْ سِي الحُسِينْ وَاشْ دُورْ يْدِيرْ**[8]

**جَـــابَتْلُو ، دُوبَلْ كُوبْتِيرْ حَطَّتْلُـــو في كُلْ نْحَيَّـــة**[9]

**بَلْخِيـــرْ بْلَاصَا الجنُـودْ وَ مْعَـــــاهْ الرَّبْ المعْبُـــودْ**[10]

---

[1] – سيرد تفصيلها في المبحث الثّاني من هذا الفصل

[2] –شهادات جمعية الثقافة و التاريخ للمعارك الكبرى للثورة التحريرية عبر ولاية قالمة، المرجع السابق، ص 79

[3] – مجلة أول نوفمبر، العدد 54، 1982، ص 46-48

[4] – منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين

[5] –**لاراف**: مأخوذة من كلمة la rafle الفرنسية و تعني حشد الأهالي من أجل استنطاقهم قصد معرفة أماكن المجاهدين، **شبّانو**: شبّانه، **خفاف**: سريعي الحركة

[6] – **الحطّة**: الواقعة، **راهي**: إنّها، **الكاف**: الكهف، **رايس الجنديّا**: رئيس الجنود.

[7] – منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس ، 63 سنة، هيليوبوليس

[8] – **انعام**: نعم ، **واش دور يدير**: ما الدّور الذي يقوم به.

[9] – **جابتلو**: أحضرت له والمقصود أعدّت له، **دوبل كوبتير**: نقل حرفي لعبارة double hélicoptère الفرنسية و تعني مروحيّة مزدوجة أو مروحيّتان، **حطّتلو**: أي أنّ هاتين المروحيّتين كانتا له بالمرصاد، **نحيّة**: ناحية.

[10] – **بلاصا**: حدّد لهم أماكنهم.

**لي يموتْ رَاهُو مَسْعُــودْ وَ البَـــــاقِي يجِيبْ الحرِيَّـة**[1]

وتصف الأغنية الطّريقة البشعة التي قُتِلَ بها هذا البطل فتقول:[2]

**يَاحُزْنِي عْلِيكَ يَابَلْخِيرْ وَ الضَّرْبَـــة بِيـنْ العَيْنِنْ**

**يَاحُزْنِي عَالمجَاهِدِينْ فَقْدُوا بَعْضَاهُمْ فَالحِينْ**[3]

كما يصف حالة المجاهدين بعد استشهاد بلخير:[4]

**وكِي جَاتْ أُمْ الجنْحِينْ و اتَبْيكِي عَالمجَاهِدِينْ**[5]

**وهُمَّا ثْنِيـــنْ ثْنِيـــنْ و خَرْجُوا لَلْحَرْب جْهَارْ**[6]

**و كِي اسْتَشْهَدْ بَلْخِيرْ الحُوَّاسْ وَاشْ رَاحْ يْدِيرْ**[7]

**زَادْ بَدْلُولُـو الكُوبْتِيـــرْ تحَــطْ فِي كُلْ نْحيَّــة**[8]

## 4- الشّهيد محمد ختلة المدعو خليفة

### أ- مولده:

ولد **محمد ختلة** المدعو "**خليفة**" خلال 1935م ببلدية وادي الزناتي ولاية قالمة، وهو ابن **الطيب ختلة** و **اليامنة بنت عامر ختلة**.[9]

### ب- أعماله الثورية:

التحق **خليفة ختلة** بصفوف جيش التّحرير الوطني بقسم بوعريبد في سنة 1956م ، وشارك في كلّ العمليات العسكريّة التي وقعت ضدّ جيش العدو في الجهة، وفي نفس السّنة

---

[1] - **لي**: الذي، **راهو**: إنّه، **الباقي يجيب الحريّة**: بمعنى أنّ الحريّة سيحقّقها من تبقى على قيد الحياة.

[2] - منقولة عن طريق السّماع: وسيلة بوقرن، 47 سنة، جبالة لخميسي

[3] - **عالمجاهدين**: على المجاهدين، **بعضاهم**: بعضهم، **فالحين**: في الحين.

[4] - منقولة عن طريق السّماع: وسيلة بوقرن، 47 سنة، جبالة لخميسي

[5] - **كي**: عندما، **جات**: جاءت أو قدِمت، **أم الجنحين**: كناية عن الطّائرة الحربيّة، **تبيكي**: تحريف للفظ الفرنسي piquer و تعمني الاستطلاع، **عالمجاهدين**: على المجاهدين.

[6] - **همّا**: هم، **ثنين ثنين**: مثنى مثنى، **جهار**: علانيةً.

[7] - **كي**: لما، **واش**: ماذا، **راح يدير**: سيفعل.

[8] - **زاد بدلوا**: كذلك غيّروا، **الكوبتير**: تحريف للفظ الفرنسي hélicoptère و هي طائرة استطلاعية، **نحيّة**: ناحية.

[9] -نشرة صادرة عن المنظمة الوطنية للمجاهدين

اندلعت معركة كبرى **بجبل سرسارة**، دامت يومًا كاملًا أبلى فيها القائد **خليفة ختلة**، ورفاقه[1] البلاء الحسن، حيث تمكّنت هذه الفرقة من إسقاط طائرة من نوع **رياكسيون**[2]، وقتل عدد من عساكر العدو، وقُدِّرت الخسائر بحوالي خمسة مئة وأربعين جنديًّا، بينما استشهد سبعة مجاهدين[3]، هذا بالإضافة إلى أعمال كثيرة من بينها قطع أسلاك وأعمدة هاتفية في بداية شهر ديسمبر من نفس السّنة.

وعُين مسؤولًا على القسم الثاني "**بوهمدان**" خلال جوان 1957م، ونصب كمينًا رفقة مجموعة من المجاهدين لفرقة من رجال الدّرك الفرنسي تتكوّن من خمسة أفراد، أسفرت هذه العملية عن قتل الخمسة.[4]

ولم يتوانَ مُبدع الأغنية الثّورية عن تسجيل بطولات هذا الشّهيد البطل:[5]

**خْلِيفَة يَتكَنْدَرْ،طَالَعْ في العَقْبَة وَ يْكَبَّـــــــــرْ ، اللَّـــهْ اللَّـــهْ**[6]

**وَ حْكَمْ الرُّوشِـــــي قَـــالهُمْ مَا تْخَافُوشِي وَ البْرِيطَة تَشْعَلْ بَالنَّارْ**[7]

ذكر المغنّي أنّ الشّهيد تولّى عدّة أعمالٍ ثوريّةٍ وكأنّه رئيس في الثّورة يُصدِر الأحكام والقرارات، وعازم على التّضحية بالنّفس والنّفيس من أجل تحرير الجزائر، حيث يشجّع الثوّار على المواصلة وعدم الخوف والاستسلام في مواجهة العدو الفرنسي.

و في موضع آخر:[8]

**يَـــا سِي خْلِيـــفَة يَـــا رَاكَبْ عَالنَّاقَة**[9]

---

[1] -قُدِّروا بثلاثين جنديًّا

[2] – **رياكسيون**: ترجمة حرفيّة لكلمة reaction الفرنسية و تعني ردّة الفعل، و المقصود بها هنا نوع من الطّائرات الحربيّة.

[3] – عبد المالك سلاطنية، بصمات حضارية مشرقة من تاريخ الجزائر، مطبعة الرستومية، جويلية 2004، ص 152

[4] -المرجع نفسه، ص 196

[5] – منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة

[6] – **يكندر**: أي يُصدِر أنينًا لما في الصّعود من مشقّة، **طالع**: صاعد، **العقبة**: مرتفع.

[7] – **الرّوشي**: مناطق صخرية في الجبال، و عبارة حكم الرّوشي بمعنى سلك طريق الصّخور، **قالهم**: قال لهم، **ما تخافوشي**: لا تخافوا، **البريطة**: نوع من السّلاح، **تشعل**: تلتهب.

[8] – منقولة عن طريق السّماع: بوحليط بلقاسم و الصادق مرابطي، المرجع السّابق

[9] – **عالنّاقة**: على النّاقة.

**شَـافَتُّــو فْرَنْسَــا كِـي قَـالَتْ فَلَّاقَة**[1]
**يَــا سِي خْلِيــفَة أَوْ رَاكَبْ عَالحْصَانْ**[2]
**شَــافَتُّو فْرَنْسَــا كِي قَالَتْ قُبْطَــانْ**[3]

وفي موضع آخر:[4]

**يَـا سِي خْلِيفَة وَ الزْغَـارِيدْ عْلِيهْ**
**قُبْطَـانْ فْرَنْسَا رَانْدَا و هَزْ يَدِّيهْ**[5]
**يَـا سِي خْلِيفَة رَاكَبْ عَـالفْرَسْ**[6]
**طَـالَعْ لَلْعَــادَرْ وَ القَارَا تَبْقَصْ**[7]

وفي موضع آخر:[8]

**يَـا سِي خْلِيــفَة يَا رَاكَبْ عَـالبْغَلْ**[9]
**طَـالَعْ لَلْعَــادَرْ وَ القَــارَا تَشْعَلْ**[10]
**يَـا سِي خْلِيــفَة طَالَعْ جْبَـلْ الصْدَا**[11]
**القَارَا عْلَى كَتْفُو وَالتَّحْزِيمَة فَلاقَة**[12]

يصف مبدع الأغنية بطولة الشّهيد **سي خليفة** و يقدّم له صورة شخصيّة في يوميّاته الجهاديّة من لباس، وحمل سلاح ، وصعود الجبال ، فهو مثال الرّجل الباسل في لباسه العسكري وهمّته لأنّه من

---

[1] – **شافتّو**: شاهدته، **كي**: لما، **فلاقة**: لقب أطلقته فرنسا على المجاهدين.

[2] – **أو**: هنا بمعنى إنّه، **عالحصان**: على الحصان.

[3] – **قبطان**: هو ربّان السّفينة أو الطّائرة.

[4] – منقولة عن طريق السّماع: بوحليط بلقاسم و الصادق مرابطي، المرجع السّابق

[5] –**راندا**: مأخوذة من كلمة .... الفرنسية و هي بمعنى استسلم، **هز يديه**: رفع يديه إشارة إلى الاستسلام.

[6] – **عالفرس**: على الفرس.

[7] – **طالع**: صاعد، **العادر**: جبل في ماونة، **القارات**: مفردها قارة و هي سلاح فردي مأخوذ من اللفظ الأجنبي "GARA" ، **تبقص**: تلمع.

[8] - منقولة عن طريق السّماع: بوثلجة قمير، 75 سنة، قالمة

[9] – **عالبغل**: على البغل.

[10] – **تشعل**: تلهب.

[11] – **الصدا**: الصّدى.

[12] – **على كتفو**: على كتفه، **التّحزيمة فلاّقة**: أي هيأته عسكريّة، و يتّضح ذلك من خلال حزامه.

ثوّار التّحرير. تقول الأغنية:[1]

**يَا سِي خْلِيـــفَة يَا لَعْزِيزْ عْلَى أمُّو**[2]

**سْتِيلُو في الجِّيبْ وَ القَارُو في فُمُّو**[3]

## 5- الشّهيد رابح فيصلي

### أ- نشأته و تعلّمه:

وُلِد **رابح فيصلي** خلال سنة 1918م، في "**كاف الرّيح**"، بلدية بوحشانة حاليًّا-ولاية قالمة. و هو ابن **محمد فيصلي** و **العانس غريب**.

تربّى في أحضان العائلة على الاستقامة، والصّلاح فنشأ نشأةً دينيّةً، إذ تعلّم وحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم، ثم ذهب إلى زاوية **بديار** بقرية "**الناظور**" ببلدية بني مزلين حاليًّا -ولاية قالمة، ومكث هناك سنتين، فحفظ القرآن الكريم، وقواعد الإسلام ثم عاد إلى أهله في مشتة فتوح دوار "**كاف الريح**".[4]

إنّ ترعرُع هذا البطل في وسط محيطٍ نقيٍّ يفيض بالتّعاليم الإسلامية والقيم الرّوحية، كان له بالغ الأثر في دوره القيادي أثناء الثّورة، إذ اتّسم بميزتَيْن؛ أوّلهما قوّة شخصيّته التي تحسم العمل الثّوري وتحوّل المبادئ من المجال النّظري إلى واقع حياة النّاس، وثانيهما نزاهة القائد وإخلاصه، فهو يمثلّ القدوة لسلوك الآخرين، وممّا لاشكّ فيه أن هذا القائد وهو الرّجل المتشبّع بمبادئ الدّين الحنيف فقد كان حريصًا كلّ الحرص على تنفيذ نصوص الشّريعة الإسلامية باعتبارها الدّستور الذي تستمدّ منه الثّورة الجزائرية قوانينها وأحكامها. تقول الأغنية: [5]

**يَاحُزْنِي عْلَى سِي رَابَحْ كِي شَـــافْ الثُـــوَّارْ**[6]

**هَزُّو الغُشْ وَ الدَمَّـــارْ قَالهُمْ اسمْعُوا يَاخَاوْتِي**[7]

---

[1] - منقولة عن طريق السّماع: عمر بولبازين، 68 سنة، تاملوكة

[2] - **لعزيز على أمّو**: العزيز على أمّه.

[3] - **ستيلو**: ترجمة حرفيّة لكلمة stylo الفرنسيّة و تعني قلم، **الجّيب**: الجَّيب، **القارو**: السّيجارة، **فمّو**: فمه.

[4] - نشرة صادرة عن المنظمة الوطنية للمجاهدين

[5] - منقولة عن طريق السّماع: هجيرة فيصلي، 54 سنة، لخزارة

[6] - **كي شاف**: عندما رأى.

[7] - **هزّو الغش و الدمّار**: انتابه القلق الشّديد، **قالهم**: قال لهم، **خاوتي**: إخوتي.

**صَلُّوا عْلَى الرَّسُــولْ و مُوتُوا بَالألفْ وَ لْفِينْ**[1]

**ب– أعماله الثورية:**

كان **رابح فيصلي** كغيره من المجاهدين يسعى إلى إماطة الظّلم، والقهر عن أرضه، ووطنه، فقرّر التسلّح والمشاركة في الأعمال الثّورية إلى جانب إخوانه الثوّار: [2]

**كِي مْشِينَا لَصْفَاحْلِي و يَارَبِّي و خَلَّصْ وَحْلِي**[3]

**قُولُـو لُمَّا تَسْمَحْلِي خَلِّيــتْ أَهْلِي وَ أَمَّالِيَّا**[4]

يشير المغني إلى أنّ البطل **رابح فيصلي** تخلّى عن أهله وعرشه واتّجه إلى معاقل الجنود مفضّلا الصّمود والكفاح من أجل القضيّة الجزائريّة ، وذلك بعد أن طلب السّماح من والدته.

بدأ نشاطه الثّوري في أوّل فيفري سنة 1955م، حيث قام بحرق المدرسة الابتدائية الفرنسية التي كانت في مشتة بئر عيسى و أخرى ببئر عمر بدوّار[5] بني مرمي التّابع لبلدية بومهرة حاليًّا، وذلك صحبة **شرفة أحمد** و عدد من المسبّلين[6].

وممّا لا شكّ فيه أنّ قوّات الاحتلال أصيبت بذهولٍ لا حدّ له، ولم تدرِ ماذا تفعل أمام هذا المد الثّوري الذي اجتاح البلاد فالتجأت إلى الأسلوب المعروف، وأحرقت النّاس بالنّار وهدّمت الدّيار ومزّقت الخيام، مُتّبِعةً في ذلك كلّ صور القمع، والإرهاب. تقول الأغنية:[7]

**الطيَّارَة الصَّفْرَا جَــاتْ تْدُورْ عْلَى لْعَرشْ تْدُورْ تَرْمِي في الكُورْ**[8]

**و لاهُـوشْ وَلاذَرِيَّـة**[9]

---

[1] – **لفين:** أَلْفَيْن

[2] – منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

[3] – **كي:** حين، **مشينا:** ذهبنا، **صفاحلي:** اسم منطقة في دائرة بن سميح، **خلّص وحلي:** خلّصني من مأزقي أو مصيبتي، فكلمة وحلي نسبة إلى الوحل.

[4] – **لمّا:** لأمّي، **تسمحلي:** تسامحني، **خلّيت:** تركت، **أمّاليّا:** أهلي.

[5] – **دوّار:** منطقة ريفيّة.

[6] – **المسبّلين:** الفدائيّين.

[7] – منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

[8] – **جات:** جاءت، **تدور:** تحوم و تحلّق حول، **الكور:** خرطوش من الوزن الثقيل.

[9] – **هوش:** مفردها هيشة تطلق على الحيوانات، **ذريّة:** الأبناء و يقصد بهم الأهالي.

تصوّر لنا الأغنية مدى وحشية المستعمر، حيث أنّه يقوم بقصف المكان حتّى وإن كان خاليًا من الحيوانات والأهالي، فهو كالوحش الأعمى يقذف كرات اللّهب في كل الاتّجاهات.

إنّ هذه المأساة المتكرّرة تُشعِر **سي رابح** بالألم و الأسى:[1]

**مَاتَبْكِيشْ يَا سِي رَابَحْ وَ الجنُودْ طَلْبُوا لَاڤَارْ**[2]

وفي 5 فيفري 1955م، تَمَّ تعيينه مسؤولًا عن قسم "**ماونة**" من طرف مسؤول النّاحية الثّانية **زيغود يوسف**، وواصل نشاطه رفقة عددٍ من مناضلي جبهة التّحرير الوطني.

وفي 21 أوت 1955م شارك في الهجوم على قرية "**عين العربي**" تحت قيادة **عبدي مبروك**[3]

وخلال شهر أفريل 1956م عُيِّن قائد دوّار "**كاف الرّيح**" من طرف لجنة ناحية "**ماونة**".

وفي جوان 1957م عُيِّن مسؤولًا عسكريًّا للقسم الأوّل ناحية "**ماونة**" من طرف لجنة النّاحية

وفي 02 أكتوبر 1957م نُصِب كمينٌ من طرف فوج من جيش التّحرير الوطني بمأمورية الشّهيد **بن عبد الرحمن طابوش** و**رابح فيصلي** ضدّ العدو، هذا الأخير الذي تعمّد الخروج لنهب مواطني الجهة في مكتسباتهم الحيوانية، حيث أسفرت العملية عن مقتل دركيّين، وجرح واحدٍ، ولاذ الباقون بالفرار.

وخلال شهر أكتوبر 1957م وقعت هجومات على قريتَيْ "**بن سميح**" و"**بلاد كفار**" بدائرة قالمة، فكانت الفصيلة التي هاجمت قرية "**بن سميح**" تحت قيادة **رابح فيصلي** باعتباره مسؤولًا عسكريًّا بالقسم الأوّل ناحية "**ماونة**"، أمّا الفصيلة التي بها قرية "**بلاد كفار**" فكانت تحت قيادة **محمد عطايلية** المدعو "**الرّوج**" باعتباره مسؤولًا عسكريًّا بالقسم الأوّل ناحية "**هوّارة**"[4]

وفي جوان 1958م عُيِّين **رابح فيصلي** مسؤول القسم الأوّل لناحية "**ماونة**"، وفي سبتمبر من نفس السّنة عُيِّن مسؤولًا عسكريًّا لنفس النّاحية.

هذا وقد كان من ضمن الماجهدين[5]، والجنود الذين ذهبوا إلى تونس لجلب السّلاح في "**بني**

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: مصمودي عمار، 57 سنة، هيليوبوليس

[2] – **ما تبكيش**: لا تبكي، **لاڤار**: مأخوذة من كلمة la guerre الفرنسية و تعني الحرب.

[3] – نشرة صادرة عن المنظمة الوطنية للمجاهدين

[4] – عبد المالك سلاطنية، بصمات حضارية مشرقة من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 170

[5] –من هؤلاء المجاهدين نذكر: سي عبد الله قرقور، محمد ولد العمري، سي عبد الرحمن بن طابوش، سي المختار سي بجاوي، مرزق حسين، محمد ولد سي المبروك

**معاد**"، تقول الأغنية في هذا الصّدد:[1]

**اتحَزْمَتْ القَفْلَة وَ مْشَاتْ لَلشَّرقْ أمْ طَلْبُوا الرُّخْصَاتْ**[2]

فذخيرة السّلاح قرُبَت على النّفاذ، ولابدّ للعمل من أجل توفير أكبر قدرٍ من السّلاح والمؤونة، لاسيما أنّ جيش العدو يتربّص بالثوّار، ويعمل على سدّ كل الأبواب في وجوههم ليقمع الثّورة ويخمد نارها، بكلّ ما تأتّى له من وسائل، ولقد طلب المجاهدون الإذن بالتوجّه نحو تونس (أم طلبوا الرخصات)، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ جيش جبهة التّحرير كان منظّمًا ويخضع لقواعد مسطّرة من طرف القادة المحنّكين والمؤهّلين، وهذا هو سر نجاح الثّورة، على عكس ما كانت تدّعيه فرنسا مِن أنّ الثوّار كانوا مشتّتين في الجبال ، يتصرّفون بعشوائيّة، فكانت تعمد إلى نقل هذه الصّورة غير الصّحيحة لتقنع بها الرّأي العام. تقول الأغنية:[3]

**يَا رَبِّي يْكُونُوا في الخيْرَاتْ وَ احْنَـــا جملَة مْضَحِّيـــنْ**[4]

**يَا رَبِّي وَ أنَا كِيفَاشْ نْدِيـــرْ القُوَّة كْثِيرَة وَ الكَرْتُوشْ قْلِيلْ**[5]

ومن الأغاني الشعبيّة التي تغنّت ببطولات **رابح فيصلي**:[6]

**سِي رَابَـــحْ بَالحبْ يْطِيرْ هَذَاكْ النْهَارْ طَيَّحْ سَبْعِينْ**[7]

وفي موضعٍ آخر:[8]

**سِي رَابَحْ يْفِكْتِي فِينَا وَ الجنُودْ تَلْحَقْ مْنَ الحِينْ**[9]

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

[2] – **اتحزمت:** بمعنى عزمت، وتُستعمل لفظت تحزمت عادة للمرأة الجزائريّة، لأنّ من عادتها أن تضع الحزام أُهبَةً للخروج، **القفلة:** القافلة و يعني بهم الجنود المتّجهين نحو تونس، **مشات:** مشت أو سارت، **أم:** بمعنى إنّهم، **الرّخصات:** جمع مفرده رخصة أي الإذن أو السّماح.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

[4] – **احنا:** نحن، **جَملة:** جُملَةً.

[5] – **كيفاش:** كيف، **ندير:** أفعل، **الكرتوش:** أي الخرتوش حبّات الرّصاص.

[6] – منقول عن طريق السّماع: عائشة بوثلجة ، 75 سنة، قالمة.

[7] – **بالحَب يطير:** حبّات الرّصاص تتطاير من بندقيته، **هذاك:** الهاء للتنبيه، **طيّح:** أسقط، **سبعين:** عدد القتلى.

[8] – منقولة عن طريق السّماع ، رمضان لاحق ، 68 سنة ، لخزارة – قالمة–

[9] – **يفكتي:** يحوّل، فهي مأخوذة من كلمة الفرنسيّة و تعني التّحويل، **مْنَ:** مِنْ

وفي موضع آخر:[1]

**سِي رَابَــحْ فِيصْلِي وَ الرَصَّاصْ يْنَابَحْ**[2]

**ج– استشهاده:**

استشهد البطل **رابح فيصلي** يوم 06 نوفمبر 1959م، في مشتة حفرة البئر بدوّار أولاد حريد، بالقسم الثّاني ناحية "**ماونة**" خلال اشتباك مع جيش العدو، الذي اكتشف أمره[3] إثر وشايةٍ قام بها أحد العُمَلاء، ووقع هذا الاشتباك حوالي السّاعة العاشرة واستمرّ ساعةً كاملةً، حيث قُتِل عددٌ، وجُرِح عددٌ آخر من عساكر العدو، وعندما أُبلِغ القادة باستشهاد **رابح** حزنوا كثيرًا على فقدان بطلٍ مغوارٍ مثله، إلّا أنّ ذلك لم يثنِ عزيمتهم على مواصلة القتال، بل زادهم إصرارًا:[4]
إصرارًا:[4]

**كِي طَلْعَتْ مَرْتُو لَلشَّافَاتْ قَالْتَلْهَمْ سِي رَابَحْ مَاتْ**[5]

إنّ الشّهيد رابح **فيصلي** من هؤلاء الذين باعوا حياتهم لله وللوطن، واشتروا الجنّة بالحياة العاجلة، لكنّ استشهادهم ترك فراغًا في القلوب، وحسرةً في النّفوس لا يسدّها أحدٌ بعدهم.
تقول الأغنية:[6]

**مَا عَنْدِيشْ لحْبَابْ أَيُمَّا مَــا عَنْدِيــشْ لحْبَابْ**[7]
**و سِـــي رَابَـــــحْ أَمْ كْـلَاوَهْ الكْـــلَابْ**[8]

وفي موضعٍ آخر:[9]

**يَا سِي رَابَحْ يَــا بَابَانَا في الظُّرُوفْ لي قَرَّانَا**[10]

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: هنية بوترعة، 68 سنة، وادي الشحم.
[2] – **ينابح**: ينبح، شبّه صوت الرّصاص بنباح الكلاب.
[3] –أي اكتشف العدو أن رابح فيصلي مسؤول عسكري بالنّاحية.
[4] - منقولة عن طريق السّماع: هنية بوترعة، 68 سنة، وادي الشحم.
[5] – **كي**: عندما، **طلعت**: بمعنى صعدت الجبل حيث يتمركز الجنود، **الشّافات**: جمع مفرده شاف، وهي مأخوذة من كلمة chef الفرنسية و تعني رئيس أو قائد، **قالتلهم**: قالت لهم.
[6] – منقولة عن طريق السّماع: هنية بوترعة، 68 سنة، وادي الشحم.
[7] – **ما عنديش**: ليس لي، **لحباب**: الأحباب.
[8] – **أم**: بمعنى لقد، **كلاوه**: أكلوه أو التهموه.
[9] – منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.
[10] – **بابانا**: والدنا، **قرّانا**: درّسنا.

**رَاوْ مَـــاتْ و خَلَّانَـا نَفْذُوا ثَـــارُوا مِيتِيـنْ**[1]

مثّلت الأغنية في هذين البيتين مدى تعلّق المواطنين بهذا الشهيد البطل، ونلمح ذلك في أمرين اثنين؛ الأوّل في قوله "سي رابح يا بابانا" فكانت رابطة الأبوّة قويّة بينه وبين أبناء وطنه، والأمر الثّاني هو ردّة فعل الثوّار عند استشهاده، حيث أخذوا بثأره جميعهم، حيث كُنِيَّ عن كثرتهم بالعدد مئتان.

## 6- الشّهيد الهاشمي بن بروق المدعو الحوّاتي

### أ- مولده و نشأته:

ولد **الهاشمي بن بروق** المدعو "**حسين**" و"**الحوّاتي**" في العاشر من أكتوبر 1936م ببلدية هيليوبوليس ولاية قالمة، وهو ابن **السّعيد** بن **الهاشمي** و**مسعودة** بنت **الكبلوتي بوشعير**، ترعرع في عائلة فقيرة، تتكوّن من سبعة أفراد؛ ثلاثة ذكور وبنتين فضلًا عن الوالدين.

كابدت هذه الأسرة المحرومة ويلات الاستعمار، فقد توفي والده، وهو لم يتجاوز بعد التّاسعة من عمره ليزداد بؤس الأسرة، وتكبر معاناتها.

تكفّلت الأم بتربية الأبناء في ظلّ ظروف قاسية، الأمر الذي انعكس سلبًا على نشأة الأبناء إذ حُرِمُوا من الدّراسة والتّعليم، ومع بلوغ **الهاشمي** سن الرّابعة عشر بدأ حياته العملية كأجير فتبلْوَر وعيه، وتطوّر فكره على غرار الشّباب الجزائري آنذاك مع أولى شرارات أوّل نوفمبر المجيد، كان موهوبًا إلى درجةٍ كبيرةٍ في تحليل الأمور، وفهم معطياتها فهمًا جيّدًا ممّا جعل أقرانه يتعجّبون من فطنته، وحدسه، ومواهبه الفذّة.[2]

### ب- أعماله الثورية:

كان **الحوّاتي** وهو فتًى يعي جيّدًا أطماع المعمّرين الذين كانوا ينهبون خيرات منطقته الغنية بالأراضي الفلاحية الخصبة، والشّهيرة ببساتين البرتقال، وأشجار الزّيتون، وحقول الكروم والتّفاح والقمح، وكل ما كانت تخرجه الأرض الطّيبة من ثمار وغلال، فكبر مع الفتى حقده وبغضه لهؤلاء المعمّرين، وغيرهم من المعمّرين الذين كانوا يستغلّون أجود أراضي الجهة، فكان نضجه السّياسي والفكري واضحًا مع تقدّم سنّه، إذ كانت أمنيته الكبيرة تتجلّى في اندلاع الثّورة وانتشارها في

[1] – **راو**: إنّه، **خلاّنا**: تركنا من بعده، **نفذوا** ثارو: أي أخذوا بثأره، **ميتين**: مئتين كناية عن كثرة العدد

[2] – المنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة أول نوفمبر: مجلة فصلية، تاريخية، ثقافية، سياسية ، عدد 165، ص 40.

كامل التّراب الجزائري، وفعلاً تحقّق تنبؤه وتجسّدت أحلامه، فمع انطلاق الثّورة واتّساع دائرتها عبر الوطن وخاصةً بعد هجومات 20 أوت 1955م التّاريخية بالشّمال القسنطيني التي شارك فيها كثيرٌ من أصدقائه أمثال **مبارك فنيدس**، و **بن حياهم عمر** المدعو "**بو جمعة**"، وغيرهم.

كان **الحوّاتي** يسعى منذ البداية أن يصبح جنديًّا في جيش التّحرير الوطني، ولتحقيق حلمه اتّصل ببعض أصدقائه الذين سبقوه في الالتحاق بصفوف جيش التّحرير بمركز الثّورة بمشتة "**حمام أولاد علي**"، حيث أعرب عن رغبة الانخراط في الثّورة، فاشترطت عليه القيادة الثّورية أن يقوم بعملية فدائية ضدّ الاستعمار ، فراح يفكّر في الأمر ثم حدّد الهدف، وقرّر قتل أحد غلاة المعمرين بالجهة؛ **كاطالا فرانسوا**، و فعلاً تمّت العمليّة بمشاركة الشّهيد **صالح صمودي** حيث وجّه **الحوّاتي** ضربة رفشٍ لذلك المعمّر فأرداه قتيلاً، ليلتحق بعدها، وبشكلٍ نهائيٍّ بجيش التّحرير ضمن فرقةٍ كان يرأسها الشّهيد **محمد بلحداد** المدعو "**حديود**" لبضعة أشهرٍ، شارك خلالها في عدّة عمليات، فبرهن على شجاعته، وحنكته، وكان آخر ما شارك فيه: معركة 4 ماي 1957م بجبل زيتون ونجا رفقة مجموعة من إخوانه المجاهدين، وتسمّى هذه المعركة **بمعركة الماجن**[1] الشّهيرة، التي استشهد فيها 15 مجاهدًا من أصل 21، بعد ذلك التمس **الحوّاتي** من قيادة النّاحية أن يُوَجَّه للعمل الفدائي نظرًا لميوله إلى العمل الفردي، من أجل تنفيذ خططه التي كان يمارسها منذ أن كبر مقته، وبغضه لغلاة المعمرين، والعملاء الجبناء، فقبلت طلبه، وأصبح فدائيًّا عاملاً بالقسم الثالث من النّاحية الثالثة – المنطقة الرّابعة – الولاية الثّانية، كما تركت له حريّة اختيار مساعديه، فكان بارعًا في التّسلل إلى التجمُّعات السّكانية سواءً بالمدن أو القرى وضيعات المعمّرين، كما كان ينفّذ عملياته بجرأةٍ وشجاعةٍ نادرتين، وعلى مرأى ومسمع الجميع، هدفه في ذلك الرّفع من معنويات الشّعب الجزائري، وإنزال الرّعب، والهلع في أوساط المعمّرين ليبرهن ميدانيًّا على أنّ الثّورة قويّة ومستمرّة، و إنها ستنتصر لا محالة بفضل عزم أبنائها وشجاعتهم وتضحياتهم الجسام.

نفّذ البطل **الحوّاتي** 35 عملية فدائية قضى خلالها على أكبر الطغاة من المعمّرين، والعملاء وكُلّلت جميعها بالنّجاح، ما عدا عمليتين، تارةً وحده، وتارةً أخرى بمشاركة رفاقه[2] من المجاهدين.[3]

---

[1] – معركة الماجن سيأتي ذكرها في المبحث الثّاني من هذا الفصل

[2] –من جملة رفاقه: المجاهد قريشي محمد، و الشهيدان مفتاح بشيرو بولاحة مسعود، و كذا الشهيد بن حياهم محمد الصالح الملقب "لمزند" و بن حياهم أحمد المدعو "لحريدي"

[3] – المنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة أول نوفمبر ، عدد 165، ص 40-41

وقد خلدت الأغنية الشّعبية اسم هذا البطل اعترافًا بأعماله و تضحياته من أجل حريّة الوطن:[1]

**سِي الحوَّاتي يَـا رَاكَبْ الفْرَسْ طَالَعْ لَسْمَنْدُو وَ القَــارَا تَبْقصْ**[2]

**سِي الحوَّاتي يَا رَاكَبْ لحصَانْ طَالَعْ لَسْمَنْدُو وَ المْتْرَيَاتْ ألمانْ**[3]

**سِي الحوَّاتي يَا رَاكَبْ لحصَانْ طَالَعْ لَلْحَرْبْ وَ يْسَرْكَــلْ بَالكُـورْ**[4]

تبيّن هذه الأغنية أنّ سي الحوّاتي شارك في عدّة عملياتٍ حربيّةٍ ضدّ المستعمر الغاشم في أماكن عدّة تشهد على ذلك خاصةً منطقة "**السمندو**"، فسي الحوّاتي كان بطلاً عظيمًا حمل الأسلحة بأنواعها كالقارا، والميتريات...إلخ، دفاعًا عن وطنه، هذه الأسلحة التي تعدّ ضعيفة المفعول مقارنةً مع أسلحة العدو لكن الإيمان بالقضية هو السّلاح الأكبر.

**ج- واقعة استشهاده:**

بعد حياةٍ حافلةٍ بالتّضحيات والأعمال الجليلة كما سبق وأن أشير لبعضها سقط البطل **بروق الهاشمي** المدعو "**الحوّاتي**" في ميدان الشّرف خلال معركة بطولية جرت وقائعها بجبل بني صالح في النّقطة الواقعة ما بين موريس، وشال الجهنميّين يوم 27 أكتوبر 1960م، وهذا عندما كانت مجموعته تحاول عبور هذين الخطّين المكهربين الملغّمين نحو القواعد الخلفية لجيش التّحرير الوطني الواقعة على الحدود الجزائرية التّونسية[5]، حيث "حاول المجاهدون قطع الأسلاك للتّسلل إلى التّراب التّونسي، ولكنّهم لم يفلحوا في ذلك، وبقوا مدّة أسبوعين، لكن اكتُشِف أمرهم من قِبَل العدو ووقع اشتباك عنيف بينهم، فسقط **الحوّاتي** شهيدًا يوم 27 أكتوبر 1960م وشاءت الأقدار أن يختم رسالته بعيدًا عن بلديته مدافعًا عن الجزائر بكلّ شجاعة وإقدام"[6]

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

[2] – **طالع**: ذاهب، **لسمندو**: اسم مكان ، **القارة**: سلاح فردي مأخوذ من اللفظ الأجنبي "GARA"، **تبقص**: تلمع

[3] –**المتريات ألمان**: رشّاش يدوي ألماني.، فمتريات ترجمة حرفية لكلمة mitraillette الفرنسية و تعني بندقيّة.

[4] – **يسركل**: بمعنى يجول، و هي مأخوذة من كلمة cercle الفرنسية، **الكور**: خرتوش من الوزن الثّقيل.

[5] – المنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة أول نوفمبر ، عدد 165، ص 41

[6] – حرب التحرير الوطني عبر ولاية قالمة، نوفمبر 1954- 19 مارس 1962 ، أوت 1997، ج2 ، ص 95

تقول الأغنية:[1]

**عَـــــــادُوا ، مَنْ عَـــــــادُوا عَـــــــادُوا بَـالنِيَّـــــــة[2]**

**خُويَا الحوَّاتي جَـــــابَنَّا الحرِيَّــة[3]**

**خُويَا الحوَّاتي مَا تجِينِيشْ في النْهَارْ فْرَانْسَا الغَدَّارَة تَضْرْبَكْ بَالنَّارْ[4]**

**فْرَنْسَـــا الغَدَّارَة تَضْرَبْ بَـــالقوَّادْ[5]**

تؤكّد هذه الأغنية أنّ **سي الحوّاتي** شارك في عدّة عمليات حربيّة ضد المستعمر.

وفي مقطعٍ شبيه:[6]

**يَـــا لِيـــلِي يَانَا وَ أنَا عَلُـــولِيَّة يَرْجَعْلِي وْلِيدِي وَ يجِيبْ الحرِيَّة[7]**

**خُويَا الحوَّاتي مَا تجِينِيشْ عَالوَادْ فْرَانْسَـــا الغَدَّارَة تخْدَمْ بَالقوَّادْ[8]**

تبيّن من خلال هذه الأغنية أنّ **سي الحوّاتي** كان بارعًا في التّسلل إلى التّجمعات السّكانية، ولاسيما أنّ هناك عيونًا تترصّد له قصد الإطاحة به في يد العدو.

وفي موضع آخر:[9]

**جَاني الحوَّاتي كُوسْتِيمْ و جَلَّابَة جَـــا البَيُوعْ مَنْ طَلْحَة لْعَنَّابَة[10]**

**جَاني الحوَّاتي مَتْغَيَّرْ اللَّبْسَة رَقْطَة وَ الكَرْتُـــــوشْ أمْخَيَّـــــرْ[11]**

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[2] – **النيّة**: المقصود بها النيّة الطّيبة.

[3] – **خويا**: أخي، **جابنّا**: بمعنى حقّق لنا.

[4] – **ما تجينيش**: لا تأتني، **تضربك بالنّار**: بمعنى تطلق عليك الرّصاص

[5] –**القوّاد**: اسم كان يطلق على العملاء أثناء الثّورة التّحريرية و هو الخائن الذي يبيع دينه و وطنه، و عبارة تضرب بالقوّاد أي تستعمله وسيلة للوصول إلى أماكن الثوّار.

[6] – منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

[7] – **يرجعلي**: يرجع لي أو يعود إلي، **وليدي**: ولدي، **يجيب**: يحضر و المقصود هنا يحقّق الحريّة.

[8] – **عالواد**: على النهر أو الوادي، **تخدم بالقوّاد**: تستعمل الخونة.

[9] – منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار ، 70 سنة، جبالة لخميسي

[10] – **كوستيم**: مأخوذة من كلمة costume الفرنسيّة وتعني البدلة ، **جلاّبة**: عباءة، **جا**: جاء، **البيوع**: الخائن البائع وطنه، **طلحة**: اسم مكان.

[11] – **جاني**: جاءني، **متغيّر اللّبسة**: بمعنى يلبس لاباسًا مغايرًا، **رقطة**: ذات ألوان مختلفة، والمقصود بها لون الزي العسكري، **الكرتوش**: الخرتوش، **امخيّر**: أي ذا نوعيّة رفيعة.

**جَاني الحوَّاتي لابَسْ قْمَجَّة زِيتي ألحَقْ البَايُوعْ مَنْ هُوَّارَة لْبِيتِي**[1]

## 7- الشّهيد مبارك فنيدس:

### أ- نشأته وتعليمه:

ولد **مبارك فنيدس** في المكان المسمّى "**المرج**"[2] ، وسُجِّل في الحالة المدنية للبلدية يوم 30 أفريل 1933م، أبوه **الطاهر بن علي بن عمار**، وأمّه **مسعودة زعلاني**، وهو أصغر إخوته الأربعة[3]، وسرعان ما انتقلت العائلة إلى القرية وسكنت في (دار الألمانية) بالشّارع الوطني وسط هيليوبوليس، لتعمل عند السّيد **رابح بن رمضان**، الذي كان مستأجرًا لسكن وأرض هذه الألمانية، القاطنة بهيليوبوليس، وانخرطت العائلة في العمل الفلاحي، أمّا الصّبي الصّغير **مبارك** فقد أخذه والده إلى "الجامع" لحفظ القرآن الكريم عند الشيخ **محمد الصالح بلغربي** الذي اشتهر بتعليم الصّبيان بالبلدية، وكان ذلك سنة 1938م.

كان مبارك تلميذًا نجيبًا، وسريع الحفظ، هادئًا، ومتخلّقًا، ومتميّزًا بين زملائه، ولكن سرعان ما انتقلت العائلة من دار الألمانية، ومن عند السّيد **رابح بن رمضان** إلى ضيعة "**صموئل**"[4] للعمل للعمل في الفلاحة أيضًا، فوضعه أبوه عند الشّيخ **محفوظ بوشمال** لمواصلة الدّراسة، فاستمر على ذلك الحال عامًا واحدًا، لتعود العائلة إلى هيليوبوليس، وتُقيم في "**دار المعمر سرينو**"[5] ويعود الطالب **مبارك** إلى الدّراسة عند الشيخ **محمد الصالح بلغربي** مع مجموعة من زملائه منهم **محمد بلحداد**[6]، و هناك يُتِم حفظ القرآن الكريم.[7]

وأمّا عن أوصافه فقد كان أشقرًا ، متوسط القامة، بعينين بنيتين، بشوش الوجه، محبوبًا من قِبَل الجميع، يميل كثيرًا إلى الانطواء والعمل في سريّةٍ تامّةٍ، فلا أحد يعرف بالتّحديد ما ينوي فعله،

---

[1] – **قمجّة**: قميص، **زيتي**: لونها مثل لون الزّيت، **ألحق**: الحق فعل أمر للفعل لَحِقَ، **البايوع**: الخائن، **بيتي**: قرية بومهرة بومهرة أحمد حاليا.

[2] –**المرج**: يبعد عن مقر بلدية هليوبوليس بحوالي 05 كلم، و هو عبارة عن هضبة تفصل بين مقر البلدية، وحمام أولاد علي، و أغلب سكان البلدية كانوا يتمركزون في هذه الناحية.

[3] – هم: عمار، مسعود، فاطمة الزهراء، و محمد (حمودة).

[4] – تقع ببلدية قلعة بوصبع

[5] – تقع الآن بشارع "محمد بلحداد"

[6] – **محمد بلحداد**: اسم مجاهد

[7] – أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس (1933-1960)، المرجع السّابق، ص 13-14

كما كان شغوفًا بمطالعة الكتب، ولاسيما سير الأنبياء والرُّسل، ممّا أكسبه زادًا ورصيدًا من الثّقافة والوعي. تقول الأغنية: [1]

**سِـــي مْبَـــارَكْ يَـا نِيَّة لبَّسْتِ كُـل الذَرِيَّـــة**[2]

**وَ قْصَدْتِ تُونَسْ الشَّرْقِيَّة و بهَا عْمَلْتِ الْفْخَارْ**[3]

في هذين البيتين إشادة بمكانة سي مبارك الرّفيعة بين النّاس، فلطالما كان محلّ فخر لهم لما له من شهامة و ورَع، و صيته انتشر في كل مكان يقصده.

وقد اشتهر في المنطقة بتعلّقه الشّديد بحصانه الأزرق[4] الذي كان ينتقل به من مكانٍ إلى آخر في النّاحية، الذي ورد ذكره في الأغاني الشّعبية، نذكر منها على سبيل المثال: [5]

**الطَيَّـــارَة تْـــدُورْ ادُّورْ عْلَى السَّاطُورْ**[6]

**سِي اَمْبَارَكْ رَاحْ و خَلَّى الجـادُورْ**[7]

**ب– حسّه الوطني:**

توفي والده مع بداية سنة 1946م، فتوزّعت العائلة بعد أن تزوج إخوته، وأصبح يعيش مع شقيقه **محمد**، وبدأ **مبارك** يعي الحقيقة أكثر من غيره، خاصةً بعد أحداث 08 ماي 1945م

[1] – منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

[2] – **نيّة**: المقصود بها طيب القلب، **لبست كل الذريّة**: أي جنّدت كل الصّبية

[3] – **عملت**: أنجزت، **الفخار**: ما يكون محل فخرٍ، كالشجاعة و الإقدام.

[4] – التصقت بهذا الحصان حكايات شعبية تثبت ذكاءه، و وفاءه لصاحبه، وقيل أن حصانه لا يقوده أبدا إلى مكان فيه خطر على صاحبه، فإذا سلك سي مبارك طريقا جبليا في تلك الناحية فعندما يتوقف الحصان و يقيم أذنية فيعني أن هناك خطرا، ولابدّ من العودة والحذر. كان لا يستطيع أحد ركوبه ما عدا صاحبه لأنه يرفضهم و يرفض المشي، بل يقف ويضرب بحوافره الأرض.

ودخل في المعتقد الشعبي أن الحصان له قوة غيبية تساعد سي امبارك هذا الرجل المؤمن، المجاهد الذي يحفظ القرآن حفظا متقنا و يجيد قراءته و بالتالي كانت هناك مهابة نحو الحصان ونحو صاحبه، وألفت القصائد الشّعبية في كل الأعمال الثورية التي كان يقوم بها اسي مبارك و المجاهدون الذين معه.

و كان الحصان مشارِكًا في إلهام هؤلاء الشعراء المجهولين في تأليف قصائدهم.

و عندما استشهد سي امبارك تاه الحصان وحزن، وكان يراه الناس يصهل في كل مكان لفقدان صاحبه العزيز.

[5] – منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس

[6] – **تدور و ادّور**: تحلّق حول، **السّاطور**: اسم مكان قريب من هيليوبوليس.

[7] – **خلّى**: ترك مِن بعدِه، **الجادور**: الحصان.

الرّهيبة، فقد كان يرى آثار الجريمة ماثلةً أمام عينيه، يشاهدها في كل جانبٍ من جوانب قريته؛ في "**كاف البومبة**" وفي "**فرن الكبير**"، وأشدّ ما كان يؤلمه فراق كثير من الناس كان يعرفهم؛ جيرانه، أصدقاءه، لقد اختفى الجميع، قُتلوا و أُحرقوا وغلاة المعمّرين يسيطرون على كلّ شيء.[1]

**ج- أعماله الثّورية:**

تُشير الأغنية الشّعبية إلى أنّ الثّورة لم تكن محدودة بجهة ضيّقة من التّراب الوطني، وإنّما عمّت منطقة قالمة، وامتد لهيبها إلى القرى، والمداشر التي كان يقطن بها الأبطال المعروفين بخصالهم وشهامتهم وكراهيتهم للظّلم والقهر، والذين لم يلقوا السّلاح، ولم يستسلموا رغم ما تعرضوا إليه من وسائل الانتقام والغدر. تقول الاغنية: [2]

**نَبْكِي بَالدَّمْعَـــة الهَمَّـــالَة مَتْحَيَّـــــرْ قَلْبِـــي كَزْدَانْ[3]**
**نحْكِيلْكُمْ مَـــا صَـايَرْ بِينَا عْلَى المينَة و زَايْـــد السِّيلانْ[4]**
**كِي جَبِّينَـــا عْلَى بْنِي مَرْمِي أُو سِي اَمْبَارَكْ يجْبَدْ في الكَرْني[5]**
**وَ يْسَجَّلْ فِيهَا فْلَانْ وَ فْلَانْ أُو يَا خُـــوتي وَحْـــش أمَّالِيَّا[6]**

**و**منطقة هيليوبوليس شهدت بدورها الإرهاصات الأولى للثّورة حيث تأسّس الفوج للمنّظمة السّرية [O.S] ما يعرف بالجناح العسكري لحركة **انتصار الحريّات الديموقراطية**

---

[1] – أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس (1933-1960)، المرجع السّابق، ص 15

[2] – منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس

[3] – **نبكي**: أبكي، **الهمّالة**: المنهمرة بغزارة ، **متحيّر**: من الحيرة، **كزدان**: حزين

[4] – **نحكيلكم**: أحكي لكم و المقصود هنا أروي لكم، **ما صاير**: ما يحدث ، **بينا**: بنا و المقصود هنا لنا ،**المينة**: لغم أو قنبلة، **زايد**: و أيضًا، **السّيلان**: خط موريس و هو خط يحمل اسم وزير الدفاع الفرنسي الذي ابتكره و هي الأسلاك المكهربة التي وضعها الجيش الفرنسي على الحدود مع تونس من جهة و مع الغرب من جهة أخرى ليمنع المجاهدين من الدخول إلى الجزائر و بالأخص دخول السلاح، و هي عبارة عن عدة خطوط سلكية مكهربة تتسع حوالي مئة متر عرضا و تمتد من البحر إلى الصحراء طولا و تتخللها مراكز للجنود بالرادار و أحدث الأجهزة الالكترونية و بالسلاح الثقيل و الخفيف و بالأنوار الكاشفة، و قد بدأ إرساؤها في بداية 1956 و انتهى نشيدها في سبتمبر 1957.

[5] – **كي**: حين، **جبّينا**: مررنا، **بني مرمي**: اسم مكان في جهة واقعة ببلدية بومهرة، و بني مرمي لقب عرش، **يجبد**: يستخرج، **الكرني**: السّجِل.

[6] – **خوتي**: إخوتي، **وحش ماليّا**: اشتياقي للأهل و الأقارب.

[M.T.L.D] برئاسة المناضل والشّهيد **علوط يحيى**[1]وعضويّة مجموعة من شبّان البلدية المتحمّسين للعمل الثّوري[2] ، وقد بوغِتُوا بالجيش الفرنسي يدهمهم، وألقى القبض عليهم وأعدمهم دون محاكمة في شهر مارس 1956م، عند سياج طاحونة القمر للمعمِّر الشّهير **لويس لافيه** بهيليوبوليس.

هؤلاء من الرّعيل الأوّل الذي كان يبث الوعي أوساط الشّباب، وكلّ الجماهير تحضيرًا للثّورة المسلّحة، ويُعَدُّ **مبارك فنيدس** من بين الشبّان الذين عملوا من أجل القضية الوطنية.

عاش الشّعب الجزائري منذ أكثر من قرن تحت هيمنة استعمار بغيض، نهب المعمّرون خيراته، وسيطروا على كلّ الأراضي الخصبة، وأصبح قاطنو هيليوبوليس هم عُمَّال أُجَراء لدى هؤلاء.

رتَّبت الثّورة أمورها بالمنطقة كجزء من الشّمال القسنطيني، وظهرت الصّورة واضحةً عند منتصف النّهار من يوم 20 أوت 1955م، عندما قام المسؤول العسكري لناحية هوارة **صالح الحرّوشي** بالهجوم بنفسه على هيليوبوليس، وقام **مبارك فنيدس** بالهجوم مع رفاقه على "**عين الباردة**"[3] ، وشمل الهجوم أماكن حسّاسة بالمدينة الصغيرة تحت قيادة **هبهوب أحمد**، ومشاركة **بوجمعة بن حياهم**.

ونظرًا لنشاط **سي مبارك** الدّؤوب، والمتواصل، وحنكته السّياسية، وثقافته، ومشاركته في العديد من المعارك، وعلاقته الطيّبة مع النّاس في المنطقة، بالإضافة إلى قيادته لقافلة جيش التّحرير الوطني عبر خط موريس النّاجحة، تمّت ترقيته إلى منصب عضو في قيادة النّاحية مكلّف بالتّموين.

**د– استشهاده:**

هناك في "**عين الكاهية**" كانت الثّورة تمرّ بأخطر مراحلها والخناق يشتدّ من حولها، وخطًّا موريس، وشال يقفان حائلاً في تزويد الثّورة بالسّلاح، وبدأت المحتشدات تُضيّق الخناق على المجاهدين من حيث التّموين، وهناك كثير من القادة، والمجاهدين استشهدوا في المعارك المختلفة لتصبح هذه المنطقة وهي الطريق لقوافل جيش التّحرير الوطني تسجّل عددًا رهيبًا من ضحايا المجاهدين العابرين ليبلغ ستة آلاف شهيد.

---

[1] –شهادة المناضل السّاسي بن حملة (O.S) بمنطقة قالمة

[2] – منهم: المجاهد محمد بو عرعور، الشهيد مجالدي مختار، و الشهيد موسى خالد

[3] – **عين الباردة:** منطقة تقع حاليا بولاية عنابة.

في بداية شهر أفريل 1960م كان سي مبارك و زميله صالح مخلوفي[1] قد التجآ إلى مخبئ أرضي (كازما)، ولكن أحد العملاء من أبناء المنطقة قام بتبليغ الجيش الفرنسي بوجودهما في ذلك المكان، ليقوم هؤلاء بحشد قوّات كبيرة تضمّ الطّائرات والدبّابات، وفي صبيحة يوم 11 فيفري 1960م بَلَغَ **سي مبارك** وزميله أنّهما محاصران حصارًا شديدًا، ولابدّ من العمل بسرعة للخروج من هذا المأزق، فاتفقا أن يفترقا في اتجاهين مختلفين بعد أن أحرقا ما لديهما من وثائق، ثم انطلقا من المخبئ مطلقين النّار على الجنود الفرنسيّين، الذين كانوا يطلقون النّار بدورهم من كلّ الجهات، ولم يستطع هؤلاء –الجنود الفرنسيّون– إصابة أحدهما حتّى تدخّلت الدبّابات بإطلاق النّار ليسقط الشّهيدان بعد أن أوقعا إصابات مؤكّدة في صفوف العدو.[2]

هكذا استُشهد هذا البطل المغوار بعد أن خلّف وراءه شُهرةً، وصيتًا في منطقتَيْ "**هوّارة**" و"**دباغ**". تقول الأغنية:[3]

**كِـــي جِيـــنَا عْلَى هُـوَّارَة و نَلْقَى البَـارُودْ غْمَامَة**[4]

**يَاوْ نَلْقَى البَـــارُودْ غْمَامَة البَنَـــانَـــات مْسَبْقِينْ**[5]

---

[1] –ولد الشّهيد صالح مخلوفي في 16 فيفري 1921، و عاش وسط عائلة بسيطة متكونة من ثمانية أفراد، غير أنه قضى فترة طفولته عند جده الشافعي، حفظ القرآن عن أبيه، ثم التحق بمدرسة العربي التبسي الكائنة بمدينة تبسة أين تعلم مختلف العلوم، و في أواخر سنة 1942م عاد الشهيد إلى مسقط رأسه، حيث تولى تعلم القرآن الكريم، كما شارك في حوادث 8 ماي 1945م، التي وقعت بمدينة قالمة.

ناضل الشّهيد في صفوف الحركة الوطنية لحزب الشعب إلى جانب العديد من الرفاق، و بعد انكشاف الخلية الأولى في سنة 1952م، فرّ إلى جبال ماونة عند أخواله أين واصل نضاله السياسي إلى غاية 20 أوت 1955م، ألقي عليه القبض و نفي إلى محتشدات "الجرف" و "سان لو" بمدينة المسيلة.

و فور إطلاق سراحه التحق سنة 1956م بجيش التحرير الوطني أين أشرف على القضاء حتى استشهد يوم 11 فيفري 1960م بعين الكاهية.

[2] – أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشّهيد مبارك فنيدس (1933–1960)، المرجع السّابق، ص 29–30

[3] – منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس ، 63 سنة، هيليوبوليس

[4] – **كي**: حين، **جينا**: أتينا ، **هوارة**: تضاريس جبلية طويلة تمتد من المكان المعروف الآن بالفج على الطريق الرابط بين قالمة و عنابة، و تنتهي عند "بو ضروة" (بوشقوف) عند الطريق الرابط بين عنابة و سوق أهراس، حيث يبدأ خط "موريس" عند مجرى وادي سيبوس المتجه شمالا نحو مصبه بعنابة، و تقوم حول الجبل مجموعة من النقاط السكانية أشهرها، هيليوبوليس، قلعة بوصبع، النشماية، عين الباردة، عين بيضاء، طلحة (سان جوزيف)، بني مزلين، جبالة خميسي، بومهرة، بلخير، **نلقى**: أجد، **البارود غمامة**: شبّه البارود المنشر في السّماء بالغيوم لِما أثاره من سواد.

[5] –**البنانات**: طائرة البنانة (banane) و هي هيليكوبتر (مروحيّة) على شكل موزة ، **مسبقين**: بمعنى سدّوا الطريق

**سِي اَمْبَارَكْ يَنْدَهْ بَالكَلْمَة أو شُبَّانُو قَطْعُوا لَالِيـــنْ**[1]

## 8- الشّهيد أحمد بومهرة:

### أ- مولده ونشأته[2] :

وُلِد الشّهيد **أحمد بومهرة** في "**مشتة الريحان**" أو "**الحفيص**" كما يعرف عند العامّة، ويُدعى اليوم "**دوّار المرازقة**" ، بلدية بلخير ، وهو ابن **محمد بومهرة** الذي كان يعيش في بيت الَمْقَدَّمْ **أحمد بلبصير** وهو الذي كفله ، ورعاه وأشرف على تحفيظه القرآن، ولما شبَّ فتح له جامعًا قرب داره وكلَّفه بِتَولِّي تحفيظ الصّبيان القرآن الكريم، ثمَّ زوَّجه بابنته **مسعودة**، ومنها أنجب ابنه البِكر (الشّهيد). انتقل الطالب **محمد بومهرة** إلى مشتة "**سيدي امبارك**" التي تقع عند منتصف الطريق بين قرية "**بومهرة أحمد**" وقرية "**الخزارة**" وهو في حوالي السّابعة من عمره واستكمل ما كان بدأه من حفظ القرآن على والده ثم انتقل إلى زاوية الشّيخ **الحفناوي** في قرية "**النّاظور**" بين قالمة، وبوشقوف، وهناك أكمل حفظ القرآن. وحين أتمّ دراسته بالزّاوية المذكورة تولَّى التّعليم مكان والده، فدرست على يديه مجموعة من صِبيان المشتة[3] والمنطقة، وظلّ قائمًا بهذه الوظيفة حتّى بدايات عمله السِّرِّي في الثّورة، وعندما كان يأتي الجيش الفرنسي في دوريّة بالمشتة كان تلاميذه يُخفون ألواحهم ويذهب كلُّ واحدٍ منهم إلى حاجته وكأن شيئًا لم يكن.

ومضى وقتٌ على هذه الحال قبل أن يتخلَّى عن مهمّة تحفيظ القرآن، بعد السّعي الحثيث من قِبل الجيش الفرنسي لإلقاء القبض عليه، ومطاردته والبحث عنه، واشتداد الضغوط على والده.

### ب- نشاطاته السّياسية والعسكريّة :

تفرَّغ الشّهيد للعمل السّياسي في الجبهة (جبهة التّحرير الوطني)، وصار قليلًا ما يأتي إلى البيت، وإذا جاء لا يلبث إلا وقتًا قصيرًا ثم يغادر إلى جهةٍ مجهولةٍ، وقد تولّى عدّة مناصبٍ خلال حياته الجهادية.[4]

---

[1] – **يندە:** يأمر أو يطلب شيئًا، **شبّانو:** المقصود بهم أفراد طليعته، **قطعوا:** عبروا ، **لالين:** لالين (خط موريس).

[2] – شهادة بومهرة عبد العزيز ، ابن الشّهيد بومهرة أحمد ، وهو دكتور وأستاذ محاضر في اللغة العربية بجامعة قالمة، ويشغل منصب عميد كليّة الآداب و اللغات بجامعة قالمة 8 ماي 1945.

[3] – **المشتة:** اسم يُطلق على منطقة صغيرة آهلة في الرّيف.

[4] – هي: – نائب المجلس الشّعبي في اللّجنة الشّرعية: 1956م.

. رئيس اللّجنة الشّرعية 1957م.

. عضو في القسمة ( المجلس السّياسي) :1959م.

**ج- اعتقاله من طرف العدو الفرنسي:**

أُلْقِيَ عليه القبض في أواخر سنة 1958م أو جانفي 1959م ، سُجن في قرية " **بلاد كفار**" المعروفة بـ "**شرفة أحمد**" حاليًّا، وهناك تمَّ استنطاقه وتعذيبه، وكان الاتجاهُ نحو الإعدام مؤكّداً. وبعد تدخّلات كثيرة أُرْغِم الشّهيد على ارتداء اللّباس العسكري الفرنسي لمدّة أشهرٍ، كانت محاولات الفرار من معسكر" **المنقوب**" على أشدِّها، وكان المجاهدون يقتربون من المعسكر في انتظار خروجه رفقة مجموعةٍ من صَحبه حسب خطّة مُسبقة، ولكنّهم كانوا يُخْفقون فتتأجّل العمليّة. و في شهر سبتمبر 1959م فرَّ أربعة مجاهدين، وهم: **بوجاهم السعيد** و**علاّل الطيب** و**بن عزوز علاوة**، من محتشد المنقوب بقيادة الشّهيد **بومهرة أحمد** بعدما غنموا كيسًا من الخرطوش، وكيسًا من القنابل اليدوية، و 49 بندقية، ورشّاشَيْن وبندقيتين من نوع فردي ، ومنها بندقية **برجم** الحركي المجرم. فقام العدو بقتل عائلاتهم ونهب ممتلكاتهم ، وجعل دار **بومهرة أحمد** مركزًا عسكريًّا.[1]

وظلَّ بعد ذلك يمارس مهامه العسكريّة والسياسيّة في "**ماونة**" ويصل حتى حدود "**عين العربي**"، وقليلًا ما يأتي إلى منطقة "**بني مرمي**" ليصل إلي "**وادي سيبوس**"، فيستقر عند السّيد **بوعصيدة** حارس طريق السكّة الحديدية ( الميزونا) ، وهناك كانت تلتقيه زوجته.

**د- رد الفعل الفرنسي على فراره :**

كان ردّ الفعل الفرنسي وحشيًّا ، خاصةً الحركي **برجم** حيث راح يتفنّن في التّعذيب والتّقتيل، ونشر الرُّعب بين أسرة الشّهيد وأبناء المشتة والمنطقة جميعًا.

تفرَّقت الأسرة كلٌّ إلى جهةٍ ، واعتُقِل والدُهُ وأَخَوَاهُ **الحسين** و**رشيد**، وظلُّوا تحت التّعذيب الشّديد والتّنكيل، وقُطِّعت أطرافهم وهم أحياء، حتّى إنَّ أَخَاهُ الصّغير "**رشيد**" أصابه الهَوَسُ وَجُنَّ من هَوْل ما تعرَّض له من أنواع التّعذيب المختلفة. فكان يّدُلُّهم على أماكنِ "الكَازْمَاتْ"[2] التي يختبئ فيها أخوه، وعندما يبحثون لا يجدون شيئًا. وكلُّ ذلك حتى يرتاح قليلاً من التّعذيب الذي يعانيه على أيدي جَلاَّدِي **برجم**.

[1] - المنظمة الوطنية للمجاهدين، المرجع السّابق ، ص430.

[2] - **الكازمات**: جمع مفرده كازما و هو مخبأ سرّي تحت الأرض، كان يستخدمه الثوّار للتستّر فيه عن أعين الأعداء.

**هـ- ظروف استشهاده:**

بعد سنتين من فراره الشّهير من "**المنقوب**" كان على موعدٍ مع يوم 13 سبتمبر 1961م ليلاقي ربَّه فيه، ويسقطَ شهيدًا في معركة غير متكافئة؛ في منطقة صخريّة وعرة، ولكنّها سهلة السّيطرة من الجو، فهي شبه عاريةٍ من الشّجر. فقد حوصر برًّا وجوًّا، ولم يتمكّنوا من النّيل منه إلاَّ باستعمال الطّائرة وعرفه الحرْكة فجَرُّوه مسافةً ، ولم يتركوه حتّى أحرقوه.

و ممّا جاء في استشهاده:

**بُومَهْرَة بَــرْدَعْ الجَــادُورْ اليُومْ فَالدَّنْيَا و غدْوَة فَالقْبُورْ**[1]

كما وردت أغنية طويلة تروي قصّة استشهاد البطل **بومهرة أحمد** و رفاقه في جبال ماونة، وقد أدّاها **بلقاسم بوحليط**[2] مضيفًا إليها شيئًا من عنده:[3]

**يَا لَالي يَا لَالي لَالَا يَا لَالي يَا لَالي لَالَا**[4]
**يَا لَالي يَا لَالي لَالَا عْلَى بْــلاَدِي الغَــالْيَة**
**آنـي جِيتَــكْ يَا بَابَا وَ سْمَحْلِي في جِهَادِي**[5]
**آنَــا مَاشِي نحَارَبْ عْلَى وَطْنِي وَ بْلَادِي**[6]
**يَا خُويَــــا لَعْزِيــــزْ وَ انْتَــــايَــا الكْبِيــــرْ**[7]
**اتْهَلَّالي في حْسَنْ وَ الميــــرْ مَازَالْ صْغِيرْ**[8]

---

[1] – **بردع** : وضع البردعة أي السّرج، **الجادور**: الحصان، **فالدّنيا**: في الدّنيا، **غدوة**: غدًا، **فالقبور**: في المقبرة.

[2] – **بلقاسم بوحليط**: هو أخ ميلود المستشهد مع بومهرة في جبال ماونة، و قد أدّى هذه الأغنية رفقة محمد العربي بوساحة عازف الجوّاق (المزمار).

[3] – أغنية شعبيّة ثوريّة أدّاها سي بلقاسم بوحليط و عازف الجوّاق محمد العربي، إذاعة قالمة الجهوية،حصة إذاعية بعنوان صوت الجبال، تقديم أحمد عاشوري.

[4] - **يَا لالي يا لالي لالا** : لازمة يردّدها مغنُّوا الأغاني الشّعبية من باب الإيقاع الموسيقي و تحقيق التّناغم بين الأبيات.

[5] – **آني**: إنّي، **جيتك**: جئتك، **بابا**: أبي، **سمحلي**: اسمح لي.

[6] – **آنا**: أنا، **ماشي**: ذاهب.

[7] – **خويا**: أخي، **انتايا**: أنت.

[8] – **اتهلاّلي**: اعتنِ بـ، **المير**: لقب يُطلق على رئيس البلدية.

نُدرك من خلال هذه الأبيات أنّ الشّهيد **بومهرة أحمد** قد استسمح والده، وطلب منه الإذن بالجّهاد، والالتحاق بجيش التّحرير نصرةً للقضيّة الوطنيّة، كما قد أوصى أخاه البِكر برعاية أخوَيه مِن بعد رحيله، وهذا ما يدلّ على مقدار عاطفته، وحنانه تجاه أسرته.

**يَـــا خُويَـا عَلَّاوَة و جَبْتِينَّا البْرَيَّة**[1]
**قَتْلَتَّكْ فْرَانْسَـــا و رُحْتِي ضْحَيَّـة**[2]
**حْنَا فَالكَـازْمَـــا و حْنَـــا سَرْكَلْنَا**[3]
**أُضْرُبْ يَا المولُودْ و رَبِّـــي يسْتَرْنَا**
**يَا المولُودْ اَخُويَـا قَـطَّعْ الرِّسَـــــالَة**[4]
**أَنَـــا غُلْبَـــانْ و رَانِي في حَالَة**[5]

تروي هذه الأبيات الظّروف التي كانت سائدة قبل استشهاد **بومهرة أحمد**، ومن معه مِن الأبطال، و يتبيّن لنا أنّ **علاوة** استشهد قبل **ميلود**، إذ في الوقت الذي أعطاهما الرّسالة أطلق عساكر العدو الرّصاص عليه فأردوه قتيلًا.

داخل الكازما كان **بومهرة أحمد** يُعاني من جراحٍ خطيرة، فطلب من زميله **ميلود** تمزيق الرّسالة لما تحمله من مناشير يجب سِترها على العدو، فقام **ميلود** بإحراقها، وساعتها وقع الاشتباك بين الطّرفين –الثوّار و قوّات الاحتلال–.

**يَـا الطَّيَّـــارَة تْـدُورْ وَ تْـــدُورْ عْلِيـــهْ**[6]
**يَضْرَبْ المولُـــودْ الحبَّـة مَكْنَتْ فِيـهْ**[7]
**يَا الطَّيَّـــارَة تْـدُورْ وَ تْـــدُورْ بَالزَّرْبَـة**[8]

---

[1] – **جبتينّا**: أحضرت لنا، **البريّة**: الرّسالة.

[2] – **رحتي ضحيّة**: بمعنى صرت ضحيّة.

[3] – **حنا**: نحن، **الكازما**: مخبأ أرضي، **سركلنا**: دُمنا بدورة.

[4] – **قطّع**: بمعنى مزّق.

[5] – **غلبان**: مرهق، **راني**: إنّي، **في حالة**: بمعنى أنّه في حالة مزرية.

[6] – **تدور عليه**: تحوم و تحلّق حوله

[7] – **الحبّة**: المقصود بها حبّة الخرتوش، **مكنت فيه**: بمعنى اخترقته.

[8] – **بالزّربة**: بسرعة.

**أُضْرُبْ يَا المولُودْ و أَنَا فَضْلِي الحبَّة**[1]
**يَـا لْعَسْكَرْ لي جَانَا جَــانَا عَالذَّرْعَــانْ**[2]
**قَتْلُــو بُـومَهْــرَة وَ السَّعِيـدْ بُورَنَّانْ**
**يَا مِيــمْتُو تَبْكِـي تَبْكِـي وَ تْنَــوَّحْ**[3]
**قَــالَتْ وْلِيــدِي مَا جَــاشْ يْـرَوَّحْ**[4]
**يَا مِيــمْتُو تَبْكِي و مْطَلْعَة المَرْمِيطَة**[5]

واجه هؤلاء الأبطال العدو الفرنسي بكلّ شجاعة، وظلُّوا يطلقون النّار عليه إلى أن نفذ ما معهم من خرتوش، فسقطوا في ساحة الوغى الواحد تلوَ الآخر.

وتستحضر الأغنية صورة الأم وقلبها يحترق كمدًا على فلذة كبدها، وقد كانت فيما قبل تنشد عودته إليها لتضمّه وتُشفي غليلها من فراقه:

**"بُومَهْرَة اَمْ قَالُو مَاتْ وَ المولُـودْ بُوحَلِّيـطْ**[6]
**اَرْوَاحُو تْشُوفُو يَانَاسْ اَرْوَاحُو تْشُوفُو يَـا نَاسْ**[7]
**بُومَهْرَة وَ المولُــودْ حَرْقُــوهُمْ بَلِّيسَــانَسْ**[8]
**آتُو البَـالاَ وَ الفَــاسْ نَبْكِــي عْلَى الشُّهَدَا**[9]

---

[1] – **فضلي الحبّة**: انتهت حبّات الخرتوش التي أستعملها.

[2] – **لي**: الذي، **جانا**: أتانا، **الذرعان**: اسم مكان.

[3] – **ميمتو**: أمّه، تن**وّح**: أي تنُوح تبكي بصوت عالٍ

[4] – **وليدي**: ولدي، ما **جاش**: لم يأت، **يروّح**: يرجع أو يعود، و معنى ماجاش يروّح أي أنّه لم يعد إلى بيته.

[5] – **المرميطة**: ترجمة حرفية لكلمة marmeta الفرنسية و تعني طنجرة، و عبارة مطلعة المرميطة أي أنّ هذه الأم كانت صاعدة إلى ابنها في الجبل و معها طنجرة بها طعّام لتسلّمها إليه.

[6] – **أم**: بمعنى لقد.

[7] – **أرواحوا**: تعالوا، **تشوفوا**: ترَوْ أو تشاهدوا.

[8] – **بالليسانس**: ليسانس مأخوذة من كلمة

[9] – **آتوا**: تُلفَظ بالعاميّة آتوا أو هاتوا، و تعني أحضروا، **البالا**: مأخوذة من كلمة pelle الفرنسية و تعني المجرفة، **نبكي**: أبكي، **الشّهدا**: الشّهداء.

**نَبْكِي عْلَى الشُّهَـدَا اَمْ طَيْشُوهُمْ في قْيَاسْ[1]"[2]**

علت الهتافات باستشهاد البطلين: **بومهرة أحمد** و**بوحليط المولود**، اللذَيْن ضحّيا بنفسَيْهما لتُرفع راية الجزائر عاليًا، ولتُطَهّر الأرض من أقدام العدو النَّجِسَة.

وفي هذه الأبيات نداءٌ صارخٌ إلى كلّ الشّعوب لمعرفة مدى الجُرْم الذي قام به المستعمر الغاشم إزاء هؤلاء الأبطال الأحرار، إذ لم يكتف بقتلهم وحسب، بل نكّلَ بجثثهم شرّ تنكيل؛ فأحرقها بالبنزين وقذف بها في حفرةٍ عميقةٍ بالمكان المسمَّى "**قياس**"

**يَا خُوتي لَعْزَازْ وَ أَنَا غَبْتْ عْلِيـكُمْ أَنَا مْشِيتْ نجَاهَدْ و بْدَمِّي رَاني نَفْدِيكُمْ[3]**

**يَـــا لَالـــي يَـــا لَالـــي لَالَا يَـــا لَالـــي يَـــا لَالـــي لَالَا[4]**

**يَـــا لَالـــي يَـــا لَالـــي لَالَا عْلَـــى بْـــلَادِي الغَـــالْيَـــة**

في البيت الأخير قبل اللازمة، يتحدّث المغنّي على لسان البطل الشّهيد **بومهرة**، وكأنّه بذلك يستحضر روحه الطّاهرة لتبيّن مدى سرورها بما قدّمته من تضحيّةٍ وفداءٍ من أجل أن نحيا سالمين مُطمئنّين، ننعَمُ بالحريّة والاستقلال.

تُعَدُّ هذه الأغنية نموذجًا من النّماذج التي كانت تُغنَّى في جبال قالمة أثناء الثّورة التّحريرية التي من خلالها نستشف الدّور الكبير الذي أدَّته من حيث غرس الحماس في نفوس المجاهدين، بالإضافة إلى دورها التّأريخي للثّورة، ففي النّموذج الذي بين أيدينا استطعنا ملامسة بعض الأحداث التي تزامنت مع استشهاد البطل ومن معه.

[1] – **ام**: بمعنى لقد، **طيشوهم**: قذفوهم أو رموا بهم، **قياس**: اسم مكان.

[2] - عبد العزيز بومهرة، الحريّة و التضحية في الأغنية الشعبية، الملتقى الوطني: الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمة، المرجع السّابق، ص 12

[3] – **خوتي**: إخوتي، **لعزاز**: الأعزّاء، **غبت عليكم**: غبت عنكم، **راني**: إنّي، **نفديكم**: أفديكم

[4] - **يَا لالي يا لالي لالا** : لازمة يردّدها مغنُّوا الأغاني الشّعبية من باب الإيقاع الموسيقي و تحقيق التّناغم بين الأبيات.

**ثانيًا/ المعارك الثّورية**

لم تكن الثورة محدودة بجبهة ضيقة من التّراب الوطني، وإنّما عمّت منطقة قالمة، وامتدّ لهيبها إلى القرى، والمداشر التي كان يقطن بها الأبطال المعروفين بخصالهم، وشهامتهم وكراهيتهم للظّلم والقهر، فهم لم يُلقوا السّلاح، ولم يستكينوا رغم ما تعرّضوا له من وسائل الانتقام والغدر، أمّا بالنسبة لمنطقة قالمة التي سبق لها أن عرفت نشاطًا مكثّفًا لرجال الحركة الوطنية وذاقت الأمرَّيْن خلال مجازر 08 ماي 1945م فإنّ مناضليها تشيّعوا باكرًا بجوهر النّضال، لذا كانت هذه المدينة بضواحيها على استعداد لأيّة مبادرة جديدة تصبّ في خانة الدّفاع عن الجزائر، فقامت عدّة معارك في شتّى أرجاء المنطقة، وقد عُرفت كل معركة بتسمية معيّنة ترجع في أغلبها إلى اسم مكان الملحمة، وقد استعمل العدو كل أنواع الأسلحة المحرّمة دوليًّا في هذه المعارك، وتصف الأغنية الشّعبية مدى قوة العتاد الحربي لجيش العدو :[1]

**يَاحُزْنِي عَالْمُجَاهِدِيـــنْ وَ الخَبِيثَة سَرْكَاتْ بَالْفِينْ**[2]
**وكِي جَـــابُـــوا لَكْمَايِينْ وهُومَـا الكُلْ مْسَرْجْيِّـــنْ**[3]
**يَاحُزْنِي عْلَـى بَلْخِيـــرْ يَضْرَبْ وَيْطَيَّـحْ بَالرَّبْعِينْ**[4]
**كِي تَكْرُوشَاتْلُو البْيَاسَا عَـــادْ يْفَرْ بْلَا جَنْحِينْ**[5]

[1] – منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي.

[2] – **عالمجاهدين**: على المجاهدين، و العبارة يا حزني عالمجاهدين تعني أحزن من أجلهم، **الخبيثة**: لقب أطلقه الجزائريّون على فرنسا، **سركات**: أحاطت، **و** هذه اللفظة مأخوذة من cercle الفرنسية و تعني دائرة أو حلقة ، **الفين**: أَلْفَيْن كناية عن كثرة العدد.

[3] – **كي**: حين، **جابوا**: أحضروا أو أتوا بـ، **الكمايين**: مفردها في اللهجة القالمية كاميونة و هي مأخوذة من كلمة camion الفرنسيّة و تعني شاحنة ، **هوما**: هم تعود على الشّاحنات، **الكُل**: الكل أي جميعها، **مسرجيين**: مأخوذة من كلمة charger الفرنسية أي محمّلين أو معبّئين.

[4] – **يطيّح**: يُسقِط، **بالربعين**: بالأربعين، وعبارة يطيّح بالربعين أي أنّه بطلقة واحدة يقضي على الكثير كناية عن براعته في القتال.

[5] – **كي**: عندما، **تكروشاتلو البياسة**: أي حدث عطل بالسّلاح، **عاد**: أصبح أو صار، **يفر**: يطير، **بلا جنحين**: بلا جناحَيْن.

## 1- معركة أم النسور:

تُعَدُّ **معركة أم النسور** من بين المعارك الخالدة، والتي حقّق فيها المجاهدون انتصارًا عظيمًا على الاستعمار، وذلك بقيادة **علي زغدودي** المدعو "**بلخير**" قائد كتيبة جيش التّحرير للقسم الأوّل (القابل) لناحية ماونة، وقد استُهدف في هذه المعركة أربعة وأربعين شهيدًا ، ومن الأسباب التي أدّت إلى حدوثها : تعدُّد العمليات العسكريّة والاشتباكات التي أصبحت يوميّة في النّواحي المحيطة بمدينة قالمة، التي دفعت قادة الجيش الفرنسي بدعم جيوشهم بالجيش الأوّل للفريق الأجنبي للمضليّين بقيادة العميد **جان بيار** المتمركز في مدينة قالمة في 21 جانفي 1958م بوحدة جيش الهند الصيني، أمّا السّبب الثاني فيكمن في الوشاية التي قام بها "**عمار فار**" المدعو "**عمارة القومي**" حيث سلَّم نفسه إلى الجيش الفرنسي بمدينة قالمة وأطلعه على نشاط جيش التّحرير وتحركاته في قسم شنيور ناحية ماونة[1].

بدأت فرق جيش التّحرير تأخذ أماكنها بالمكان المسمّى "**أم النسور**" بقمّة جبل "**ماونة**" على السّاعة الثّانية صباحًا، والمكان عبارة عن جبل مستطيل الشّكل خالٍ من الأشجار والحجارة لكن تحيط بكل جوانبه صخور ، حيث تمركز المجاهدون فيها، وفي كلّ المرتفعات، ولم يبق إلاّ فتحة واحدة من النّاحية الغربية أُبقيت عمدًا لمرور قوّات جيش العدو ، وهذا ما وقع بالفعل لأنّ هذه الفتحة كانت مقابلة لمركز المراقبة بـ"**عين الصّفراء**" .

كان الضباب يعمّ المكان، وبعدما دخل جنود العدو في وسط جيش التّحرير ، وعلى السّاعة السّادسة وخمسة وأربعين دقيقة أُطْلِق النّار على **زغدودي علي** قائد الكتيبة، وكان أوّل قتيل من جنود العدو قائد الوحدة التي صعدت إلى قمّة الجبل، ثم أُطْلِق رصاص البنادق الرشّاشة لجيش التّحرير من كل ربوة ، فسقط جنود العدوّ بالعشرات ولم يستطيعوا القيام بأيّة حركة، لأنّهم بوغِتُوا بالوضعيّة التي وجدوا أنفسهم فيها، وتواصلت المعركة حتى السّاعة الثانية عشر، وقُتِل من قُتِل من جيش العدو، وفرّ من فر، وأُمر الباقي بالانسحاب، عندئذٍ تدخّلت الطّائرات (ب 26) لتطلق الغاز القاتل الممنوع دوليًّا. تقول الأغنية:[2]

**يَاحُزْنِي عْلَى جْبَلْ صْعَبْ الطَّيَّـــارَة بَالْغَازْ تْصَبْ**[3]

---

[1] – شهادات : جمعية الثقافة و التاريخ للمعارك الكبرى للثورة التحريرية عبر ولاية قالمة.

[2] – منقولة عن طريق السّماع: قمير بوثلجة ، 75 سنة، قالمة

[3] – **صعب**: صعب المسالك، **بالغاز تصب**: ترمي بالغاز.

**جُنْــدِي مَـــــا هْرَبْ عْلَى وَطَنْهُمْ قَدْمُوا لَلْنَّارْ**[1]

ورغم هذا تواصلت المعركة حتى المساء وانسحب المجاهدون ، أمّا جنود العدو فبدأت وحداته تتجمّع مع غروب الشّمس خوفًا من الإغارات اللّيلية المباغتة.

استطاعت هذه الفئة القليلة من المجاهدين أن تزعزع أركان جيش كان يُعدّ من أكبر جيوش الحلف الأطلسي، ألا وهو الجيش الفرنسي الذي استعمل كلّ الوسائل البشعة، والأسلحة المتطوّرة آنذاك لإخماد الثّورة لكنّه أخفق في ذلك، إذ كان له الأبطال الشّجعان بالمرصاد، فقد انفجر بركان الثّورة ليعلن ميلاد الغضب الشّعبي، والتحام مناطق الثّورة ككتلة متماسكة بفضل جيل نوفمبر، أمثال **بلخير** و**الحواس**، وغيرهما :[2]

**يَا نْهَـارْ خَبْرُونَــا بْلَارَافْ و شُبَّـــــانُو تْكُونُوا خْفَـافْ**[3]

**يَا الحَطَّة رَاهِي فَالكَافْ بَلْخِيـرْ آوْ رَايَـــسْ الجُنْدِيَّة**[4]

**يَا انْعَـامْ اسْتَشْهَدْ بَلْخِيـرْ سِي الحُسِينْ وَاشْ دُورْ ادِّيرْ**[5]

**جَابَتْلُــو دُوبَــلْ كُوبْتِيـرْ حَطَّتْلُــو فِـي كُلْ انْحِيَّـــة**[6]

**بَلْخِيـــرْ بْلَاصَ الجُنُـودْ وَ مْعَـــاهْ الرَّبْ المَعْبُـــودْ**[7]

**لِي يْمُوتْ رَاهُو مَسْعُودْ وَ البَـــاقِي يْجِيـــبْ الحُرِيَّة**[8]

---

[1] – **جندي ما هرب**: بمعنى لم يفرّ أيّ جندي، **على وطنهم قدموا للنّار**: أي أنّهم من أجل وطنهم واجهوا نيران الحرب.

[2] – منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[3] – **يا نهار**: بمعنى يوم، **خبرونا**: أخبرونا، **لاراف**: تعني الغارة و تعني أيضًا حشد الأهالي لاستنطاقهم عن مواقع المجاهدين، ولاراف مأخوذة من كلمة la rafle الفرنسيّة، **شبّانو**: شبابه، **خفاف**: لهم مرونة و نشاط

[4] – **الحطّة**: الوقيعة، **راهي**: إنّها، **فالكاف**: الكهف، **آو**: إنّه، **رايس**: رئيس، **الجندية**: الجنود.

[5] – **انعام**: نعم ، **واش دور يدير**: ما الدّور الذي يقوم به.

[6] – **جابتلو**: أحضرت له و المقصود أعدّت له، **دوبل كوبتير**: نقل حرفي لعبارة double hélicoptère الفرنسية و تعني مروحيّة مزدوجة أو مروحيّتان، **حطّتلو**: أي أنّ هاتين المروحيّتين كانتا له بالمرصاد، **نحيّة**: ناحية.

[7] – **بلاصا**: حدّد لهم أماكنهم.

[8] – **لي**: الذي، **راهو**: إنّه، **الباقي يجيب الحريّة**: بمعنى أنّ الحريّة سيحقّقها من تبقى على قيد الحياة.

و ممّا جاء في هذه المعركة:[1]

**بَلْخِيـــــرْ شَـــــافْ الثُـــوَّارْ هَـــــزُّو الغُـــــشْ وَ الدَمَّـــارْ[2]**
**فَالْكَفْـــرَة عَـــــامَلْ بَـــاطْوَارْ شُـــوفُـــوا تَـــــارِيخْ الجُنْدِيَّـــا[3]**
**وَ اللَّـــهْ لَا إلَـــــــهَ إلَّا اللـــــهْ**
**هَـــــــاذَاكْ خُويَـــا مَـــازُوزْ لـــيَسْقَـــطْ فِيـــــهُمْ لَـــزُّوزْ[4]**
**وَ اذَاكْ عَسْكَـــــرْ لَعْـــــزُوزْ كِـــــي حَضْـــرَتْ فِي وَادْ حْلِيَّـة[5]**
**نَـــــاقَلْ المِيـــنَة وَ يْسُـودِي نَـــــاقَلْ المِيـــنَة وَ سيـودي[6]**
**وَ اللَّـــهْ لَا إلَـــــــهَ إلَّا اللـــــهْ**
**دْزَايَـــــرْ دَوْلَـــة عَرْبِيَّـــــة فْرَنْسَـــــا جَـــــابَتْ القُـــوَّة[7]**
**بَلْخِيـــــرْ مَنَّـــــا يَتْنـــوَا يَـــــاوْ هَذِي ضْنَـــايَةْ حَـوَّا[8]**
**بَالطْرَانَـــطْ سَـــالَتْ لَعْفَـــارْ بَلْخِيـــــرْ بْلَاصَـــــا الجُنُـــودْ[9]**
**وَ مْعَـــــاهْ الرَّبْ المَعْبُـــودْ لِي يْمُـــــوتْ رَاهُـــو مَسْعُـــودْ[10]**
**وَ البَـــــاقِي يْجِيـــبْ الحُرِيَّـــة[11]**

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: لحسن فراحتية ، 81 سنة، وادي الشحم

[2] – **شاف**: شاهد، **هزّو الغش و الدمّار**: بمعنى شعر بالغضب الشّديد.

[3] – **الكفرة**: الكفّار، **عامل**: اسم فاعل لعمِل بمعنى جعل منهم، **باطوار**: لفظ فرنسي يعني مجزرة (battoir)، **الجنديّا**: الجنود.

[4] – **ها**: للتنبيه، **خويا**: أخي، **مازوز**: أصغر الإخوة، **ليسقط فيهم**: الذي يسقط منهم، **لزّوز**: الاثنان

[5] – **لعزوز**: العجوز كنية فرنسا لأنّ معظم سكّانها كبار في السّن، **كي**: حينما، **واد حلية**: منطقة في بن سميح (لخزارة).

[6] – **ناقَل**: ناقِل، **المينة**: ترجمة حرفية لكلمة mine الفرنسيّة و تعني اللّغم، **يسودي**: ترجمة حرفية لكلمة soudé الفرنسية وتعني يلحم.

[7] – **دزاير**: تحريف للفظة الجزائر، **جابت**: أحضرت، **القوّة**: أي القوّات الفرنسيّة بما تحمله من أسلحة و عتاد حربي.

[8] – **يتنوا**: يتشاءم، **هذي**: هذه، **ياو**: هنا بمعنى إنّ، **ضنناية**: نسل، **حوّا**: أمّنا حوّاء.

[9] – **الطرانط**: أي الرقم ثلاثون بالفرنسية trente و المقصود بها رشّاش رقم 30، **لعفار**: المقصود بها الدّماء، **بلاصَ**: **بلاصَ**: مأخوذة من كلمة place و تعني المكان، أي حدّد لكل جندي مكانه المناسب.

[10] – **معاه**: معه، **لي**: الذي، **راهو**: إنّه، **مسعود**: بمعنى سعيد الحظ في استشهاده.

[11] – **الباقي**: من تبّقى على قيد الحياة، **يجيب**: يأتي بـ.

**فِي الكَـــــافْ آيْ بَلْخِيـــــرْ مَبْلَاسِـــــــي فـي الكَـــــافْ[1]**

**وَ يْرَافَـــــالِي بـــالعَشْرِيـــــنْ[2]**

**اللَّـــــهْ أَيْ جَـــاتْ الطَيَّـــارَة أُمْ الجَنْحِينْ ومَا فَرْزَتْشْ المُجَاهِدِينْ[3]**

أشادت هذه الأغنية ببطولات المجاهدين المشاركين في المعركة ولاسيما بلخير الذي أبدى شجاعةً، وإقدامًا كبيرًا، كما ذكرت أجواء المعركة والمفردات الدّالة عليها، مثل: (بَاطْوَارْ، بْرَافَالِي، يَسْقَطْ،جَابَتْ القُوَّة، سَالَتْ، بْلَاصَا الجُنُودْ، يْمُوتْ،الثُوَّارْ )، وكذلك ذكر وسائل القتال، مثل (المينة، الطرانط، الطيّارة، أم الجنحين).

أسفرت المعركة عن خسائر بصفوف جيش التحرير بـ44 شهيدًا، من بينهم قائد الكتيبة علي زغدودي المدعو بلخير، وخمسة أسرى هم؛ أحمد مومني المدعو حمودة، عبد الله طبه، عمار رواقدية، إبراهيم الربيعي، مسعود بومعزة ( توفي في السجن بعد أيام )، كما استشهد ثلاثون مجاهدًا من قافلة الولاية الثالثة المتوجهة إلى تونس، ومن ضحايا الحرب قتل مواطن وهو زغدودي عيسى.

وتمثلت خسائر جيش العدو في قتل حوالي 500 عسكري من بينهم 112 من اللفيف الأوّل الأجنبي للمظليين (ere REP 1 ) و500 جريح، هذا حسب المعلومات التي تم الحصول عليها في مفكرة قائد طائرة الهيليكوبتر العقيد جان بيار، الذي أسر في مارس من نفس السّنة في الحـــاج أمبارك بضواحـــي قالمة، أمّا اللفيـــف الهند الصيني فقد قضي عليه تماما[4].

[1] – **الكاف**: الكهف، **آي**: هنا بمعنى إنّ، **مبلاسي**: أي متموضع

[2] – **يرافالي**: يطلق من الرّصاص بشكل متتالي و عشوائي، **بالعشرين**: كناية عن كثرة الطّلقات. و رافال ترجمة حرفية لكلمة rafale و تعني طائرة مدفعية.

[3] – **أي**: هنا بمعنى لقد، **جات**: جاءت، **أم الجنحين**: كناية عن الطّائرة الحربية الفرنسية، **ما فرزتش**: أي لم تحدّد مواقعهم.

[4] – أمال مرابطي، الثورة كانت في أوجها بقالمة ومعارك أم النسور، مرمورة، جبل دباغ وغيرها الشاهد الحي، الشعب: يوميّة وطنية إخبارية، قالمة، 20سبتمبر 2014

## 2- معركة قلعة الفيّالة[1]:

ممّا جاء في ذِكر هذه المعركة:[2]

**وَالله يَــا كُدْيَةْ فَيَّالَة مَاذَا فِيكْ منْ بِيعَاتْ[3]**

**أَدِّيتِيلِي سِيدْ الرَجَّالَة وأَنَا اللِّيلَة وِينْ نْبَاتْ[4]**

وظّف المغني في البيت الأوّل ثلاثة أساليب إنشائيّة؛ الأوّل هو القسم في قوله (والله ..)، والثّاني نداء (يا كدية)، وهو ذو غرض مجازي يكمن في استنطاق المكان واستحضاره، أمّا الأسلوب الإنشائي الثّالث فيكمن في الاستفهام غير الحقيقي، الذي مفاده التعجّب بما حوته المنطقة من عمالة، وفي البيت الثّاني خاطب المغنّي الكدية على سبيل الاستعارة المكنيّة، فوجّه لها عبارة لوم وأسى عن هتكها لخيرة الأبطال وتشرّده من بعدهم، وفي هذا تنويه بما اقترفه المستعمر من جرائم في هذه المعركة.

**أحداث المعركة:**

في السّابع عشر من شهر ماي، وفي حدود السّاعة السّادسة صباحًا بدأت القوّات الفرنسيّة في محاصرة المنطقة بعد أن قامت الطّائرة الاستكشافية باستعمال الأضواء محاولةً تحديد مكان تواجد أفواج المجاهدين، بعد أن تمكّن العدو من اكتشاف قافلة من جيش التّحرير الوطني عابرة إلى تونس.

وأصيب في أثناء هذا الوقت **صالح الحرّوشي** بمنطقة "**عين بوقرة**"، بعد أن قام بتوزيع الأفواج، وطلب من المجاهدين الذين كانوا برفقته الالتحاق بقلعة فيّالة بعد الاشتباك مع قوّات العدو الفرنسي، وبالرّغم ممّا تعرّض إليه من إصابات، إلّا أنّه عمل على تأمين الطّريق، وتوجيه المجاهدين

---

[1] – قلعة فيالة شمال بلدية بني مزلين تبعد عن مقر البلدية حوالي 1.5 كلم، توجد بها عدة مراكز مخيفة هي:
مركز شكيرو أحمد مشتة حيطن السريس، مركز غجاتي عمر مسد وبليل، مركز عين بوقرة مواسة الحسين، مركز عاشوري علي عين بوقرة.
تتشكل قلعة فيالة من عدة مشاتي و هي (عين بوقرة) فج الزعرور، (مشتة عين مخلوف، القارسة، بن سي علي)، وقد أُعتمِد في تسجيل أحداث هذه المعركة على كل من: المجاهد مواسة مسعود، والمجاهد بوعائشة الطّاهر، والمجاهد شامخي سعايدية العربي.

[2] – منقولة عن طريق السّماع: تركية مباركي، 68 سنة، وادي الشحم.

[3] – **كدية**: ربوة، **بيعات**: خيانة أو عمالة

[4] – **أدّيتيلي**: سلبتني، **سيد الرجّالة**: سَيّد الرّجال، **وين**: أين، **نبات**: أبيت أو أقضي ليلتي.

نحو مكان حصين (قلعة فيالة)، ولقد تنقّل بعد ذلك بجراحه محاولًا الالتحاق بهم، وفي أثناء عملية الاشتباك مع المجاهدين في قلعة فيّالة تمكنت قوّات العدو من اكتشاف مكان تواجد **صالح الحرّوشي** الذي كان دمه ينزف، وهو في حالة صحية مُزرية، فتمّ نقله إلى قالمة (المدينة) حيث لفظ أنفاسه الأخيرة، أمّا المعركة فقد تواصلت إلى غاية السّاعة الرّابعة مساءً، ونتيجة لقصف الطّيران، والمدفعيّة، واستعمال العدو للقنابل الغازيّة، استشهد في هذه المعركة عدد معتبر من المجاهدين[1]، بالإضافة إلى وجود جرحى.[2]

أمّا بقية الثوّار فقد تمكّنوا من الانسحاب خارج المعركة رغم استعمال العدو للطّائرات الكاشفة (الأضواء)، وكان انسحابهم ناتج عن نفاذ الذّخيرة واستشهاد مجموعة من الرّفاق في المعركة، أمّا عن خسائر العدو المسجّلة في هذه المعركة فكثيرة يصعب إحصاؤها. تقول الأغنية:[3]

**قَلْعَـــة فيَّالَا يَا مُمِيتَـــةْ لَعْـرَاشْ[4]**

**دِيتِـــي الرَجَّـــالَة[5]**

**و خَلِّيتِيـنَا بْلَاشْ[6]**

**اللَّـــهْ اللَّـــهْ لَا إلَـــهَ إلَّا اللَّـهْ**

**الطَّلْبَة فِي رَبِّي وَ المَعْبُـودْ اللَّـــهْ[7]**

**شَكَّـاطْ يَنْـــدَهْ وَ يْقُـــولْ القُدَّامْ[8]**

---

[1]– من بين هؤلاء الشّهداء: عيسى بن مليلة، صالح الحروشي، سي رمضان يزيد، بوعشة من نواحي عزابة، زدادرة العربي، محمد إليالا، محمد شكاط، زدادرة العيد المدعو العيد الصغير، مبروك قرماط، مولود العنابي، مبروك ماضي، قويدر قدور أوذينة، بن شعبان أحمد، أحمد حرود، أحمد مرابطي، و ثلاثة شهداء قدموا من منطقة ايدوغ قبيل المعركة وجندي من ناحية ايدوغ

[2] –**الجرحى**: لسمر محمد المدعو الزغاد، بوعشة علي، منيجل بومدين، سعايدية بلقاسم، لخضر حليمي، العيد سقة، بوشلخة الساسي، عبد العزيز بن زعيم، خضري محمود المدعو عمار

[3]– منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي، 57 سنة، هيليو بوليس

[4] – **لعراش**: مجموعة من السكّان يقطنون في مكان واحد و هم ذوي قرابطة ، يشكّلون لُحمة متماسكة.

[5] – **ديتي**: أخذتِ، **الرجّالة**: الرّجال و المقصود هنا الشّجعان

[6] – **خلّيتينا**: تركتنا، **بلاش**: بلا شيء

[7] – **الطلبة في ربّي**: أي أنّ الله هو المستجير و المستعان.

[8] – **شكّاط**: اسم مجاهد، **يندە**:يأمر، **القدّام**: أي إلى الأمام

**قَالْهُمْ جُنُـودِي رَاهُمْ فَضُّوا الأَيَّامْ**[1]

و ظلّت والدة **صالح الحرّوشي** تؤازره وتباركه، وتدعو له بالتّوفيق، وهي تبكي ابنها البهي الذي رحل وهو ابن الواحد والعشرين ربيعًا، ولم يرتح لها بال حتّى عرفت قبر ولدها. تقول الأغنية:[2]

**تَبْكِـــــي وَ تْنُـــــوحْ وَ تْقُولْ وْلِيدِي مَا عَادْ رُوحْ**[3]

**وِينْ دِيتِـــــي وْلِيـــــدِي يَـــا فْرَنْسَـــــا يَـــا الغَدَّارَة**[4]

في هذين البيتين عبارات مليئة بالحزن والشّجن من أمّ ثكلى فقدت فلذة كبدها، وقد أيقنت أنّ ابنها لم يعد له وجود في الدّنيا، فتقول: (وليدي ما عاد روح) كناية عن استشهاده ، أمّا في البيت الثّاني فنجدها توجّه لفرنسا استفهامًا عن مكان تواجد ابنها، وهو استفهام مجازي غرضه الحسرة والألم.

## 3- معركة الماجن: هيليوبوليس:

تقول الأغنية في ذِكر هذه المعركة:[5]

**عَلْبُولِيسْ جِيتْ أَنْجَنَّدْ نَلْقَى خُويَا و بَنْ عَمِّي يَا كُولِي يَا الدُّودَة لَحْمِي و أَعْظَايَا**[6]

**يَا خَلِّي فُمِّي وَ لْسَانِي خَلِّي بَاشْ نْقَابَلْ مُولَايَا**[7]

**يَانَا جِيتْ أَمْجَبِّي عَلْبُولِيسْ جِيتْ أَنْدَهْوَرْ و يَانَا نَلْقَى خُويَا لَعْوَرْ يَاوْ هْنَا مَاشِي وَيْزَوَّرْ**[8]

ذكر هذا المجاهد كيف أنّه عندما تجنّد في صفوف جبهة التّحرير وجد أقاربه هنالك في انتظاره، دلالة على شموليّة الثّورة وضمّها لعائلات وليس فقط أفراد.

ثمّ يضفي على الأغنية مسحة دينيّة تكمن في تسليمه بقضاء الله وقدره، وطلبه للاستشهاد حتّى

---

[1] – **قالهم**: قال لهم، **راهم**: بمعنى لقد، **فضّوا**: انتهت، **ليّام**: الأيّام

[2] – منقولة عن طريق السّماع: يمينة عياد ، 60 سنة، بوحشانة.

[3] – **وليدي**: ولدي، **ما عاد روح**: لم يعد حيًّا.

[4] – **وين**: أين، **ديتي**: أخذتِ.

[5] – منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي، 57 سنة، هيليوبوليس.

[6] – **عالبوليس**: عبر هيليوبوليس، **جيت**: جئت، **أنجنّد**: أتجنّد أو أدخل في صفوف جيش التّحرير، **نلقى**: أجد، **خويا**: أخي، **بن عمّي**: ابن عمّي، **كولي**: كُلي أو التهمي، **أعضايا**: أعضائي.

[7] – **خلّي**: اتركي، **فمّي**: فمي، **باش**: لكي، **نقابل**: أقابل، **مولايا**: الله تعالى.

[8] – **يانا**: أنا، **مجبّي**: جبّى بمعنى عبر أو مرّ به، **أندهور**: أي أتنقل دون تحديد وجهة معيّنة، **لعور**: الأعور، **ياو**: بمعنى إنّه، **ماشي**: ماشٍ.

يرضى الله عنه، فيطلب من دودة القبر على سبيل المجاز أن تلتهم جسده، وتترك لسانه ليذكر الله به.

وفي البيت الثّاني أشار إلى وجود العملاء في قوله (خويا لعوَر)، فنلحظ من خلال قوله (خويا) أي أخي، كَوْن هذا العميل ابن وطنه، لكن نعته بالأعور، والأعور في اللهجة القالمية تعني الأعمى، لا من فقد عينًا واحدةً كما تنصّ عليه اللغة الفصحى، و نُرجع توظيف هذا الوصف –العمى- إلى اعتبار العميل ضال عن الحق، وأعمى البصيرة، فشتّانَ إذن بين الأخ المذكور في البيت الأوّل (الأخ المجاهد)، وبين الأخ المذكور في البيت الثّاني (العميل).

**أحداث المعركة:**

كان فوج من المجاهدين بقيادة **محمد بلحداد** المدعو "**حديود**" قائد فرقة جيش التّحرير لقسم "**حمّام أولاد علي**"، متمركزًا عند **أحمد الشرقي** بـ"**وادي المنجل**" وفي صبيحة 04 ماي 1957م، وعلى السّاعة السّادسة والنّصف خرج الفوج من المركز واتّجه إلى جبل "**بزيون**" دون أن يكتشف وجود جيش العدو الذي تربّص له في عين المكان[1].

وعلى السّاعة السّابعة صباحًا أتت طائرة كشّافة، وحلّقت على جبل "**بزيون**" حيث كان جيش العدو متمركزًا ، وأخبر قائد الطائرة بوجود فوج من المجاهدين بالمكان المسمّى "**الماجن**"، وبعد مدّة قصيرة التحقت أربع طائرات مقنبلة من نوع (ت6-04) وراحت تحلّق فوق المكان الذي يوجد فيه فوج المجاهدين.

أمّا القوّات السريّة فقد بدأت تلتحق من "**قلعة بوصبع**"، و"**الفجوج**"، و"**النشماية**"، و"**هيليوبوليس**" بقيادة **برافلي**.

قُدِّرَت هذه القوّات بحوالي 2000 جندي مدعّمة بالدبّابات المصفّحة، والمدافع الثّقيلة من عيار (105)، وبعد تطويق جبل "**بزيون**" من كلّ الجّهات، وفي حدود السّاعة الثانية عشر بدأت المدافع والطّائرات تقصف المكان الذي تمركز فيه المجاهدون، فنجمت عن ذلك خسائر لكلا الطّرفين.

[1] – تمكّنت قوّات العدو من معرفة مكان تواجد الثوّار، للنيل منهم، نظرًا للهجومات التي وقعت على كل القرى ومراكز جيش العدو عبر المنطقة، مساء يوم 20 أفريل 1957، بأمر من قيادة الولاية الثانية و اشتباك قافلة متكونة من كتيبة من جيش التحرير من المنطقة الأولى للولاية الثانية، عائدة من تونس محملة بالأسلحة و الذخيرة الحربية، مع جيش العدو في بئر العناني ناحية هوارة المنطقة الثالثة و ذلك في 25 أفريل 1957 ، هذا و قد تعددت العمليات الفدائية و العسكرية في الجهة.

## 4- معركة كاف بوجدرة:

يُعدّ كاف بوجدرة من المناطق التي عرفت نشاطًا عسكريًّا كبيرًا، واعتُبِرَ أحد قلاع الحركة الوطنيّة في قالمة، وكباقي المناطق الأخرى فقد وصلت التّعليمات إلى المسؤولين في المدينة لتعبئة وتجنيد المناضلين لمشاركة نخبة من الأبطال البارزين، فوقعت المعركة في وادي بوجدرة التي دارت رحاها في بلدية الخزارة التّابعة لولاية قالمة. تقول الأغنية:[1]

**أَذَاكْ فِي وَادْ بُوجَدْرَة عَـلْكُفْرَة وَعْمَلْنَـا القُدْرَة[2]**
**رَاهُمْ هَرْبُوا فِي الحَدْرَة لَاقَـاهُمْ حَبْ الثُـــوَّار[3]**
**نْهَـــــارْ بُـــوجَـدْرَة وَ العَسْكَرْ عَـامَلْ قَدْرَة[4]**
**هَرْبُـــوا فِي الحَدْرَة تْلَاقَاهُمْ مُحَمَّدْ بُوعقَالْ[5]**

يعبّر صاحب هذا المقطع عن بسالة الثوّار في هذه المعركة العنّيفة، وكيف لاذ العدو بالفرار وملاحقة الجنود له أمثال محمد بوعقال، وقدّ وظّف في البيت الأوّل تصريعًا (بوجدرة – القدرة)، والجناس النّاقص في قوله (القُدرة) في البيت الأوّل وتعني التفوّق الكبير الذي أحرزه المجاهدون، و(قَدرَة) وتعني القِدر، وهي تغلي على النّار كناية عن لهيب المعركة وحرارتها.

برزت بسالة الثوّار في هذه المعركة، التي " أسفرت عن مقتل حوالي 100 عسكريٍّ من صفوف جيش العدو، واستشهد 40 مجاهدًا"[6] فالفارق كبير يعكس شجاعة الثوّار وإقدامهم في ساحات الوغى.

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

[2] – **عالكفرة**: على الكفّار، **عملنا**: **أي أنجزنا**، **القُدرة**: قدرتهم على مواجهة العدو و القضاء عليه

[3] – **راهم**: إنّهم، **الحدرة**: منحدر ، **حب**: أي حب الرّصاص.

[4] – **عامل**: بمعنى متّخذًا شكل، **قَدرة**: القِدر

[5] – **تلاقاهم**: التقى بهم، **محمد بوعقال** :هو بوقرة محمد ولد سنة 1921م بلخزارة، ابن بوعقال و صخرة بنت صالح، واستشهد سنة 1959م.

[6] – عبد العزيز بومهرة، مليكة حيمر، الأغنية إبداع و توثيق، الملتقى الوطني الأول: الأغنية الشّعبية في مواكبة ثورة التحرير، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ص 183

## 5- معركة كاف سيدي إبراهيم:

جرت وقائع هذه المعركة بكاف "**سيدي إبراهيم**" التّابع لبلدية "**لخزارة**" المعروفة بـ"**بن سميح**"، وذلك يوم 12 نوفمبر 1956م على إثر خروج عددٍ كبيرٍ من الجنود الفرنسيّين للبحث عن جثّة الشّهيد **مصطفى سريدي** مسؤول ناحية "**ماونة**"، والقيام بعملية التّفتيش إثر وشاية من أحد العملاء.

و ممّا ورد في هذا الشّأن:[1]

**قَالُوا البِيعَة جَاتْ لَلْكَافْ كُونُــوا جُنُــودْ خْفَافْ**[2]

في الشطر الأوّل إعلام المجاهدين بوجود خيانة، وفي الشّطر الثّاني حثهم على سرعة التنقّل والاستعجال بتغيير المكان، فعبارة (جنود خفاف) كناية عن المرونة والحيويّة.

كان جيش المجاهدين متكوّنًا من فرقتين؛ الأولى بقيادة **عبد الرحمان طابوش**، والثّانية بقيادة **علي الغابة**، استنجد العدو بالقوّات الفرنسيّة التي دعّمته بالأسلحة الثّقيلة والطّائرات، وقد كانت هذه المعركة شديدة الوطأة على العدو إذ تكبّد فيها خسائر كبيرة. تقول الأغنية:[3]

**سِيــــدِي إبْرَاهِيــــمْ هَذَاكْ المَرْكَزْ القْدِيمْ**

فعبارة (المركز القديم) تبيّن مدى عراقة المكان، واعتماده في المخطّطات العسكريّة

## 6- معركة واد فتوح:

وقعت أحداث هذه المعركة يوم 12 أكتوبر 1956م، بـ"**واد فتوح**" وهو يقع بالقرب من بلدية "**لخزارة**"، ويُعدّ المنطقة الثّالثة للنّاحية الرّابعة. تقول الأغنية عن مجريات أحداث هذه المعركة:[4]

**نْهَــــــارْ فْتُــــــوحْ وَالعَسْكَرْ هَارَبْ بَالرُّوحْ**[5]

**جَرْحَاتُــو ضْنَايَةْ لَحْرَارَ**[6]

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

[2] – **البيعة**: الخيانة، **جات**: جاءت و هنا بمعنى وصلت، **الكاف**: الكهف، **خفاف**: بمعنى كونوا على حذر و سريعي التحرّك من المكان.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[4] – منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[5] – **نهار**: هنا بمعنى يوم، **هارب بالرّوح**: بمعنى فرّ ليلوذ بحياته.

[6] – **جرحاتو**: جرحته، **ضناية**: نسل، **لحرار**: الأحرار، و المقصود بعبارة ضناية لحرار أبناء الجزائر من الثوّار.

يصف هذا المقطع الفزع والهلع الذي أحدثه المجاهدون في نفوس الأعداء الذين لاذوا بالفرار، فكانت وصمة عار على جبينهم في عبارة: "هارب بالرّوح"، في حين كان الثوّار شجعانًا، طلقاتهم تُدمي الأعداء، وهذا ما عبّرت عنه "جرحاتو ضناية لحرار" كناية عن الخسائر التي ألحقها الثوّار في صفوف العدو.

وقائد هذه المعركة **مصطفى سريدي**، و**عبد الرحمان طابوش** حيث تكبّد العدو خسائر قُدِّرَت بنحو سبعة جنود فرنسيين وجرح ستة منهم ، أمّا عن صفوف المجاهدين، فقد استشهد **البطل مصطفى سريدي** مسؤول النّاحية الرّابعة "**ماونة**" وبعض من رفاقه .

وهذا دليل آخر على المجازر التي قام بها العدو في صفوف المجاهدين "بواد فتوح" أين اشتدّ القتال بين عناصر جيش التّحرير الوطني وقوّات العدو الفرنسي الذي دفع بجنوده دفعًا إلى وسط المعركة نتيجة الرّوح المعنوية الضعيفة التي كانت تنتابهم.

وشهدت منطقة "**واد فتوح**" في سنة 1959م العديد من المعارك الضّارية التي انتصر فيها جيش التّحرير بفضل عزيمته، وإرادته الفذّة للدّفاع عن أرض الوطن، فلم يكن للعدوّ إلّا اللّجوء إلى القصف بالطّيران، والمدفعيّة، ثم المشاة الذين حاولوا عبثًا اقتحام ساحة المعركة، فاصطدموا ببسالة المجاهدين الأشاوس مما أسفر عن سقوط ضحايا في صفوف العدو واستشهاد **مبارك بولوح**. تقول الأغنية:[1]

**مْبَـــــارَكْ بُــولُــوحْ وأُمُّو بَالصَّوتْ عْلِيهْ تْنُوحْ[2]**

**قَتْلُـــوهْ فِي فْتُـــوحْ[3]**

تعبّر هذه الأغنية عن الحزن العميق في قلب أم الشّهيد، وتفجّعها عند سماعها خبر استشهاد فلذة كبدها، حالها حال كل أم جزائريّة شهدت ما اقترفه الاستعمار في حقّ أبناءها الأبطال.

## 7- معركة جبل الدباغ:

شهد جبل دباغ كغيره من الجبال العديد من المعارك، منها معركة بقيادة **علي بداي** خلال شهر ديسمبر 1957م، حيث اشتبكت سبعة فرق من المجاهدين بـ"فلة "جبل دباغ ابتداء من السّاعة التّاسعة صباحًا حتّى غروب الشّمس.

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

[2] – **أمّو**: أمّه، **تنوح**: تبكي بصوتٍ عالٍ

[3] – **فتوح**: اسم مكان الواقعة.

ومن المعارك الحادثِة في هذا الجبل أيضًا معركة اشتبكت فيها قوّات جيش التّحرير بقيادة **طاهر دحمون** وبين قوّات العدو الفرنسي ، في مكان "**الفلة**"[1] بـ"**جبل دباغ**" ، شارك فيها حوالي 4000 جندي فرنسي مُدجَّجين بالأسلحة الحديثة، والطّائرات، والدّبابات، وأسفرت خلال شهر أفريل 1957م عن مقتل عدد كبير من الجنود الفرنسيّين، واستشهد اثنان من المجاهدين ومدني.

اتّسم جبل دباغ على إثر هذه المعارك المتلاحقة بطابع الحزن، والأسى، وذلك ما عبّرت عنه الأغنية الشّعبية، إذ تقول:[2]

**يَاحُزْنِي عْلَى الدْبَاغْ العَالِي وَ الجُنُودْ بَالحَبْ تْشَالِي**[3]

**يَاحُزْنِي عْلَى جْبَلْ دْبَـاغْ وَ الصَّفْرَة تْفَرَّغْ بَالصَّاعْ**[4]

وُصِف جبل دباغ بالعلو والشّموخ (الدباغ العالي)، فهو يطاول أعنان السّماء، ويشهد عمّا اقترفه المستعمر في حقّ الجنود الأحرار من ضربٍ بالرّصاص (بالحب تشالي)، وقصفٍ بالطّائرات، هذه الأخيرة المكنّاة بالصّفرة (الصّفرة تفرّغ بالصّاع). تقول الأغنية في نفس الصّدد:[5]

**يَاحُزْنِي عْلَى دْبَاغْ الزِّينْ جُنُـــودَكْ دَارُو لَالِيـــنْ**[6]

## 8- معركة هوّارة :

جرت وقائع معركة جبل "**هوّارة**" يوم 17 أكتوبر 1957م بين جيش التّحرير الوطني بقيادة **قريط** و**عطايلية محمد**، والعدو الفرنسي المدعّم بالطّائرات على إثر اكتشافه لقافلة من جيش التّحرير عائدة من تونس، فقام بعملية تمشيط للمكان المسمّى "**لمعصرة**" ناحية "**هوارة**"، وأسفر الاشتباك على قتل عدد هائل من الجنود الفرنسيّين، وجرح عددٍ كبيرٍ منهم، وإسقاط طائرة من نوع (ت6) ، كما سجّلت المعركة عددًا معتبرًا من الشّهداء، والجرحى، فكانت النّتيجة شديدة الوطأة على الطرفين. تقول الأغنية في ذِكر هذه المعركة:[7]

---

[1] – **الفلّة**: نبات الفل

[2] – منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

[3] – **بالحب**: بحبّات الرّصاص، **تشالي**: تضرب

[4] – **الصّفرة**: نوع من الطّائرات الحربيّة، **تفرّغ**: بمعنى ترمي القنابل، **بالصّاع**: دلالة على الكثرة

[5] – منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

[6] – **الزّين**: الجميل و البهي، **داروا**: قاموا بـ، **لالين**: ترجمة حرفية لكلمة la ligne أي السّطر أو الخط و تعني هنا الصّف، وعبارة داروا لالين بمعنى اصطفّوا.

[7] – منقولة عن طريق السّماع، عمّار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

**كِـــــي رُحْنَـــــا لْهُــوَّارَة لَحْقَتْنَا الصَّفْرَا الغَدَّارَة[1]**
**تَغْدَرْ بْحَبْ المُوشَـــارَة هُومَـــــا دْرَارِي نغَّــارَة[2]**
**فِي العَسْكَرْ دَارُو خْسَارَة كَسْرُوهْ وَلَّاوْلُوا جَبَّـــارَة[3]**

اختصر المغنّي في هذا المقطع معركة هوّارة؛ حيث ذكر في البيتين الأوّلَيْن ملاحقة الطّائرة الحربيّة للثوّار، وقصفهم بالقنابل، وفي البيت الأخير نوّه بالخسائر الكبيرة التي ألحقها هؤلاء المجاهدين بصفوف العدو، فغدوا بذلك من الأبطال الأشاوس والجبابرة (ولاّو جبّارة)

أسفرت هذه المعركة "عن خسائر كبيرة في جيش العدو، حيث قُتِل 250 فرنسي، وجُرح عدد كبير، وإسقاط طائرة من نوع ت6، بينما استشهد 65 مجاهدًا، و جُرح 6 آخرين، وأصيب 30 شخصًا من المواطنين"[4]

## 9- معركة راس الماء:

يقع مكان المعركة بقرية "**راس الماء**" التّابعة لبلدية "**لخزارة**" ولاية قالمة، والمكان عبارة عن منطقة خالية من الأشجار لكن تكسوها صخور ضخمة، وأحراش، فكان ذلك عاملًا هامًّا من العوامل المساعدة على سير المعركة، إلى جانب بسالة الرّجال الذين صنعوا الحدث التّاريخي في هذا المكان.

وصفت الأغنية الشّعبية توافد الجيوش حاملةً الأسلحة من أجل القتال، وعلى أُهْبَة الاستعداد للمعركة، متمنيةً من الله عز وجل النّصر والاستقلال:[5]

**الجُيُوشْ منَ المَشْرَقْ جَاتْ الكُلْ نَـاقْلَة الأسْلِحَاتْ[6]**

---

[1] – **كي**: عندما، **لحقتنا**: لاحقتنا، **الصّفرا**: نوع من الطائرات الحربيّة.

[2] – **الحب**: القذائف، **الموشارة**: ترجمة حرفية لكلمة mouchare الفرنسية و هي نوع من الطائرات الحربية ، **هوما**: هم، **ذراري**: صغار السّن و المقصود هنا الثوّار و قد وصفتهم الأغنية بالصّغار للدلالة على كونهم في الأغلب من فئة الشّباب، **نغارة**: أي ذوي أنَفَة و شهامة. و ينغر بمعنى يغضب أو يستاء من أمر ما.

[3] – **داروا**: صنعوا و هنا بمعنى حقّقوا، **كسروه**: من الفعل كسّر و هنا بمعنى قضوا عليه، **ولاّولو**: تحوّلوا له، **جبّارة**: جبابرة.

[4] - عبد العزيز بومهرة، مليكة حيمر، الأغنية إبداع و توثيق، المرجع السّابق، ص 191

[5] – منقولة عن طريق السّماع: يمينة عيّاد ، 60 سنة، بوحشانة.

[6] – **جات**: جاءت أو قَدِمَت، **ناقلة الأسلحات**: تحمل الأسلحة

**بَلَّرْقَـطْ مَسْطَـــالِي حْذَانَـا وَحْنَـــا مَنُّـــوا دَاهْشِينْ**[1]

**يَا رَبِّـــي رَاكْ فِي الخَيْـرَاتْ تَنْصَرْ مَنَّـــا أنْصَارْ الدِّينْ**[2]

تكوّنت وحدة جيش التّحرير تُدعى "**النّسر الأسود**" من فرقتين؛ تضم الفرقة الأولى 32 مجاهدًا بقيادة **قدور** المدعو "**مسطاش**"، وتضم الفرقة الثّانية 40 مجاهدًا بقيادة **صالح مدور** ونائبه **عياش السعيد** ، أمّا قوّات العدو فقد قُدِّرت بـ 7000 عسكري تعزّزها الدبّابات والمدفعية من نوع (مورطي 57) ، و 36 طائرة من نوع (ب 26)، و 06 طائرات نفّاثة أمريكية، وقد قَدِمَت جميع هذه القوّات من الأماكن الآتية : بوشقوف، حمام النّبائل، بوحشانة، عين العربي، لخزارة، قالمة المدينة ، عنابة.

**التّخطيط للمعركة:**

على إثر إصدار الأمر بالتّنقل تحولت وحدة الجيش (المجاهدين) التي خاضت عدّة معارك سابقة بالمنطقة، واكتسبت خبرة عسكريّة كبيرة في فنون القتال، التي سُميت بالنّسر الأسود من طرف قائد المعركة، تحولت من مركز "**عين الباردة**" إلى قرية "**راس الماء**" التي وصلتها في حدود السّاعة السّادسة من صباح اليوم التّالي، حيث سُمع أزيز طائرة استطلاعية عادية، غير أنّ عودة الطّائرة وقصفها لأحد منازل القرية أثبتت أنّ العدو علم بوجودهم في ذلك المكان، نتيجة استخباراته، فأمر قائد الوحدة **صالح مدور** جنوده بالانسحاب من القرية والتوزّع في جبل "**راس الماء**"، وقسّم الوحدة إلى سبعة أفواجٍ يحتلّ كلّ فوجٍ منطقة معينّة بحيث تصير الأماكن الاستراتيجية كلّها محتلة من طرف الوحدة، و إثر ابتعاد الطائرة المقنبلة أَعْطِيَتْ كلمة السّر التي هي (قالمة، سطيف).

وتصوّر لنا الأغنية الشّعبية قائد هذه المعركة صالح مدور الذي كان يخوضها ويخطّط لها وينظّم الجيش كلٌّ في مكانه:[3]

**صَـــالَحْ بْلَاصَـــا الجُنُودْ سُبْحَـــانْ اللَّهْ المَعْبُودْ**[4]

---

[1] – **بلّرقط**: لقب يُطلق على عساكر العدو للون زيهم العسكري، و هم قوّات فرنسيّة خاصّة تتميّز بقوّتها العالية على مختلف القوّات العسكريّة الأخرى، **مسطالي**: مُقيم، **حنا**: نحن، **داهشين**: مندهشين.

[2] – **راك**: إنّك.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة

[4] – **بلاصا**: مأخوذة من كلمة place الفرنسية و تعني ضبطهم في أماكنهم استعدادا للمواجهة

**اللّي تْحَبُّو يْمُوتْ مَسْعُودْ وَالبَـــاقِي يْجِيبْ الحُرِيَّة**[1]

واستمرّ تحرّك الطّائرات في المنطقة إلى غاية السّابعة صباحًا، حيث بدأت تظهر قوافل جيش الاستعمار متقدّمة إلى القرية من جميع النّواحي، وشكّلت طَوْقًا، يساندها الطّيران الذي بدأ في قصف القرية، والجبل المحاذي لها بكلّ وحشيّة، وشراسة ، التزم الجنود الصّخور محتمين بها تنفيذًا لأوامر القائد التي تقضي بعدم كشف مواقعهم للعدو إلاّ في اللحظة المناسبة[2].

ومع ذلك لم يسبّب طيران العدو خسائر في صفوف المجاهدين إلاّ بعض شظايا الصّخور، وحوالي السّاعة الثامنة والنّصف، توقّفت عملية القصف لتفسح المجال لمشاة العدو، التي تقدّمت في قوّة كبيرة لمسح وتمشيط المكان ظنًّا منها أنّ طيرانها قد قضى على الوحدة نهائيًّا، وبمجرد وصول هذه القوّات إلى نطاق رمي المجاهدين أعطى القائد أمرًا بإطلاق النّار حسب الخطّة المقرّرة، فأحدثوا خسائر فادحة، وقضى على معظم القوّة المهاجمة، وجُنَّ جنون العدو للخسائر الكبيرة التي لحقته على أيدي المجاهدين، فقام بتنظيم هجومٍ ثانٍ بقوّة أكثر عددًا ودقّةً في التّنظيم، غير أنه آل إلى نفس المصير رغم استعمال العدو القنابل المضيئة والقنابل الغازية لخنقهم، واستمر هذا الاشتباك إلى السّاعة السّابعة مساءً، فأوقعت فيه وحدة المجاهدين خسائر كبيرة في صفوف العدو، وعتاده، وأصيب جلّ المجاهدين بآثار الغازات السّامة التي شلّت قدرتهم على التحرّك، وكالعادة فإنّ العدو انتقم من المدنيين العُزَّل، حيث أتى على ما تبقّى من سكان القرية لتعذيبهم و التنكيل بهم[3]، وتصف الأغنية الشّعبية هذا الانتصار الذي حقّقه المجاهدون رغم قلّة عددهم:[4]

**كِي تْلَاقِينَـــا مْعَ الفَجْرِيَّة يَـــــاسَرْ وَ شْوِيَّـــــة**[5]

**و غَلْبُوهُمْ أُولَادْ العَرْبِيَّة**[6]

---

[1] – **اللي**: الذي، **تحبّو**: تحبّه، **يموت مسعود**: يكن سعيدًا لأنّه استشهد في سبيل الله، **الباقي**: من تبقّى على قيد الحياة، **يجيب**: يأتي بِ و هنا بمعنى يحقّق

[2] – مجلة أول نوفمبر، العدد 54،.سنة 1982،ص 39-40

[3] –المرجع نفسه، ص 40-41

[4] – منقولة عن طريق السّماع: الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

[5] – **كي**: عندما، **تلاقينا**: التقينا، **مع الفجريّة**: عند الفجر، **ياسر**: كثير، **شويّة**: قليل.

[6] – **غلبوهم**: هزموهم.

**ثالثًا/ العتاد الحربي:**

يعدّ السّلاح أهم وسيلةٍ لمواجهة العدو، والقضاء عليه، فكان له دور فعّال في الثّورة التّحريريّة الكبرى وتحقيق النّصر، وقد أطلّ مفدي زكريا على الثّورة الجزائرية إطلالة أبو تمام على فتح عمورية، مُبرِزًا قيمة السّلاح وأهميّته القصوى في تطهير البلاد من براثن العدو:[1]

**السَّيْفُ أَصْدَقُ لَهْجَةً مِنْ أَحْرُفٍ كُتِبَتْ فَكَانَ بَيَانُهَا الإِبْهَامُ**

**وَ النَّارُ أَصْدَقُ حُجَّة، فَاكْتُبْ بِهَا مَاشِئْتَ، تَصْدُقُ عِنْدَهَا الأَحْلَامُ**

**إن الصَّحَائِف لِلصَّفَائِحِ أَمْرُهَا وَ الحِبْرُ حَرْبٌ ، وَ الكَلَامُ كَلَامُ**[2]

تعرّضت الأغنية الثّورية إلى وصف وتحديد الأسلحة المستعملة من طرف الثوّار ، نذكر من ضمنها:

## 1- البياسة:

البياسة نقل حرفي للكلمة الفرنسية pièce وتعني السّلاح، وقد ورد ذكرها كثيرًا في الأغنية الشّعبية الثّورية، باعتبارها وسيلة حربيّة مرافقة للمجاهدين أينما كانوا. تقول الأغنية:[3]

**يَا الحَرْكَة يَاالعَسَّاسَة نَجْمَة وَهْلَالْ فِي لَبْيَاسَة**[4]

وفي موضع آخر:[5]

**سِي بَلْخِيرْ قَاعَدْ مَتَّكِي وَ البْيَاسَة فِي سَدْرُو تَبْكِي**[6]

وظّف المغنّي في هذا البيت لفظة البياسة في استعارة مكنيّة حيث شبّهها بالإنسان، فحذفه وذكر قرينة دالّة عليه، وهي البكاء (تبكي)، والمقصود به هنا حبّات الرّصاص الصّادرة من البياسة.

وفي موضع آخر:[7]

---

[1] – مفدي زكريا، اللهيب المقدس، المرجع السّابق، ص41-42

[2] – قال أبو تمّام: **السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حدهِ الحدُّ بينَ الجدِّ و اللَّعبِ**
**بيضُ الصَّفائحِ لاَ سودُ الصَّحائفِ في مُتُونِهِنَّ جــلاءُ الشَّك والريَبِ**

[3] – منقولة عن طريق السّماع: إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة

[4] – **الحركة** : ناقل الأخبار من الجاهدين إلى العدو، **العسّاسة**: المترقّبون لأخبار الثوّار، **لبياسة**: قطعة السّلاح.

[5] – منقولة عن طريق السّماع: وسيلة بوقرن، 47 سنة، جبالة لخميسي

[6] – **متكّي** : جالس على جانبه، **البياسة**: قطعة سلاح، **سدرو**: صدره، **تبكي**: شُبّهت طلقات السّلاح بالدّموع المتواصلة.

[7] – منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

**زُوزْ ذْرَارِي طَلْعُوا لَجْبَالْ[1]**
**هَزُّو لَبْيَاسَة وْزَادُوا الرَّفَالْ[2]**

## 2- الرّافال:

الرّافال نقل حرفي لكلمة rafale الفرنسية، وتعني : سلاحًا يصدِر مجموعة من الطّلقات المتتالية، ورد ذكره في كثير من المواضع، منها:[3]

**سِي مَدُّورْ هَازْ الرَّفَالْ[4]**

كذلك: [5]

**زُوزْ ذْرَارِي طَلْعُو لَجْبَالْ هَزُّوا القَارَة زَادُو الرَّفَالْ[6]**
**أَوَّلْ ضَرْبَة طَيْحُوا لِشَارْ نْمُوتْ نْمُوتْ عْلَى وَطْنِي[7]**

تصوّر هذه الأبيات حالة المجاهدين الذين كان الجبل مأواهم، وهم يحملون هذه الأسلحة البسيطة "القارا، الرّفال"، ويواجهون عتادًا حربيًّا أقوى كالدبّابات، والطّائرات لكنّ إيمانهم بقضيتهم ودفاعهم عن الحق والنّزعة الوطنيّة كان يحرك مسيرة الثّورة الجزائرية وهم مستعدّون أن يقدّموا حياتهم من أجل استرجاع الوطن، فالموت خير لهذا الشّعب، ذلك أنّ دماءه، وأرواحه تطلب الرفعة، والمجد، والسّمو، وتأبى الخضوع، والرّكوع للعدو مهما كانت قوّته لاسترجاع كيان، وشرف الشّعب ومجد الوطن .

---

[1] – **زوز**: اثنان، **ذراري**: أطفال، صغار السّن، **طلعوا**: صعدوا.

[2] – **هزّوا**: حملوا، **زادوا**: بمعنى و أيضًا.

[3] – منقولة عن طريق السّماع: عمر بولبازين، 68 سنة، تاملوكة

[4] – **هاز**: حامِل.

[5] – منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

[6] – **القارة**: القارة اسم سلاح فردي مأخوذ من اللفظ الأجنبي"GARA".

[7] – **طيحوا**: أسقطوا و المقصود هنا أصابوا، **لشار**: الدبّابة، **نموت**: أموت أو أستشهد، **على وطني**: من أجل نصرة وطني.

## 3- الرّصاص و البارود:

الرّصاصة (Bullet) مجموعها رصاص أي طلقات نارية، وهي قطعة معدنية اسطوانية الشّكل تُطلق من سلاح ناري، والطّلقات النّارية ذات أحجام وأنواع مختلفة وحجمها يعتمد على نوع السّلاح الذي تُطلق منه وقُطر فوهته، حيث لكلّ طلقة نمرة محددة، تتكوّن الرّصاصة من مظروف معدني يحوي على مادة متفجّرة وإطلاقة معدنية تندفع نحو هدفها عندما يضرب الزّناد طرف المظروف السّفلي عند الكبسولة، التي تشعل المادّة المتفجّرة (البارود) فتنطلق نحو الهدف[1].
تقول الأغنية في ذِكره:[2]

**سِـي رَابَحْ يْصَلِّي وَ الرَّصَاصْ يْنَابَـحْ**[3]

شبّه المغني صوت الرّصاص بالنّباح، فذكر المشبّه (الرّصاص)، وحذف المشبّه به (الكلب) على سبيل الاستعارة المكنيّة، والمراد بهذا التّوظيف تبيان مدى سكينة المجاهد رابح فيصلي، وخشوعه في صلاته رغم صوت الرّصاص المدوّي. تقول الأغنية:[4]

**فْرَنْسَـــا وَ اليهُـــودْ خَرْجُوا بْلَادْ الحُدُودْ**
**بْلَادْنَا بْـلَادْ الجُدُودْ جَبْنَـاهَـا بَالبَـــارُودْ**[5]

قد لا ترد لفظة الرّصاص أو البارود صراحةً في الأغنية، وإنّما يعبّر عنها بالفعل (ضرب أو يضرب) بمعنى ضرب الرّصاص أو البارود. تقول الأغنية في هذا السّياق:[6]

**يَاحُزْنِي عْلَى الكَبْلُوتِي كِي ضْرَبْ طَيَّحْ وَجْهِينْ**[7]

---

[1] - http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=1485cd555cb18d88

[2] - منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

[3] - **ينابح**: النباح صوت الكلاب، و قد شُبِّهَ به دوي الرصاص لشدّته.

[4] - منقولة عن طريق السّماع: قمير بوثلجة ، 75 سنة، قالمة

[5] - **جبناها**: أخذناها و المقصود هنا حقّقنا الانتصار.

[6] - منقولة عن طريق السّماع: لحسن فراحتية ، 81 سنة، وادي الشحم

[7] - **الكبلوتي**: اسم مجاهد، **كي**: لما، **ضرب**: بمعنى أطلق الرّصاص، **طيّح**: أسقط، **وجهين**: بمعنى عسكريَّيْن.

وفي موضع آخر:[1]

**الجُنْدِي يَضْرَبْ عْلَى الدِّينْ وَ القُومِي يَضْرَبْ عْلَى الشَّهْرِيَّة**[2]

**مْحَـــدَّرْ فِـــي الحَـدْرَة حَبَّـــــة وَاحْـــدَة تَدِّيـــهْ**[3]

فكلمة (حبّة) أكّدت نوع الضّرب في البيت الأوّل، فهو ضرب حبّات الرّصاص.

ومفدي زكريا يبعث بقصيدة من أعماق بربروس بعنوان "وتتطلعت لغة الكلام"، وهو لا يبيح لنفسه القول إلا ليؤكد قداسة الصمت، ولا يرفع صوته مرة إلا ليبايع معجزة السّلاح ثم يتوارى في استحياء من حجز بيانه. يقول:[4]

**نُطْلِقْ الرَّصَاصْ فَمَا يُبَاحُ كَلَام وَ جَرَى القِصَاصُ فَمَا يُتَاحُ مَلَام.**

## 4- بريط:

البريط هو نوع من الأسلحة الإيطالية، واستعمل جيش التّحرير هذا السّلاح في هجماته ضد المحتل، وقد تغنّى به مبدع الأغنية، فيقول:[5]

**الطَّـــاهَرْ لَسْوَدْ لَبْرِيطْ بَالحَبْ يْرُشْ**[6]

**القُبْطَـانْ دْهَشْ**[7]

وممّا جاء في ذِكر هذا السّلاح أيضًا:[8]

**خْلِيفَة يَتْكَدَّرْ،طَالَعْ في العَقْبَة وَ يْكَبَّـــــرْ ، اللَّـــهْ اللَّـــهْ**[9]

---

[1] – منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 95 سنة، قالمة.

[2] – **يضرب على الدّين:** يقاتل من أجل نصرة الدّين، **القومي:** الخائن، **يضرب على الشهريّة:** يقاتل من أجل نيل الأموال و الهبات.

[3] – **محدّر:** اسم فاعل لمن يسير في المنْحَدَر، **الحدرة:** طريق منحدرة، **حبّة:** المقصود بها طلقة رصّاص واحدة، **تدّيه:** تأخذه، والمقصود هنا تقضي عليه.

[4] – مفدي زكريا، اللهيب المقدس، المرجع السّابق، ص41

[5] – منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي

[6] – **الحب:** حبّات الرّصاص، **يرش:** يَرُش من الرَّش.

[7] – **دْهَش:** دَهشَ و تعجَّب.

[8] – منقولة عن طريق السّماع: شطيبي مسعودة، 75 سنة، قالمة

[9] – **يتكدّر : ، طالع:** صاعد، **العقبة:** مرتفع.

**وَ حْكَـمْ الرُّوشِـــــي قَالهُمْ مَا تْخَافُوشِي وَ البْرِيطَة تَشْعَلْ بَالنَّارْ**[1]

## 5- القارا:

القارا اسم سلاح فردي مأخوذ من اللفظ الأجنبي"GARA"، واستُعمل هذا السّلاح لأوّل مرّة في الحرب العالمية، وهو من صنع إمّا إيطالي أو ألماني أو أمريكي أو فرنسي باعتبار هذه الدّول سوق للعتاد الحربي، وورد اسم هذا السّلاح في الأغنية الثّورية بمنطقة قالمة، حيث تقول:[2]

**كِي لْحَقْنَا لَجْبَلْ قُرَيـنْ وَتْسَرْكَلْنَا تْسَرْكَلْتِيـنْ**[3]

**وَ الهَرْبَـة لْعَنْدهَا وَايَنْ بَالقَارَا نْطَيَّـحْ مِيتِينْ**[4]

نلمح قوّة هذا السّلاح رغم بساطته في عبارة (بالقارا نطيّح ميتين) أيّ أنّ هذا الجندي بإمكانه قتل مئتين من جيش العدو بفضل هذا النّوع من السّلاح.

كذلك وردت لفظة القارا في البيت السّابق ذكره: [5]

**زُوزْ ذْرَارِي طَلْعُو لَجْبَـالْ هَزُّوا القَارَا زَادُو الرَّافَـالْ**[6]

وفي موضعٍ آخر:[7]

**سِي الحوَّاتي يَـا رَاكَبْ الفْرَسْ طَالَعْ لَسْمَنْدُو وَ القَارَا تَبْقصْ**[8]

وفي موضع آخر:[9]

**يَـا سِي خْلِيـــــفَة طَالَعْ جْبَـلْ الصْدَا**[10]

---

[1] – **الرّوشي**: مناطق صخرية في الجبال، و هي مأخوذة من كلمة Rocks الفرنسيّة، و عبارة حكم الرّوشي بمعنى سلك طريق الصّخور، **قالهم**: قال لهم، **ما تخافوشي**: لا تخافوا، **البريطة**: نوع من السّلاح، **تشعل**: تلتهب.

[2] – منقولة عن طريق السّماع: ليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

[3] – **كي**: عندما، **لحقنا**: بمعنى وصلنا، **قرين**: اسم الجبل، **تسركلنا**: دُرنا، **تسركلتين**: دوْرَتَين.

[4] – **الهربة**: الفرار، **لعندها**: إليها، **واين**: أين، **نطيّح**: بمعنى أقضي على، **ميتين**: مئتين (عدد القتلى).

[5] – منقولة عن طريق السّماع: عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

[6] – **زوز**: إثنان، **ذراري**: تطلق على الفئة العمريّة الصّغيرة السّن، **طلعوا**: صعدوا، **هزّوا**: حملوا، **زادوا**: بمعنى وكذلك، **الرّافال**: نقل حرفي لكلمة rafale الفرنسية و تعني : سلاح يصدِر مجموعة من الطّلقات المتتالية.

[7] – منقولة عن طريق السّماع: حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

[8] – **تبقص**: تلمع

[9] **-** منقولة عن طريق السّماع: بوثلجة قمير، 75 سنة، قالمة

[10] – **طالع**: صاعد، **الصدا**: الصّدى.

**القَــارَا عْلَى كَتْفُو وَالتَّحْزِيمَة فَلاقَة**[1]

هذا بالإضافة إلى أسلحة أخرى كانت معتمدة لدى ثوّار جبهة التّحرير، مثل: "الفردية"، و"التّساعية"، و"العشارية"، و"كابوس بوستّة"، و"الدّيسية"، و"المورطي"، و"الكور" و"الماط"، و"الميتريات" و "الموزينا"... وأنواع الألغام الفردية والجماعية كـ"المينا"...

تشير الأغنية الشّعبية إلى أنّ المجاهدين كانوا يستعملون هذه الأنواع من الأسلحة أثناء الحرب، وهي أسلحة ضعيفة المفعول بالمقارنة مع سلاح العدو، إذ لم تكن متكافئة مع ما يملكه العدو الفرنسي من عتاد برّي كالدبّابات، والجوّي كالطّائرات والمروحيّات، لكن الإيمان بالقضية هو السّلاح الأكبر في الفكر الثّوري لدى الجماهير الشّعبية، فرغم قلّة العدد والعدّة إلّا أنّ النّصر كان حليف الشّعب الجزائري ضد قوى الظّلم والكفر، حيث استطاعت الفئة المستضعفة القليلة العدد، المؤمنة بالله أن تغلب جيوشًا جرّارة.

[1] – **على كتفو**: على كتفه، **التّحزيمة فلاّقة**: حزام الخرتوش.

# خـــاتمة

# خاتمة

كان الشّعب الجزائري خلال فترة الثّورة واعيًا بخطورة هذا التّواجد الاستعماري في أرض الجزائر، وفي حقيقة الأمر ساهم كل جزائري في تحرير هذا الوطن، ولكن كلّ بطريقته، أسلوبه وإمكانيّاته، ومن بين أبناء هذا الوطن الحبيب الشّعراء الذين كانوا ينظمون قصائد تحسيسيّة هادفة تستهدف قلوب إخوانهم الجزائريّين من أجل دفعهم للوقوف في وجه هذا المستعمر الغاشم وتحرير أرضهم، وقد كانت هذه الطّريقة في حقيقة الأمر من أكثر الوسائل تأثيرًا في نفسيّة كل جزائري يعتزّ بوطنه.

وبعد تحرير الوطن وإلى يومنا هذا لا نزال نسمع هذه القصائد من أفواه الشّعب الجزائري، ونعتزّ بها ونردّدها في كل محفل، ومناسبة وطنيّة.

نتبيّن من خلال ما عرضناه أنّ الشّاعر الشّعبي لم يكن أديبًا يتفنّن في اختيار القوالب الجميلة لكي يؤثّر في عواطف النّاس، وإنّما كان يقول الشّعر بطريقة تلقائية وعفوية، و يعيش محنة الاحتلال بكل آلامها وجراحها ويصوّر إحساس مواطنيه، فيذكّرهم بأحداث الماضي ليدفعهم إلى الجهاد، والتّضحية من أجل تحقيق الحياة الكريمة.

ولقد أسهم المغنّي الشّعبي في الثّورات الجزائريّة – إلى جانب الشّعر – بسلاحه فكان يمارس القتال والنّزال بنفس الرّوح التي كان يمارس بها نظم الشّعر، فجاءت أغانيه مطابقةً لإحساس الثّائر، وإصرار المجاهد، مرتبطةً بواقع الظّروف القاسية التي كانت تعيشها البلاد.

وبرصدنا لهذا النّمط الفنّي، وشيوعه إبان ثورة التّحرير الممجّدة توصّلنا إلى جملة من النّتائج نوجزها فيما يأتي:

1- استطاعت الأغنية الشّعبية الثّورية أن تتغلغل في نفوس المواطنين، وبث الحماسة في قلوبهم ليجابهوا الأعداء بكل ثقةٍ، وثباتٍ لما انطوت عليه من قيمٍ رفيعةٍ، ومعانٍ ساميةٍ.

2- اعتماد هذه الأغاني في معظمها على توظيف اللهجة المحليّة الممزوجة بالمفردات الفرنسيّة التي حُرِّف بعضها، ونُقِل بعضها الآخر كما هو ، لتشكّل لنا لغة الأغنية الشّعبية.

3- تعدّدت أغراض الأغنية الشّعبية الثّورية، وتنوّعت مضامينها بحسب موضوعاتها، فاهتمت برصد البطولة، و هجاء العدو، وإعلاء القيم الرّوحية و الهويّة الوطنية ... إلخ.

4- تعرّض الأغاني الشّعبية إلى التّحريف، وتغيير بعض الكلمات أو المقاطع، ممّا يؤثّر على الوزن والإيقاع في بعض الحالات، وهذا التّحريف الذي يلحق بها ناتج عن كونها معرّضة دائمًا إلى النسيان، ولاسيما إذا كان الفارق الزّمني بين الأغنية الأصلية و المتداولة عبر ألسن الحفظَة كبيرًا.

5- تؤدّي الأغنية الثّورية عدّة وظائف، أبرزها وظيفة الإعلام، إذ كانت في كثيرٍ من الأحيان تحلّ محل المذياع أو الرّاديو في نقل أخبار الثّوار، والإبلاغ عن أماكن تواجد العدو، وتحرّكاته، وكذلك وظيفة التّوثيق إذ يمكن اعتبارها وثيقة تأريخية لتسجيل أهم الوقائع والمعارك، لما تحمله من بعض التّواريخ والقصص المحليّة، والشخصيّات، والأحداث التي لا نجد لها ذِكرًا في كتب التّاريخ، والوثائق الرّسمية.

6- اهتمّ أصحاب الأغاني الشّعبية الثّورية بالجانب البلاغي الذي تلمّسناه في كثرة توظيف الصّور البيانية من استعارة، وتشبيه، وكناية، هذه الأخيرة التي نالت حظّ الأسد، وهذا يدل على مدى اهتمامهم بالعنصر الجمالي والحس الفنّي، ورغبتهم الملحّة في الارتقاء بذوق المتلقّي.

وبهذا نخلص إلى أنّ الأغنية الثّورية ساهمت وبشكلٍ فعّال في إيقاظ الوعي، والحس الوطني، واستطاعت أن تحاكي نظيراتها من الفنون الأدبيّة الأخرى، سواءً الرّسمية منها أو الشّعبية، فجميعها وسائل تعبيريّة عمّا يختلج في النّفس، وما يعتريها من أحاسيس، ومشاعر، وإن اختلفت أشكالها وطرق أدائها.

وخير ما نختم به بحثنا أن الحمد لله الذي وفّقنا، وهدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا، وأن نشكر نعمته، ونحن نقدّم عملنا هذا خالصًا بين يديه، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

# ملخص البحث

## ملخص البحث

يتمحور موضوع هذا البحث حول الأغنية الشّعبية الثّورية التي تعبّر عن واقع الشّعب، وانشغالاته إبان الثّورة التحريرية الكبرى، فكانت محمّلة بتعابير قوميّة لها وزن و وقع اخترق القلوب قبل الآذان، فهي ملاحم شعبية تخلّد بطولات وأمجاد الجزائريين، وتصوّر معاناتهم من ويلات الاستعمار وجرائمه. و تجدر الإشارة إلى ما تبعثه هذه الأغاني الثورية من حماسة في نفوس الثوّار، فكانت كلّ كلمة منها كتلة نار ملتهبة توقظ القلوب و تزيدها استعارًا و تأجُّجًا جرّاء ما ارتكبه المستعمر الغاشم من ويلات و جرائم إزاء شعب بريء لم يطلب سوى العيش بحريّة في وطنه، مهد آبائه وأجداده.

لقد تفاعل الشّعب الجزائري مع الثورة، و رأى فيها النّجاة و المخلص الوحيد من كيد الاستعمار الغاشم، واسترجاع السّيادة الوطنيّة المغتصبة، و قد كان ثمن هذه الحريّة دماء الشّهداء الأحرار، الذين دفعوا دماءهم النقيّة الطّاهرة مقابل نشر الأمن و السّلام في كافة ربوع الوطن.

وحتى يمكن التحكم في جمع المادة ، تم حصر الموضوع في ولاية قالمة، و بعد جمع عدد لا بأس به من الأغاني الشعبية الثورية المنقولة شفاهة –في أغلبها– تمّت دراستها دراسة موضوعيّة فنيّة، تمحورت حول القيم التي وردت في الأغنية الشّعبية الثّورية، و لاسيما ما تعلق منها بالهويّة الوطنيّة، المرتكزة على الدّين و اللّغة و التعلّق بالأرض و العلم الوطني، كما اهتمت الدّراسة بذكر ما تعرّض له الشّعب الجزائري من ظلم و اضطهاد، وقساوة وحرمان من طرف العدو، الذي تمثّل في المستعمر الفرنسي وسياسته التخريبية في البلاد، إلى جانب مَن منحه الطّاعة و الولاء من العملاء الذين باعوا دينهم ووطنهم مقابل ثمن زهيد، وقد كان ذِكر الأبطال من أبناء الثورة الممجّدة محل اهتمام الأغنية الشّعبية الثّورية، إذ تغنّت ببطولاتهم، وخلّدت ذكراهم، و رصدت أبرز معاركهم، وتماشيًا مع طبيعة الموضوع، فقد اقتصر البحث على الأبطال و المعارك الوارد ذِكرهم في الأغاني الثّورية دون غيرهم، والحديث عن العتاد الحربي وأبرز الأسلحة المستعملة من الطّرفين؛ الثوّار والمستعمر.

أمّا فيما يتعلق بالمنهج ، فقد تم اعتماد المنهج التّاريخي الفنّي لكونه الأنسب في عمليتَيْ الشّرح والتّحليل، وتوثيق الأحداث والوقائع من جهة، ولتوافقه مع طبيعة الموضوع من جهة أخرى، ونوع الدّراسة موضوعيّة فنيّة.



**الكلمات المفتاحية:** الأغنية – الثّورة – ولاية قالمة

## Résumé :

L'objet de cette recherche est axé sur la chanson populaire révolutionnaire qui traduit la réalité du peuple et ses préoccupations durant la grande guerre pour la libération nationale, des lors elle fut chargée par des expressions nationalistes qui avait non seulement du poids mais aussi des répercutions qui atteignent les cœurs avant même d'atteindre les oreilles, ce sont des épopées populaires qui vénèrent les prouesses et les accomplissements des algériens et, qui peignent leurs souffrances des maux de la colonisation et de ses crimes.

Ce qui est à signaler est le fait que ces chansons soufflent l'enthousiasme dans les âmes révolutionnaires, alors chaque parole était comme une boule de feu éveillant les cœurs en les enflammant de plus en plus à cause de ce qu'a commit le colon agresseur de ses crimes envers un peuple innocent qui ne demandait que de vivre librement dans son pays, berceau des pères et des aïeux.

De sa réaction avec la révolution, le peuple algérien a vu en elle la délivrance et l'unique sauveur des injustices de l'occupant et, reprendre la souveraineté nationale jadis violée, le prix de cette liberté est le sang des martyrs qui ont donné leur sang pur en contre partie de la sécurité et de la paix dans les quatre coins du pays.

Pour pouvoir cerner la matière à étudier, le thème se verra limité dans la wilaya de Guelma et ce, après avoir ramasser un nombre important de chansons populaires révolutionnaires reprises oralement – dans leurs globalité- pour une étude qui se veut objective dans un cadre esthétique, axée sur les valeurs que portait la chanson révolutionnaire populaire, notamment ce qui touche à l'identité nationale, se basant sur la religion, la langue, l'attachement à la terre et l'emblème national. L'étude s'intéresse aussi à citer ce qu'avait subit le peuple algérien comme injustice et maltraitance, dureté et manque à cause de cet ennemi, qu'incarnait l'occupant français avec sa politique destructrice dans le pays. À côté, ceux qui lui ont prêté soumission et allégeance, ceux qui ont vendu religion et pays pour un prix misérable. De l'autre, les « héros » fils la Révolution éternelle et centre d'intérêt de la chanson populaire révolutionnaire qui chante leurs accomplissements et immortalise leurs souvenirs, et qui retrace leurs combats célèbres.

Pour respecter la nature du sujet, la recherche se contentera d'aborder uniquement les héros et les batailles cités dans les chansons révolutionnaires, parler de l'équipement militaire et des armes les plus utilisées des deux côtés, les révolutionnaires et l'occupant.

En ce qui concerne la méthode, a été adoptée la méthode historique esthétique car c'est la plus commode, d'une part, à l'interprétation, l'analyse, l'archivage des évènements et des faits.

De l'autre, parce qu'elle épouse la nature du sujet. Une étude objective esthétique.



**Mots-clés :** chanson – révolution - guelma

## Summary:

The subject of this research is all about the folk song which tells us about the reality of people and it's role right in the middle of the great editorial revolution , it was fully loaded with national terms which had a weight and rhythem which prevailed the hearts before ears, it is folk songs which immortalize the heroic acts of algerian people, and if you can just imagine their suffering they been through colonization and it's crimes .

We should piont our fingers to the message of encouragement these songs send in rebels souls, each word written in these songs was like a mass of fire which wakes hearts and helps to reflame them because what the colonizer did to the algerian people because they wanted to live free in his own country, cradle of their fathers and grandfathers .

Algerian people reacted against this revolution , because they see it as the only survival and escape from colonization and recover the national identity , the price of this freedom was blood, blood of the free martyrs who payed their pure blood just to give a chance to the living people to feel free again in this holy country of algeria .

And for the possibility of collecting these songs , an arangement has been made in city of Guelma , and after collecting a fine number of these songs which was oraly inherited –**most of these songs**- this collection was well studied an objective study of art, this study was all about the values which were words inside of the folk song especially the national identity words, these words were all about the relegion, language, the land and the national flag , the study was also about people of Algeria and the exposure of Injustice and persecution, and cruelty and deprivation made by the enemy, who was the French colonizer and the destruction policy of his in the country , and plus of that traitors who sold their country easly with not much price, heros and childrens of this revolution were an interest of the folk song, it was rich of their heroic acts, and immortalized their memory, and captured their glorious fights, and to stay on course, the research was about heros and fights which were mentioned in these folk songs, and the speech about fire arms and the most famous fire arms used by both sides, rebels and colonizer.

As for the methodology, It has been the adoption of the historical artistic methodology for beeing the right one in both of the explanation and analysis operation, documenting events and facts on the one hand, and compatibility with the nature of the subject on the other hand, and the type of objective study of art.



**key words:** the song – revolution - Guelma

# ملحـــق

# الملحق رقم 01

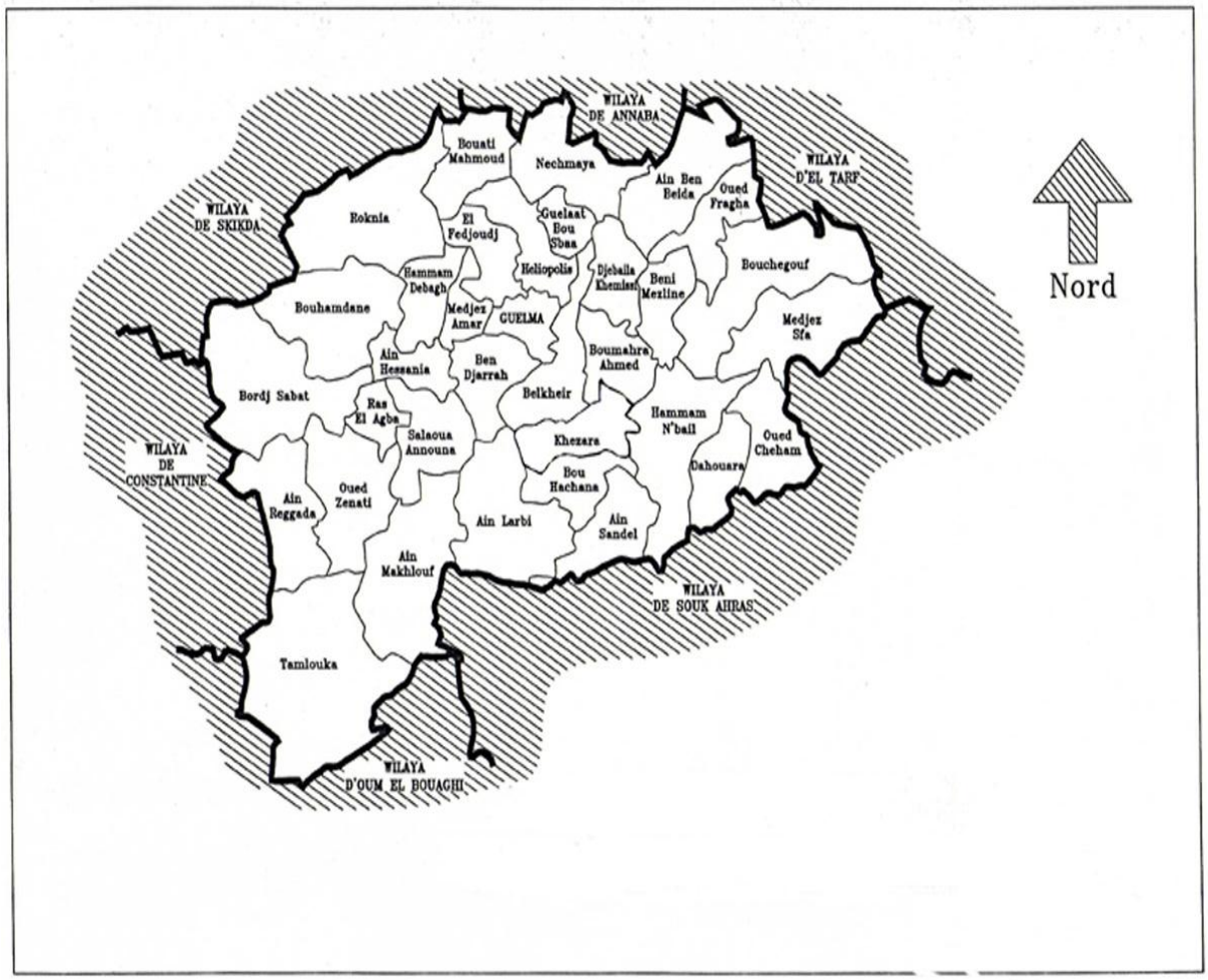


**1- خريطة قالمة من الجانب الإداري -**

# الملحق رقم 02

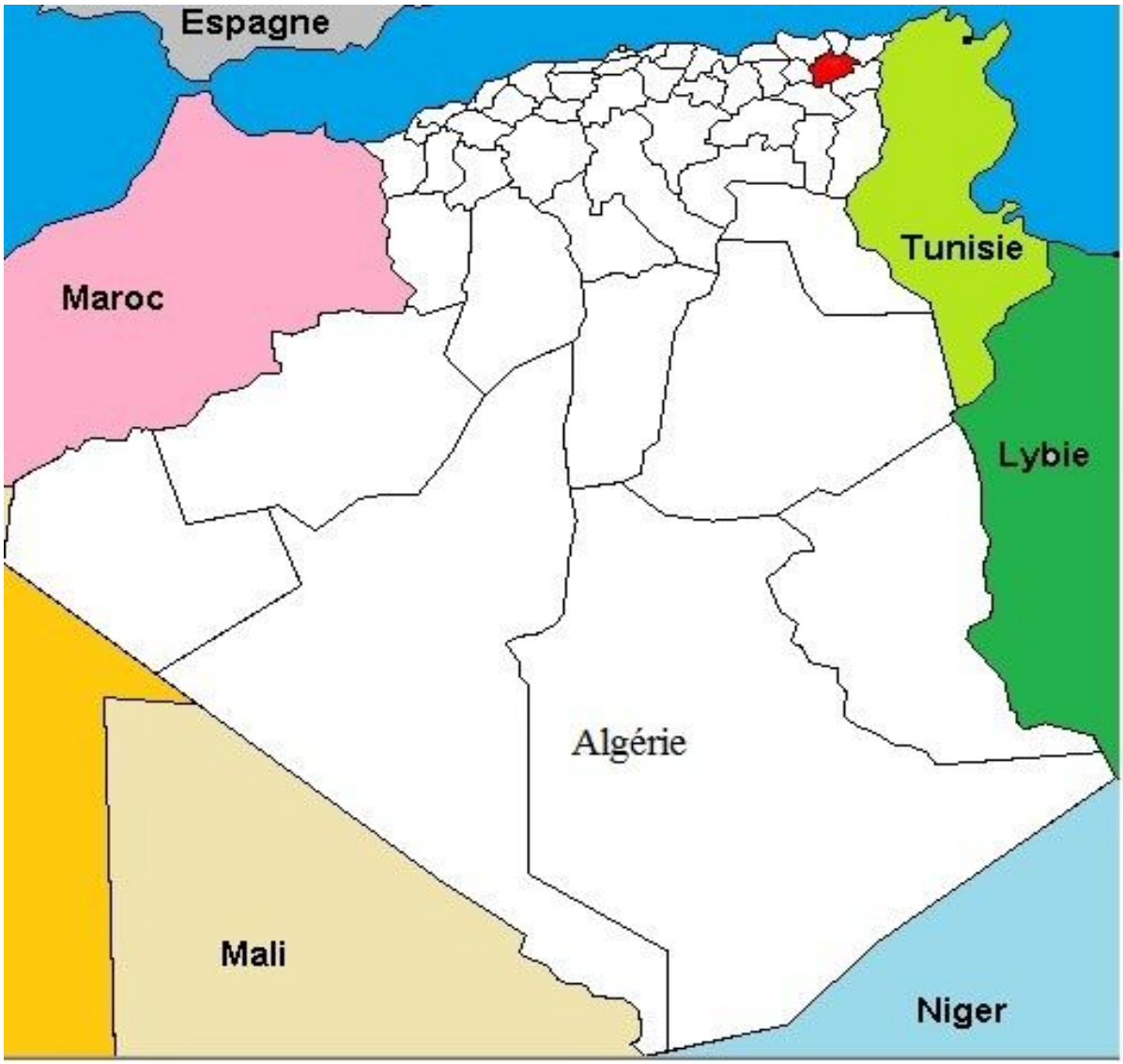


**2- الموقع الجغرافي لولاية قالمة -**

# الملحق رقم 03

**3- نماذج من الأسلحة المستعملة وقت الثورة**

# قائمة المصادر و المراجع

# قائمة المصادر و المراجع

❖ **القرآن الكريم**

## I. المصادر:

### أولاً/ المصادر المطبوعة:

1- أحمد عاشوري، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس، سلسلة شهداء أحتفلت بهم، طبع بمساهمة جمعية أصدقاء سويداني بوجمعة.

2- أحمد عاشوري، كدية الجهاد: قصة الشهيد صالح الحروشي، سلسلة شهداء احتفلت بهم، طبع بمساهمة جمعية أصدقاء سويداني بوجمعة.

### ثانيًا/ المصادر الشفوية:

3- إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة .

4- أحمد عاشوري ، حصة أسبوعيّة من تقديمه بعنوان صوت الجبال، تبث كل يوم السبت، من الساعة التّاسعة إلى العاشرة صباحًا، إذاعة قالمة الجهوية.

5- برنية طالب ، 71 سنة، عين تحميمين- بوشقوف

6- تركية مباركي، 68 سنة، وادي الشحم

7- لحسن فراحتية ، 81 سنة، وادي الشحم

8- حضرية بوثلجة ، 65 سنة، قالمة.

9- حميد رمايضية ، 50 سنة، وادي الشحم

10- حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

11-رابح خلايفيّة، 68 سنة، بني مزلين.

12- ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

13- رمضان لاحق ، 68 سنة ، لخزارة

14- زبيدة سعيدي ، 24 سنة، بلخير.

15- الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

16- سلطانة موادنة ، 87 سنة، قالمة.

17- الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

18- عائشة بوثلجة، 75 سنة، قالمة.
19- عائشة بوصوفة ، 60 سنة، جبالة لخميسي
20- عائشة زدادرة، 78 سنة، بلخير.
21- عتيقة لعمارية، 61 سنة، جبالة لخميسي
22- عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة
23- علال بلمير، 85 سنة، بوعاتي محمود
24- عمار خطاطبة، 61 سنة، جبالة لخميسي
25- عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس
26- عمر بولبازين، 68 سنة، تاملوكة
27- فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة
28- قمير بوثلجة ، 75 سنة، قالمة
29- مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس
30- محمد روابحية ، 65 سنة، بوحشانة، بقالمة.
31- محمد العربي عتسامنية الدهوارة –السّاكن بحمام النبائل
32- مسعودة شطيبي ، 75 سنة، قالمة
33- مهدي بهلول، 83 سنة، بومهرة أحمد
34- نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.
35- نجلة بوناب، 96 سنة، حي زنداوي- قالمة
36- هجيرة فيصلي، 54 سنة، لخزارة
37- الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.
38- هنية بوترعة، 68 سنة، وادي الشحم.
39- وسيلة بوقرن، 57 سنة، جبالة لخميسي.
40- اليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة
41- يمينة عياد ، 60 سنة، بوحشانة.
42- يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

## II. المراجع:

### أوّلاً/ المراجع باللغة العربية:


43- إبراهيم العسكري، لمحات عن مسيرة الثّورة التّحريرية الجزائرية و دور القاعدة الشرقية، دار البعث، قسنطينة-الجزائر، 1992

44- ابن العقون عبد الرحمن، الكفاح القومي السّياسي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج2.

45- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط3، ج3.

46- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتّراث، 1407هـ-1986م، ج6.

47- أحمد شوقي، كتاب الشّوقيات، دار العودة، بيروت، ط1، 1988، ج1.

48- أحمد مرسي، الأغنية الشعبية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة-مصر ، 1970

49- اسماعيل سامعي، انتفاضة 8 مايو 1945 بقالمة و مناطقها، مديرية النشر لجامعة قالمة، تمّ الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع، 2004.

50- أضواء على تاريخ الثّورة بمنطقة قالمة (1954-1962)، جمعية التاريخ و المعالم الأثرية لولاية قالمة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المطبعة الولائيّة، قالمة، 1994.

51- أنور الجندي، ترشيد الفكر الإسلامي، دار الاعتصام، د.ط، د.ت.

52- بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، دار النفائس، ط1.

53- بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، بحث أصدرته مؤسسة الجاحظية، 2000

54- تركي رابح، التعليم القومي والشّخصية الجزائرية 1931-1956 ، الشركة الوطنية للنشر والتعليم، الجزائر، ط 2 ، 1981 .

55- التلي بن شيخ، دور الشّعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830- 1945، طبعة 1983.

56- توثيق وشهادات حيّة عن دور قوافل جيش التحرير الوطني في تموين الثّورة بالسّلاح عبر ولاية قالمة، المنظّمة الوطنيّة للمجاهدين، المكتب الولائي قالمة.

57- حرب التحرير الوطني عبر ولاية قالمة، نوفمبر 1954- 19 مارس 1962، أوت 1997، ج2.

58- ديوان محمد العيد آل خليفة، مكتب الدّراسات، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2010م.

59- راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1993.

60- زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، دار الشروق، القاهرة – بيروت، ط3 ،يناير 1989.

61- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط4، 1992 ، ج3.

62- عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، طبعة الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، 1399هـ-1979م.

63- عبد الحليم عويس، إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة ... لا تاريخ، دار الصّحوة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م.

64- عبد العزيز الشويط، دور النّشيد الشّعبي الجزائري في معركة التّحرير الكبرى، دراسة في الأهداف والمرامي لمجموعة من الأناشيد الشّعبية الجزائرية، دار أمواج للنشر، الجزائر، ط1، نوفمبر 2005.

65- عبد القادر خليفي، دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005.

66- عبد المالك سلاطنية، بصمات حضارية مشرقة من تاريخ الجزائر، مطبعة الرستومية، جويلية 2004.

67- عبد المالك مرتاض، دور الأدب الشعبي في التعبير عن الحياة العامة في الجزائر الثقافة، أكتوبر ، نوفمبر 1974 .

68- العربي دحو، الشّعر الشّعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس من 1954 إلى 1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ج1.

69- العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر ، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1999،ج1.

70- عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشّعر الجزائري الحديث 1945-1962، منشورات جامعة باتنة، 1997م.

71- العيديّات المجهولة: تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، جمع و تحقيق و دراسة محمد بن سمينة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية-الجزائر، 2003.

72- فاروق أحمد مصطفى و مرفت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة، الإسكندرية مصر،ط1،2008.

73- فوزي العنتيل، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط01، 1987

74- كتاب شهادات جمعية الثقافة و التاريخ للمعارك الكبرى للثورة التحريرية لولاية قالمة طبعة جويلية 2004 .

75- كتاب الشّهيد: الثّورة التحريرية الكبرى 54-62، وزارة المجاهدين، مديرية المجاهدين لولاية عنابة، المطبعة المركزية- عنابة.

76- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ترجمة: عمر مسقاوي، دار الفكر ، دمشق-سوريا، ط1 ، 2000.

77- محساس أحمد، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة : الحاج مسعود مسعود و محمد عبّس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، القصبة، الجزائر2002 .

78- محمد الأخضر عبد القادر السّائحي، نوفمبر ...الصوت و الصدى، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء تراث الجزائر.

79- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، ط2.

80- محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق ، توزيع دار ابن حزم، 1417هـ-1996م، ج2.

81- محمد زروال، الحياة الرّوحية في الثّورة الجزائرية، منشورات وزارة المجاهدين، المتحف الوطني للمجاهد، 1994.

82- محمد طمار، تاريخ الأدب العربي، الشّركة الوطنية للنّشر و التّوزيع، الجزائر أو الحياة الرّوحية في الثّورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني بالمجاهد.

83- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، دراسة وشرح الطاهر مربيعي، دار المختار للطباعة و النّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009.

84- مفدي زكريّا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط1، 1987.

85- مفدي زكريا، اللهيب المقدّس، موفم للنشر، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية- الجزائر، 2007.

86- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1954 -1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.

87- نجاح العطار، أدب الحرب، و حنا مينة، دار الآداب، بيروت-لبنان، ط2، 1979.

88- هلايلي محمد الصغير، شاهد على الثورة في الأوراس، دار القدس العربي، 2012 .

## ثانيًا/ المراجع المترجمة:

89- أرنولد هاوزر، فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبدة جرجس، الهيئة العامّة للكتب، القاهرة، 1968.

90- علاق (هنري)، مذكرات جزائرية، ترجمة: حاج مسعود و عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2007.

91- غوستاف لوبون، روح الثّورات و الثّورة الفرنسية، ترجمة: عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية، القاهرة.

92- غولدزيغر(آني راي) ، جذور حرب الجزائر1940-1945، ترجمة: وردة لبنان، دار القصبة، الجزائر، 2005م.

93- الكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ترجمة أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف و النشر، دار الكاتب، القاهرة، 1967.

94- كلود جوان، جنود جلادون، حرب الجزائر: عندما يتحوّل العساكر إلى آلة تعذيب، ترجمة: أحمد بن محمد بكلّي، دار القصبة للنشر، ، الجزائر، ماي 2013.

## ثالثًا/ المراجع باللغة الأجنبية:

95-Bolokavaski, the common, habitez (EDS) , new view, london, 1985.

96 -D.P.A.T de Guelma: Monographie de la wilaya de Guelma, 1982.

97-Jaces Berque, Le Maghreb entre deux Guerres, Le seuil, 1962.

98-Redouane Ainad Tabet. 8 mai 1945 en Algérie, 2em éd. Ed. OPU, Alger, 1987.

99-Nouschi (André). L'Algérie, Amère 1914-1994, Ed. La maison des sciences de l'homme, Paris, 1995.

## رابعًا/ المعاجم:

100- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج4.

101- السيّد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد و الأنباء، الكويت، 1385هـ-1965م ، ج10.

102- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر، محمد علي النجّار، الإدارة العامّة للمعجمات و إحياء التّراث، دار الدّعوة، القاهرة، مايو 1982، باب الثّاء، ج1-2.

103- محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدّار الوطنيّة للكتاب.

## خامسًا/ المجلاّت والدّوريات:

104- أمال مرابطي، الثورة كانت في أوجها بقالمة ومعارك أم النسور، مرمورة، جبل دباغ وغيرها الشاهد الحي، الشعب: يوميّة وطنية إخبارية، قالمة، 20سبتمبر 2014

105- جمعية التاريخ و المعالم الأثرية لولاية قالمة، أضواء على تاريخ الثّورة بمنطقة قالمة، 1954-1962، المطبعة الولائيّة، قالمة، 1994.

106- جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، مجلّة الشّهاب،المطبعة الإسلامية الجزائرية، الجزائر، 13 سبتمبر ، 1937م، ج7 .

107- حرب التحرير الوطني عبر ولاية قالمة، نوفمبر 1954- 19 مارس 1962 ، أوت 1997، ج1-ج2

108- حكيمة بوقرومة زاهية بوقرومة النشيد الشعبي الجزائري ودوره في تحريض الثورة، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، عنوان الملتقى: الأناشيد الوطنية و دورها التّعبوي خلال الثّورة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، 15-16 ماي 2013، ج2

109- دليل ولاية قالمة ، مديرة السّياحة، 2003، 2005.

110 - رابح بلعيد، جريدة رسالة الأطلس، العدد 146 ، الحلقة 53 من 14 إلى20 ،جويلية.1997

111- السّعيد بن زينب، الأغنية الشعبية مفهومًا و وظيفة، عنوان الملتقى: الأغنية الشّعبية في مواكبة ثورة التّحرير، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، يومي 27 – 28 أفريل 2015

112- الشادلي المكي، أحداث ماي وضّحت الطّريق للجميع، مجلة الذاكرة، العدد 02، المتحف الوطني للمجاهد، 1995م.

113- صالح جديد، الأغنية الشعبية الثورية بمنطقة الطّارف الجمالية الفنية و الرسالة التوثيقية و الإعلامية، عنوان الملتقى: الأغنية الشّعبية في مواكبة ثورة التّحرير، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، يومي 27 – 28 أفريل 2015

114- صالح خرفي ، مقدمة في شعر المقاومة الجزائرية، مجلّة الثقافة، عدد 1975/29.

115- عائشة نواصر ، دور المرأة الشعانبية في الثّورة التّحريرية، الخنساء الأخرى للشعانبة أنموذجا، مختار سويلم، جامعة غرداية، مجلة الواحات للبحوث و الدّراسات، المجلد 7، العدد 2، 2014.

116- عائد عم علي، الحريّة بين المفهوم و الممارسة، مجلة تحولات، العدد 5، تشرين الثاني، 2005.

117- عبد العزيز بومهرة، الحرية و التضحية في الأغنية الشعبية – ولاية قالمة نموذجا، عنوان الملتقى: الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمة، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، يومي 13-14 ماي 2012

118- عبد العزيز بومهرة، مليكة حيمر، الأغنية إبداع و توثيق، عنوان الملتقى: الأغنية الشّعبية في مواكبة ثورة التّحرير، مخبر الدّراسات اللغوية و الأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، يومي 27 – 28 أفريل 2015

119- فلادميرسكورو بوغاتوف، دور الشعر الملحون في الكفاح الشّعبي ، المجاهد الأسبوعي، عدد 670.

120- مجلة أول نوفمبر: مجلة فصلية، تاريخية، ثقافية، سياسية تصدر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر:

- العدد 09
- العدد 54، سنة 1982.
- العدد 165.
- العدد 168، جويلية 2006
- العدد 172، سنة 2008
- العدد 173، سنة 2009

121- مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر – الثقافة- السنة الثالثة عشر، العدد 73 – 74، ربيع الأوّل – جمادى الثانية 1403 هـ -يناير أفريل سنة 1983.

122- محمد ناصر، شاعر الثّورة في مراحل حياته، مجلة الثقافة، عدد 93، مايو 1986.

123- ياسمين الشيباني، هل باتت خيانة الأوطان وجهة نظر؟! ، منبر القدس، العدد 7421 ، ابريل 2013.

## سادسًا/ الرسائل:

124- إبراهيم لونيسي، التجربة الديمقراطية في الوطن العربي -الجزائر 1952-1992 نموذجًا-أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، السنة الجامعيّة 2003-2004.

125- أمال شلي ، التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية، 1954-1956م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية- قسم التاريخ، ، السنة الجامعية 2005-2006.

126- خالد محمد عطوة زعرب، الخداع في الحرب، بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفقه المقارن،الجامعة الإسلامية ، عمادة الدراسات العليا، كلية الشريعة، قسم الفقه المقارن، غزة ، 1426هـ-2005م.

127- السّبتي بن شعبان، الحركة الوطنية في منطقة قالمة 1919-1954م ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة.

128- شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثّورية بين فترتي الثورة و الاستقلال (1954-1962) منطقة وادي الشولي –نموذجًا-جمع ودراسة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: الثقافة الشعبية، تلمسان، 2004-2005م.

129- لزهر بديدة، الحركة الديغولية في الجزائر (1940-1945) من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 1430-1431 هـ- 2009-2010م.

130- عبد القادر نطور ، الأغنية الشعبية في الجزائر: منطقة الشرق الجزائري نموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية، 2008-2009.

131- علام عبد القادر محمود النعنع، التعبئة المعنوية في القرآن الكريم، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا، نابلس- فلسطين ، 2007 م.

132- عمري الطاهر، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة ، السنة الجامعية2003 -2004م.

133- محمد مسعي، دور أعلام منطقة أم البواقي في الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية، محمد مساس الإبراهيمي وأبو القاسم الزغداني – نموذجا- 1900-1962م، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 1430-1431 هـ، 2009-2010م.

## سابعًا/ المواقع الالكترونيّة:

134-http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=168

135 -http://ar.wikipedia.org/wiki

136-http://ar.wikipedia.org/wiki

137-http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=1485cd555cb18d88

138-http://www.almaany.com/home.php

139- http://www.almaany.com/home.php

# فهـــرس

# فهـرس


**مقدّمة**.....أ-و

**مدخل: لمحة عن المنطقة و الهوية الثّورية للأغنية الشّعبية**.....**08-28**

**أوّلا/ الإطار الجغرافي و التّاريخي لمدينة قالمة**.....**08**

1- الإطار الجغرافي.....08

أ- الموقع و المساحة.....08

ب- التّضاريس و المناخ.....09

2- الإطار التّاريخي.....10

- قالمة في فترة الاستعمار .....10

**ثانيًا/ الأغنية الشعبيّة الثوريّة**.....**14**

1-مفهوم الثّورة لغةً و اصطلاحًا.....14

أ- الثّورة لغةً.....14

ب- الثّورة اصطلاحًا.....14

2- دور الجماهير الشّعبية في صناعة الحدث الثّوري.....15

3-تعريف الأغنية لغةً و اصطلاحًا.....16

أ- الأغنية لغةً.....16

ب- الأغنية اصطلاحًا.....16

4- الأغنية الشعبيّة إبان الثّورة.....19

5- روّاة الأغنية الشعبيّة.....22

6- الأبعاد التي تطرحها الأغنية الشّعبية الثّورية.....23

أ- البعد السّياسي.....23

ب- البعد الاجتماعي.....24

ج- البُعد العسكري.....25

د- البعد التّاريخي.....27

هـ- البعد الاقتصادي.....28

**الفصل الأوّل: القيم التي تغنّت بها الأغنية الثّورية.....30-78**

**أوّلاً/ الحريّة.....30**

1- ثمن الحريّة.....33

أ- التّضحية.....33

ب- قوّة الإرادة.....39

2- فرحة الاستقلال.....41

**ثانيا/ الهويّة الوطنيّة.....46**

1-الإسلام.....47

2- العروبة.....54

3- العلم الجزائري.....56

4- حبّ الوطن.....62

**ثالثًا/ التّضامن.....66**

1- الجانب المادّي.....66

2- الجانب المعنوي.....66

**رابعًا/ الشّجاعة.....66**

1- ارتباط الثوّار بالجبل.....70

2- نماذج من الشُّجعان.....72

3- دور المرأة في الثّورة التّحريريّة.....76

**الفصل الثّاني: سياسة البطش والتّنكيل الاستعماري في الأغنية الثّورية...80-114**

**أوّلاً/ دم الشّهيد.....85**

**ثانيًا/ الشّوق و لوعة الفراق.....88**

**ثالثًا/ معاناة الأسر و الإقامة الجبريّة.....97**

**رابعًا/ اضطهاد المجاهدين.....102**

**خامسًا/ الحزن و البكاء.....112**

**الفصل الثّالث: صورة العدو في الأغنية الثّورية.....116-158**

**أولاً/ المستعمِر الفرنسي.....116**

1- سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.....117

أ- سياسة الوعود الكاذبة.....117

ب- سياسة الأحكام الجّائرة.....118

ج- سياسة الخداع و الغدر.....119

2- نعوت فرنسا في الأغنية الشّعبية.....122

3- نماذج من العدو الفرنسي.....126

**ثانيًا/ العملاء (الحركة و القوميّة).....131**

1- النُّعوت التي ذُكِر بها العُملاء.....133

2- نماذج من العُملاء .....143

3- مصير العُملاء.....146

4- ما قيل في زوجة العميل.....146

**ثالثًا/ سلاح العدو.....149**

1- الطّائرة.....149

2- ليشار.....153

3- السّيلان.....155

4- الحديد و النّار.....157

**الفصل الرّابع: البطولة و الفداء في الأغنية الثّورية.....160-214**

**أوّلاً/ أبطال الثّورة.....160**

1- الشّهيد مبروك عبدي.....160

أ- نشأته وحسّه الوطني.....160

ب- نضاله في الثورة التحريريّة.....161

ج- استشهاده.....162

2- الشّهيد مصطفى سريدي.....163

أ- نشأته و تعليمه.....163

ب- نضاله في الثورة التحريريّة.....164

ج- استشهاده.....165
3- الشّهيد علي زغدودي المدعو بلخير.....166
أ- نبذة عن حياته.....166
ب- أعماله الثورية واستشهاده.....166
4- الشّهيد محمد ختلة المدعو خليفة.....170
أ- مولده.....170
ب- أعماله الثّورية.....170
5- الشّهيد رابح فيصلي.....173
أ- نشأته وتعلّمه.....173
ب- أعماله الثورية.....174
ج- استشهاده.....177
6- الشّهيد الهاشمي بن بروق المدعو الحوّاتي.....178
أ- مولده و نشأته.....178
ب- أعماله الثورية.....178
ج- واقعة استشهاده.....180
7- الشّهيد مبارك فنيدس.....182
أ- نشأته و تعليمه.....182
ب- حسّه الوطني.....183
ج- أعماله الثورية.....184
د- استشهاده.....185
8- الشّهيد أحمد بومعرة.....187
أ- مولده و نشأته.....187
ب- نشاطاته السياسيّة والعسكريّة.....187
ج- اعتقاله من طرف العدو الفرنسي.....188
د- رد الفعل الفرنسي على فراره.....188
ه- ظروف استشهاده.....189

**ثانيًا/ المعارك الثّورية.....193**
1- معركة أم النسور.....194
2- معركة قلعة الفيّالة.....198
3- معركة الماجن: هيليوبوليس.....200
4- معركة كاف بوجدرة.....202
5- معركة كاف سيدي إبراهيم.....203
6- معركة واد فتوح.....203
7- معركة جبل الدباغ.....204
8- معركة هوّارة.....205
9- معركة راس الماء.....206
**ثالثًا/ العتاد الحربي.....209**
1- البياسة.....209
2- الرّافال.....210
3- الرّصاص و البارود.....211
4- بريط.....212
5- القارة.....213
**خاتمة.....216**
**ملخص البحث.....219**
**ملحق.....223**
**قائمة المصادر و المراجع.....227**
**فهرس.....238**